

راجي عنایت

المناورات الخفية

في حياتنا العائلية والجنسية والعملية

دار الشروق



التأورات الخفية

في حياتنا العائلية والجنسية والعملية

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

الطبعة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٢٤٨١٤ - ٣٩٢٤٥٧٨
بروكسل - بلجيكا - SHROK UN 93091
نيويورك - ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٢١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
بروكسل - بلجيكا - SHROK 20175 LE

هَذَا الْكِتَابُ

هذا الكتاب ، إذا ما تناولته بجدية ، يساعدك في الوصول إلى اجابة مقنعة ، أقرب إلى الاكتشاف المبهر ، على كل التساؤلات التي تدور في ذهنك ، حول ما لا تجد له تفسيراً من العلاقات البشرية التي تدور حولك ، أو تجرى معك . إنه يساعدك على فهم كل ما يبدو غريباً ، وبلا تعليل ، من تصرفات من تحتك بهم ، في علاقاتك العاطفية والزوجية والعملية .

عندما تتطلع حولك في محيط الأسرة ، أو العمل ، أو غير ذلك من مجالات الاحتكاك الاجتماعي ستجد العديد من التصرفات غير المبررة أو المنطقية ، تصدر عن أشخاص يفترض فيهم النضوج والقدرة على الالتزام بالسلوك السليم . وإذا كنت على قدر أكبر من الأمانة مع النفس ، ستكتشف ان بعض تصرفاتك أنت ، في مواقف معينة ومع أشخاص معينين ، تبدو لك غريبة ، وكأنها صادرة من شخص آخر .

أسئلة كثيرة ستجد اجابة كاملة عنها في هذا الكتاب ..

- هذا الشاب الناجح الذكي المحبوب ، لماذا اختار بالذات هذه الفتاة سيئة الطبع ، التي تفتقد أى قدر من الجمال ، كزوجة له ؟ .. لماذا اختارها من بين عشرات الجميلات الدمثات المتعلمات اللاتي عرضن عليه ؟ .
- هذا الشخص المتعلم المتفوق الذكي ، لماذا يفشل في كل مشروع

يتصدى له ، بينما ينجح في هذه المشاريع من هم أقل منه ذكاء وخبرة ؟ ..
لماذا يبدو وكأنه يسعى باجتهاد إلى الفشل ، كلما سارت الأمور على مايرام ؟
قام بحركة قاتلة ، تهدم كل ما بناه ؟

- هذه الفتاة ، لماذا تفعل كل ما يقنع ذلك الشاب بأنها تحبه وتريده ،
وعندما لا يستجيب ، تصعد التلميحات حتى تصل بها إلى حد التصريحات
المكشوفة ، لكن ما أن يتقدم خطوة نحوها حتى تعلن رفضها له ، محاولة تصوير
الأمر وكأنه هو الذى فرض نفسه عليها ؟.

- وهذا الموظف لماذا يتسم جهده دائما بالتقص والقصور ، رغم ما
يتصف به من ذكاء وكفاءة ؟ ، وما هو سر التماع العينين بالفرحة ، وشبح
الابتسامة الذى يرتسم على شفتيه ، كلما تلقى كلمات التوبيخ والتأنيب من
رؤسائه ؟ .

- وما سر هذه الضجة التى يثيرها الزوج ، مع الحرق الذى جاء لاصلاح
صنبور المياه ، رغم أن العملية بأكملها لم تكن تستحق منه مثل هذا
الضحجيج ؟

- وربة البيت المثقلة بالأعباء ، فى عملها وفى منزلها ، لماذا تسعد بقبول
المزيد من التكاليف والمهام الثقيلة ، كلما شعرت أنها أصبحت عاجزة عن أداء
مهامها الأصلية ؟ .

- وهذه الزوجة ، لماذا ترفض أى علاقة جنسية مع زوجها ؟ ، وعندما يصل
الزوج إلى حالة اليأس ، ويكف عن محاولاته ، لماذا تصعد أساليب اغرائها له ،
وتسعى إلى اثارته بكل وسيلة ؟ .. ثم ما هى صرختها فى وجهه ، عندما يعود إلى
المحاولة ؟.

* * *

- وهذا اللص المحترف ، لماذا يبدو في تصرفاته وكأنه يترك بطاقته في مكان الجريمة ، مما يساعد رجال الشرطة إلى الوصول إليه ؟.

كل هذه الأسئلة ، والعديد من الأسئلة الأخرى ، التي تمس أكثر أمور حياتنا حساسية ، يمكن أن تجد اجابات شافية لها ، لو أننا فهمنا أساس المناورات الخفية التي نمارسها في حياتنا اليومية

سنكتشف أن كل تعامل بين البشر ، يكون له معناه الخفى المستور ، الذى يتناقض مع معناه الظاهر للجميع وأن البشر يقيمون القدر الأعظم من علاقاتهم ، على أساس مجموعة من السيناريوهات السرية ، أو التعاقدات الضمنية غير المعلنة . وسنعرف مدى الخطورة التى تقود إليها هذه المناورات ، وطاقة التخريب الهائلة التى تنطوى عليها .

وأخيرا ، سنأخذ فكرة عن الوسائل الكفيلة بإيقاف هذه المناورات ، والطرق التى تقود إلى تبني علاقات بشرية أمينة صريحة . ذات وجه واحد ، من خلال التآلف الصادق .

* * *

يتضمن هذا الكتاب حصيلة الجهد الكبير الذى بذله عدد من أساتذة علم النفس الاجتماعى ، على مدى سنوات طويلة ، وعلى رأسهم دكتور اريك بيرن ، الذى يعود إليه أكبر الفضل فى اكتشاف الحقائق التى تكمن وراء التعاملات الدائرة بين البشر

وقد حرصت على أن أضمن هذا الكتاب أكبر عدد من الألعاب الخفية التى درسها بيرن ، والتي استطاع تحليلها ، وتوصل إلى أسلوب علاجها . ولكنى حرصت فى نفس الوقت على أن يتضمن الكتاب جهد زملائه وتلامذته ، ممن أضافوا إلى رؤيته ، وساعدوا على تطويرها ، من أمثال دكتور

توماس هاريس ، ودكتور تشابمان ، وسافيل ساكس ، وساندرا هولاندر
وكلود شتاينر .

وأعتقد أن فهم حقائق هذا الكتاب ، مفيدة أيضا بالنسبة لمؤلفي الروايات
والقصص والمسرحيات والمسلسلات التلفزيونية ، فهي تدهم بزيادة من
المعلومات والمعارف ، التي تساعدهم على رسم شخصياتهم بشكل أكثر ثراء
وخصوبة . وقد قمت بمحاولة على هذا الأساس ، خلال السبعينيات ،
فكبت ١٥ حلقة من الدراما التلفزيونية ، تحت اسم « لعبة كل الناس » ،
قدمت فيها نموذجا لكيفية الاستفادة من حقائق هذا الكتاب في رسم
الشخصيات الدرامية .

* * *

هذا كتاب للقارئ العادي ، لا يقتضى معرفة مسبقة بأغاز المدارس
والممارسات النفسية . ولا يعتمد على اصطلاحات أو حقائق يصعب على
القارئ العادي أن يفهمها ، ويدرك مغزاها .. إنه وسيلة فعالة وواضحة
لمساعدة الذات .

راجى عنايت

مايو سنة ١٩٨٩

مقدِّمة

كلما تأملت أحوال المخلصين من الأطباء والمحللين النفسيين ، أشفقت عليهم ، وتذكرت قول أحد المفكرين ، الذى وصف جهد الواحد منهم ، بأنه فى عمله يشبه شخصا معصوب العينين . يبحث فى حجرة كاملة الاضلام ، عن قطة سوداء ، غير موجودة بالحجرة ! .

وحالة عدم الرضا التى تتصاعد على مر السنين ، لا تقتصر على الأطباء النفسيين ، ولكنها تمتد وتشمل الأطباء عامة

الثابت ، أننا بدأنا نتمرد على كل الممارسات التى تمس السلامة الصحية للإنسان . نتمرد على عجز العلوم الطبية ، حتى الآن ، فى الوصول إلى طريقة أمثل لوقاية الإنسان ككل من كل ما يهدد سلامته . نتمرد على شيوع الحيلاء بين الأطباء ، بمختلف تخصصاتهم ، رغم عجزهم عن التصدى لحوالى ٨٥ فى المائة من الأمراض ، والتى يقولون عنها إنها أمراض (سيكوسوماتية) ، أو عقلية جسدية . أو بمعنى أكثر صراحة وأمانة ، أمراض لم يوفق الطب الأكاديمى حتى الآن فى الوصول إلى طريقة لفهمها ومواجهتها .

نتمرد بالتحديد على الأطباء والمحللين النفسيين ، نتيجة لطول أمد العلاج ، وارتفاع تكلفته ، وضعف النتائج التى يحققها . وفى هذا المجال ، لا يقتصر التمرد ونفاذ الصبر المتزايد على المرضى وذويهم ، وعلى الرأى العام ،

لكنه يمتد ليشمل الأطباء النفسيين أنفسهم ، وبشكل أدق ، المخلصين مهم ،
وليس المتفعين باستئثار المرض النفسى فى تحقيق المزيد من المنافع المادية

* * *

هذا التمرد الذى أحكى عنه ، لاينى ماقد حققته العلوم الطيبة والنفسية
للشجر ، على مدى القرون الثلاثة الماضية ، وهى عمر العصر الصناعى ، من
فوائد ومنافع ، وما فعلته من أجل تجنب البشر الكثير من الآلام والمتاعب
لكن حالة عدم الرضا الحالية ، لا تقتصر على التفاصيل ، ولكنها تمتد إلى
الأساس الذى قامت عليه الرعاية الصحية ، طوال هذه القرون الثلاثة .
وتكشف عن ضرورة إعادة النظر فى المنطق المستمد من فكر وعقلىة العصر
الصناعى ، والذى قامت عليه الممارسات الصحية

* * *

يعتبر التخصص من أهم أركان الحياة الصناعية ، وقد أفاد فائدة كبرى فى
تطوير الصناعة والتكنولوجيا ، وفى الوصول إلى تفسير لكثير من حقائق العالم
المادى .

ورغم النجاح الذى قاد إليه مبدأ التخصص ، فى كثير من مجالات الحياة
الصناعية ، إلا أنه أثبت فشلا ، عندما جرى تطبيقه على الكيان الإنسانى ،
وعندما أوكل أمر كل عنصر من عناصر الوجود البشرى إلى أخصائى ، دون
إدراك أن سلامة الإنسان تتحقق من خلال النظرة الكلية إلى كيانه ، باعتباره
مجموعة من العناصر متبادلة التأثير ، تتحقق سلامتها فى تكاملها .
يقول الكاتب آلفين توفلر فى كتابه « الموجة الثالثة » .

« فى حقل الصحة العقلية ، بحث المعالجون النفسيون عن طرق لعلاج
(الإنسان ككل) ، بتبنى العلاج الجشالتى .. وكان الهدف من هذا النشاط ،
وفقا لقول المعالج النفسى فردريك بيريس . هو زيادة قدرات الإنسان المحتملة

من خلال عملية تحقيق التكامل بين الإدراك الحسى للفرد ، وإدراكه العقلى ، وعلاقته بالعالم الخارجى «

وكما جرت إعادة نظرى قوانين نيوتن ورؤيته للكون على يد اينشتين . وكما قامت نظريات جديدة تنسخ ما قاله دارون عن الانتخاب الطبيعى ، كذلك قامت مدارس جديدة لعلم النفس ، تطرح مفهوما جديدا للنفس البشرية . يتجاوز ذلك الذى قدمه سيجموند فرويد .

* * *

من أعلام النظرة الجديدة للنفس البشرية ، هارى ستاك سوليفان (١٨٩٢ - ١٩٤٩) ، الذى يعتبر صاحب الفضل الأول فى الاهتمام بتحليل مايجرى بين البشر من تعاملات ، كوسيلة لتحقيق الصحة النفسية . وإذا كان سوليفان قد بدأ بحثه معتمدا على نظريات فرويد ، إلا أنه توصل بعد ذلك إلى تناول جديد فى العلاج النفسى وفى الوجود البشرى ، يرتكز أساسا على دراسة مايجرى بين الأشخاص . لقد اهتم فرويد بالذى يجرى (داخل) الفرد ، بينما انصب اهتمام سوليفان على مايجرى (بين) الناس وقد لا يكون سوليفان معروفا للقارئ العادى ، لأن أغلب كتاباته كانت موجهة إلى العاملين فى مجال العلوم الطبية والاجتماعية . ورغم أنه نشر بعضا من وجهات نظره خلال حياته ، إلا أن القدر الأكبر من الأفكار المنشورة حاليا ، تم جمعها من واقع محاضراته ، والندوات التى شارك فيها .

وبعكس سوليفان ، استطاع أريك بيرن (١٩١٠ - ١٩٧٠) ، الذى تسلم منه الحيط ، أن يرسى أساس رؤية جديدة للسلامة النفسية ، من خلال ما أطلق عليه « تحليل التعاملات » ، وأن يصل من خلال كتابه واسع الانتشار « ألعاب . ممارستها الناس » ، إلى ملايين القراء . لقد استطاع أريك بيرن أن يصيغ رؤيته بلغة سهلة يفهمها القارئ العادى ، ويستجيب لها ،

ويجد لها صدى في خبراته اليومية ، وفي اتصاله بغيره من البشر
و في هذا يقول دكتور توماس هاريس أستاذ الطب النفسى .
« إننا ندين بالفضل للدكتور إريك بيرن . فهو من خلال تطويره لمضمون
(تحليل التعامل) ، قد خلق نظاما مترابطا للعلاج النفسى الفردى والجماعى ،
مفهوم على المستوى النظرى ، وفعال على المستوى التطبيقى »

* * *

والآن ، دعنا نمضى معا إلى العالم الذى فتح إريك بيرن أبوابه ، والذى
يوفر لنا اجابات شافية على الكثير من التساؤلات التى تواجهنا فى الحياة
اليومية ، حول علاقتنا بالآخرين ، وعلاقة من حولنا ببعضهم البعض .

الفصل الأول

الحالات الشعورية للإنسان

التعامل ضرورة لا غنى عنها للفرد

قلتُ إن هذا الكتاب يتوجه إلى القارئ العادى . وإنه لا يحتاج إلى معلومات متخصصة فى علم النفس ، أو التحليل النفسى ، أو العلاج النفسى . ولو كانت المناورات الخفية حالة خاصة فى سلوك البشر ، لما كانت هناك حاجة إلى التوجه بالحديث عنها إلى القارئ العادى غير المتخصص لكن . إذا عرفنا أن شقا كبيرا من حياة الغالبية العظمى من البشر ، يقوم على ممارسة هذه المناورات أو الألعاب ، فى أكثر الدول تحضرا كما فى غابات أواسط أفريقيا ، ظهرت لنا الحاجة إلى طرح خفايا هذا الموضوع طرحا عاما ، بهدف جعل حياتنا أكثر صدقا وأمانة ونفعا لهذا وجدت من الضرورى أن أطرح - بأقل غوص فى التفاصيل والمصطلحات - الأساس العلمى الذى قامت عليه عملية تحليل التعاملات بين البشر ، والتى تسعى إلى تقليل خطر هذه المناورات على حياتنا

البحث عن الأساس :

من أسباب النقد الذى يوجه لعلم العلاج النفسى - كما أرسى أصوله سيجموند فرويد - هو أنه غير علمى !
وينبع هذا الموقف ، أساسا ، من أن العلاج النفسى لم يتوصل إلى وحدة

أساسية ، يركز عليها في ملاحظاته . إنها نفس الصعوبة التي واجهت علماء الطبيعة ، قبل التوصل إلى النظرية الجزيئية ، وعلماء الطب قبل التوصل إلى البكتيريا .

لقد كان إريك بيرن هو أول من استطاع تحديد هذه الوحدة العلمية الأساسية ، وقدم تعريفا لها وهو الذى أطلق عليها اسم « التعامل » ونتيجة لهذا الكشف ، توصل بيرن إلى تحليل التعاملات بين البشر ، وإلى تطوير منهج متكامل لاختبار أى « تعامل » ، وتحديد مصدر هذا التعامل ، داخل طرفيه أو أطرافه وهكذا استطاع أن يقدم لنا إجابة عن سؤال مازال يحيرنا : « لماذا يفعل الناس مايفعلونه ؟ » .

التنبيه احتياج حيوى :

من العناصر الأساسية التي تحكم فعل الفرد ، حاجته الشديدة إلى التنبيه ، إلى أن يبدى الناس من حوله مايفيد أنهم يشعرون بوجوده . هذه حقيقة أولى يعتمد عليها بيرن في بناء نظريته . لقد اتبته بيرن إلى أن الأطفال الذين يجرمون من الرعاية والاهتمام لفترات طويلة ، يتعرضون لحالة من التدهور ، تقود في نهاية الأمر إلى إصابتهم بسلسلة من الأمراض المتداخلة فالحرمان العاطفى يمكن أن يؤدي إلى نتائج خطيرة لقد اكتشف بيرن أن الإنسان يشعر بحاجة ملحة إلى التنبيه ، أو تلقى الاشارات من الغير ، كما يشعر بحاجته إلى الطعام .

ولعل خير مثال لهذا . هو حالة الأفراد الذين يحكم عليهم بالحبس الانفرادى لفترات طويلة . ويدرك العاملون في حقل الجريمة أن السجناء الذين يتحملون أقسى العقوبات البدنية ، يخافون أشد الخوف عقاب الحبس الانفرادى .

وتبدأ محنة الفرد عندما يفصل عن أمه ..
بعد أن تنتهى فترة الألفة الشديدة مع الأم ، بكل ماتضمنه هذه الفترة
من تنبيه دائم حميم ، يواجه الطفل - لباقي حياته - محنة اختيار الطريق الذى
ستمضى فيه هذه الحياة : إما أن يستجيب للقوى التى تقف فى وجه استمرار
تلك الألفة الجسدية التى عرفها فى طفولته الأولى ، أو أن يظل يعانى باستمرار
للحفاظ على هذه الألفة ، وللمسك بها .

فى أغلب الأحيان ، يلجأ الفرد إلى التوفيق بين هذين البديلين ، ويتعلم
كيف يصوغ أشكال تعامله ، بطريقة رمزية أكثر عمقا وتحفيا ، بحيث تصحح
إيماءة التحية بالرأس ، كافية بشكل ما لسد حاجته ، مع أن سعيه الأسمى
الأعمق للاتصال الجسدى مازال على نفس قوته

أى أن حاجة الفرد إلى التنبيه الجسدى الحميم ، الذى عرفه فى طفولته
الأولى ، تتحول جزئيا إلى رغبة شديدة فى أن يتعرف عليه الآخرون ،
ويبدون مايفيد أنهم يشعرون بوجوده . ومع تزايد التعقيدات الداخلة فى عملية
التوفيق هذه ، يصبح الناس أكثر تنوعا وتمايزا فى سعيهم إلى أن يعترف
الآخرون بوجودهم .

النجم السينمائى ، على سبيل المثال ، يحتاج إلى مئات الاشارات كل أسبوع
من جمهور المعجبين الواسع ، حتى يهدأ باله ، بالرغم من أنه لايعرف أفراد هذا
الجمهور معرفة شخصية . بينما يكتفى العالم الباحث بإشارة واحدة من أستاذ له
قيمته ، مرة واحدة فى السنة ، لكى يرضى عن حياته .

الربت :

يطلق أريك برن على إشارات التعبير عن وجود الفرد اسم « ربّات » ، بحيث
تكون وحدة الاتصال بين الفرد والآخريين هى « الربتة » . وقد تبدو الكلمة

غربية ، لعدم شيوعها في حديثنا ، لكنها الترجمة الأقرب إلى كلمة STROKE الإنجليزية ، في مجالنا هذا . والربت هو ما نطلق عليه في لغتنا الدارحة (الطبطة) ، وهو ما تفعله الأم عندما تضرب بيدها - بخفة ورقة - على ولدها . حتى ينام . وتأخذ الربتات أشكالاً مختلفة ، في مناسبات مختلفة . بعض الناس يربتون على الطفل بالمعنى الحرفي للكلمة ، والبعض الآخر يحتضن الطفل ، أو يقرصه مماًزحاً ، أو يمسد شعر الطفل ويسويه ، أو يدغدغه بطرف إصبعه . والربت في جميع هذه الأحوال إعلان منا عن وجود الطفل .

يستخدم إريك بيرن اصطلاح « الربت » ليشير إلى أى فعل يستهدف الاعتراف بوجود شخص آخر ، طفلاً أم بالغا . وبهذا يعتبر « الربتة » وحدة أساسية للفعل الاجتماعى . أما تبادل « الربتات » بين شخصين ، فيطلق عليه اسم « التعامل » ، على اعتبار أن التعامل هو الوحدة الأساسية للعملية الاجتماعية .

حرصت على إيراد هذه الاصطلاحات لأنها تتضمن مع غيرها الأساس الذى نعتمد عليه فى فهمنا لسرما يجرى بين الناس فى حياتهم اليومية .

* * *

بعد أن تتحقق للفرد رغبته الملحة فى أن يبدى الآخرون مايفيد الاعتراف بوجوده ، بعد أن تنتهى التحيات والسلامات ، ما الذى يفعله الفرد فى اعقاب ذلك ؟.. ماهى الطرق التى يشغل بها وقته فى تعامله مع الآخرين ؟..

كيف نشغل أوقاتنا؟

ماذا بعد؟

ماذا يفعل الناس بعد الانتهاء من تبادل التحيات التقليدية؟
عرفنا أن سعى الإنسان إلى التنبه ، وإلى أن يبدي الآخرون مايفيد
إحساسهم بوجوده ، يقود إلى سعيه إلى التعامل مع الآخرين ، فبدون هذا
التعامل لايتحقق له التنبه المطلوب . وعندما يصبح التعامل احتياجا ، تظهر
أمام الشخص مشكلة جديدة : كيف يشغل دقائق أو أيام أو أعوام تعامله مع
الآخرين؟.

- لو تأملنا حياة أى فرد منا ، لوجدنا أن الفرد تكون لديه ثلاثة مجالات
رئيسية ، يشغل بها ساعات يومه ، منذ أن يستيقظ وإلى أن ينام :
- مجال النشاط العملى أو المادى ، أى العمل الذى يقوم به أو الوظيفة التى يتولاها .
 - مجال الطقوس ، أو التعاملات التى يرسم المجتمع اطارها (توديع ، استقبال ، أفراح ، ماتم) .
 - مجال فردى ، وهو يتضمن التعامل الفردى مع الآخرين ، فى غير العمل الفعلى أو الطقوس .
- هذا التقسيم هام جدا ، فى تعرفنا على التربة التى تنمو فيها الألعاب أو

المناورات الخفية ، لهذا سنقوم بتوضيح هذا التقسيم تفصيلا فيما يلي :

البرنامج المادى أو النشاط العملى :

وهو الطريقة التى ننظم بها أوقات العمل الذى نحترفه وهذا النشاط العملى لايهمنا كثيرا فى فهمنا للألعاب أو المناورات الخفية ، إلا فى حدود أنه يوفر للفرد فرص تبادل الريفات والتعرف على الآخرين ، كنتاج جانبي العمل الفعلى المحترف لاتدخل فيه المناورات أو الألعاب ، لأنه يقوم على التعامل مع المعلومات والمعطيات فعملية اصلاح السيارة مثلا ، تقوم على سلسلة من القياسات والمعلومات وتقدير الاحتمالات . ومن ثم ، فأى تبادل اجتماعى يتحقق خلال هذا النشاط العملى ، يجب أن يتفق مع هذه السلسلة ، حتى يمكن الانتهاء من إصلاح السيارة ، بأفضل شكل ممكن .

البرنامج الاجتماعى أو الطقوس :

الآباء والأمهات ، فى جميع انحاء العالم ، يعلمون أولادهم أصول السلوك ، بما يضمن معرفة الأبناء بالطقوس والتقاليد المناسبة : تبادل التحيات ، تناول الطعام ، المحاملات ، التعازى . يعلمونهم آداب الحديث ، ما هو مسموح به من ألفاظ ، وما هو مرفوض . وهذه المسموحات والمحظير ، التى تشكل أصول اللباقة ، بعضها محلى والبعض الآخر عالمى .

هذه الطقوس والتقاليد ، غالبا ماتقود إلى نوع من الحوار ، أشبه بالطقوس . هذا النوع من الحوار شبه الطقسى ، هو مايمكن أن نطلق عليه اسم « التسلية » ، أو تمضية الوقت .

البرنامج الفردى أو الألعاب :

عندما يصبح الناس أكثر تعارفا ، من خلال العمل ، أو ممارسة الطقوس ، أو « دردشات » التسلية ، يبدأ البرنامج الفردى للإنسان زحفه

شيئا فشيئا . وينمو التعامل العملي أو التقليدي السطحي إلى وقائع وأحداث ، تبدو في الظاهر وكأنها عفوية ، على الأقل في نظر أطرافها لكن الملاحظة الدقيقة ، تكشف خضوعها لسيناريوهات محددة ثابتة ، قابلة للتجميع والتصنيف ، وأن الواقعة التي جرت كان قد تم رسم مسارها والتخطيط لها وفق قوانين وقواعد ضمنية ، غير مكتوبة أو معلنة .

هذه القواعد تبقى كاملة وخافية ، إذا ما سارت التعاملات وفقا للخطة المرسومة أو السيناريو المكتوب ، سواء كانت هذه المعاملات تعكس مودة ومحبة أو خصومة وعداء . لكنها تقفز إلى السطح ، إذا ما خرج أحد اللاعبين عن النص ، واتخذ خطوة غير مطابقة للقواعد المتفق عليها ضمنيا . هذا الموقف يبيح للآخرين ممن يدخلون في هذه اللعبة أن يصيحوا « إمسك .. غشاش ! » . وهذه الصيحة قد تكون رمزية أو حرفية ، وتصل في بعض الأحيان إلى أقسام الشرطة والمحاكم

هذا النوع من التتابع ، هو الذي يطلق عليه ايريك بيرن اسم « لعبة » ، لتمييزه عن نشاط « التسلية » الذي هو جانب من البرنامج الاجتماعي . لقد اكتشف بيرن أن الحياة العائلية والزوجية والجنسية والاجتماعية ، والحياة في التنظيمات والمؤسسات والجمعيات من مختلف الأنماط ، تمضي جميعا - عاما بعد عام - على أساس تنوعات متباينة للعبة من هذه الألعاب ، التي ستكون موضوع حديث تفصيلي فيما يلي .

وبداية ، يجب أن نلفت النظر إلى أن تعبير « ألعاب » أو GAMES ، لايعني أنها تكون طريفة أو مسلية أو مضحكة بالضرورة . ولايعني أن الذين يمارسونها لايدخلون مراحلها بكل جد وعزم وتصميم . وسنرى عند استعراض الألعاب المختلفة ، مثل لعبة « مدمن الخمر » ، أو « الاغتصاب » أو « انظر ماذا جعلتني أفعل » تبدو مأساوية أكثر منها طريفة ،

تصل بالإنسان إلى ساحات القضاء أو إلى الانتحار

* * *

عند استعراض المجالات الرئيسية التي يشغل بها الإنسان ساعات يومية ، أرجأت - معتمدا - الإشارة إلى الشكل الأرقى للعلاقة البشرية ، أعنى بذلك علاقة الألفة أو التآلف بين الأفراد .

فنحن نفرق في (التسلية) و (الألعاب) ، لأنها بديلين للمعايشة الحقيقية الصادقة التي تتحقق في علاقة (التآلف) ومن هنا يمكننا أن ننظر إلى التسلية والألعاب باعتبارهما ارتباطات أولية ، تختلف جذريا عن الاتحاد الوثيق الأمين الذي يحققه (التآلف) .

في رحاب (التآلف) تنسحب البرامج الاجتماعية ، والمجاملات الطقسية التقليدية ، وتنسحب البرامج الفردية القائمة على المناورات الخفية . ذلك لأن (التآلف) هو الإجابة الكاملة الوحيدة لاحتياجات التنبيه والتعرف وشغل الوقت ، التي تحرك الإنسان . ويتجسد نمطه الأمثل في حالة الحب القوي الحقيقي الذي لا ينهزم .

ولكن .. لأن فترات التآلف الطويلة نادرة ، ولأنها إذا تحققت تحتاج إلى رعاية دائمة من أطراف العلاقة ، وجهد مستمر للبقاء عليها ، فغالبا مايفشل البشر في تحقيقها وبلوغ مداها ، ومن ثم يستعوضون عنها بممارسة (الألعاب) . وسنعود في نهاية هذا الكتاب للحديث بالتفصيل عن (التآلف) . أما الآن ، وقبل أن نبدأ تحليل التعاملات الداخلة في النشاطات العملية والطقوس والتسلية ، لكي نصل إلى تحليل الألعاب ، قبل هذا ، لابد من توضيح الكيانات المختلفة داخل كل إنسان والتي تنطلق منها تعاملاته مع الآخرين . ففي هذا التعدد داخل الفرد يكمن مفتاح فهم (الألعاب) على أساس علمي .

الذاكرة وجراحة المخ

أظهرت الملاحظة الدقيقة للنشاط الاجتماعي التلقائي، أن الناس يظهرون من وقت لآخر، تغيراً ملموساً في حركاتهم ، ووجهات نظرهم ، وأصواتهم ، ومفرداتهم ، وغير هذا من مظاهر سلوكهم . هذه التغيرات في سلوك الشخص غالباً ما تكون مقترنة بتغيرات في المشاعر ...
ولكى نفهم هذا ، نأخذ على سبيل المثال حالة مدير في إحدى الشركات .

هذا المدير ، عندما يلتقي مع زملائه من المديرين ، في اجتماع بالشركة ، لبحث وسائل زيادة الانتاج ، يتبادل مع زملائه الخبرات والآراء والأفكار بشكل موضوعي . ومن خلال هذا يسعى الجميع إلى أن يصلوا إلى إجراءات تؤدي إلى زيادة الإنتاج . لو تأملنا هذا المدير ، خلال الاجتماع ، سنلاحظ أنه يستعمل مفردات معينة ، ولغة خاصة ، وطبقة صوت محددة . كما نلاحظ أنه في جلسته ، وفي حركات رأسه ويديه ، يلتزم بطريقة خاصة . سنجد أن حديثه خلال هذا الاجتماع ، تتواتر فيه تعبيرات مثل « بناء على احصائيات العام الماضي ، فإنني أرجح .. » ، و « مع اقتناعي برأى الزميل إلا أنني أشعر أنه أغفل جانب التوزيع في ... » ، إلى آخر هذه التعبيرات التي

تصدر عن كل من يتصدى لعمل يريد إنجازَه وفق كل ما لديه من كفاءة وخبرات .

نفس هذا المدير ، قد نراه بعد ساعة من ذلك الاجتماع ، وقد استقبل أحد صغار العاملين في إدارته ، الذي جاء يشكو من مشكلة يصادفها في عمله ، أو من صغر العلاوة التي خصصت له ، وصعوبة تلبية الحاجات بيته في حدود المرتب الذي يتقاضاه . إذا لاحظنا المدير بدقة ، وهو يتحدث إلى الموظف الصغير ، سنجد اختلافًا كبيرًا في نوع المفردات التي يستخدمها ، وفي اللغة التي يتكلم بها . سنجد اختلافًا في جلسته وحركات يديه وإيماءات رأسه . وستشع في حديثه تعبيرات مثل «يا ابني المثل يقول على قد لحافك مد رجلك ، وأنت واضح أنك ..» ، أو «إحنا يا ابني تعبنا كثير واحنا صغيرين . اشتغلنا وعرقنا لغاية ما وصلنا للى احنا فيه دلوقتي ..» ، إلى آخر هذه التعبيرات .

ومرة ثالثة ، نفس هذا المدير ، قد نراه عصرًا ، في النادي مع جمع من أصدقائه ، يلعب (الدومينو) . إذا لاحظناه في هذه الحالة سنجد اختلافًا هائلًا عن كل من الحاليتين السابقتين ، وكأننا أمام رجل آخر ، غير الذي عرفناه . ومرة أخرى ، سترى لغة جديدة ، وحركات جديدة ، وإشارات جديدة . ستراه يتراقص في مكانه عندما يقوم بلعبة ماهرة ، تخرج خصمه ، وسنجده يصيح بأعلى صوته وهو يصفق «إلعب يا غشيم .. انزل بقى بالدش اللى فى ايديك ..» ، أو نجده يتأيل وهو يردد «راحت عليك يا حلو .. راحت عليك يا حلو ..» .

ثلاثة أشخاص في شخص واحد .

ويطلق أريك بيرن على هذا التنوع اسم (حالات الأنا) أو (الحالات الشعورية) . ويقم على هذه الحالات الثلاث تحليله للتعاملات والألعاب .

تجارب جراحة المخ العجيبة :

لم يكن باستطاعة أريك بيرن أن يقيم أفكاره على أساس متين ، لولا الاكتشافات العجيبة التي توصل إليها دكتور وايلدر بينفيلد جراح الأعصاب بجامعة ماكجيل في مونتريال ، عام ١٩٥١ ، حول الذاكرة والحالات الشعورية ، والتي وفرت لبرن أساساً معملياً قوياً لاستخلاصاته .

فخلال العمليات الجراحية التي أجراها دكتور بينفيلد على المخ ، قام بعدة تجارب ، عمد فيها إلى لمس جانب من مخ المريض ، بقطب يحمل تياراً كهربائياً ضعيفاً . وقد واصل جمع ملاحظاته عن هذه التجارب لعدة سنوات

كان المريض في كل حالة ، واقفاً تحت تأثير تخدير موضعي ، ومن ثم واعياً ، وقادراً على التحدث إلى دكتور بينفيلد . وجد الجراح العظيم أنه كلما أثار أو نبه بقطبه الكهربائي نقطة معينة على سطح المخ ، قفزت إلى وعي المريض ذاكرة معينة . وعند تنبيه نقطة أخرى ، قفزت إلى وعيه ذاكرة أخرى . وقد لاحظ دكتور بينفيلد أن تنبيه نقطة معينة بالتحديد ، يثير نفس الذكريات . كما لاحظ أن إثارة الذاكرة في نقطة معينة . لا تقف عند حد استرجاع صورة أو صوت قديم ، بل تتعدى هذا إلى استرجاع الحالة الشعورية الكاملة التي صاحبت هذه الذكرى ، وقت وقوعها .

على سبيل المثال ، إذا أثيرت ذكرى حادث تصادم بين دراجة المريض وسيارة في الطريق ، عندما كان في السابعة من عمره . فإنه يعيش هذه التجربة من جديد بكاملها . نفس الألم العضوي وتلاحق الأنفاس ، والأنفعال ، وتفاصيل المشهد ، وصوت الاصطدام ، وصيحات الناس في الطريق ، إلى آخر ذلك ..

نقطة أخرى مهمة توصل إليها دكتور بينفيلد ، هي أن تفجر هذه

الأحداث القديمة يتم بطريقة لا إرادية ، أى أن هذه الحالات الشعورية القديمة ، تقفز إلى السطح بمجرد لمس نقطة من المخ ، دون أن تتدخل إرادة المريض إنه لا يستدعى ذاكرة الحدث ، لكن الحدث يفرض نفسه على اللحظة . وأن الإنسان فى هذه الحالة يكون الممثل والمتفرج فى آن واحد . يقول دكتور توماس هاريس ، زميل دكتور اريك بيرن «إن الذكريات تثار بمنبهات الخبرات اليومية لكل إنسان ، بنفس الطريقة التى أثرت بها اصطناعياً بواسطة القطب الذى يمسك به دكتور بينفيلد» .

* * *

على أساس هذه التجارب ، وبالملاحظات العملية الدائمة ، استطاع دكتور اريك بيرن أن يحدد ثلاث حالات شعورية أساسية تصدر عنها تصرفات الشخص فى حياته .

الوالد . البالغ . الطفل

يبدو أن كل شخص يكون لديه ، تحت الطلب ، مخزون جاهز لحالات الأنا المتباينة ، أو الحالات الشعورية المختلفة . وهذا المخزون يمكن تصنيفه على الوجه التالي :

- ١ - حالات (أنا) تشبه حالات (الأنا) عند الوالد .
- ٢ - حالات (أنا) تتوجه بطريقة موضوعية مستقلة نحو التعرف الموضوعي على الواقع والتعامل معه .
- ٣ - حالات (أنا) تمثل الخلفات القديمة المهجورة ، وإن كانت ماتزال نشطة ، والتي تنبع من التثبيت على مراحل الطفولة الأولى . ويعرض بين هذه الحالات الثلاث تحت اسم حالات (الوالد) و (البالغ) و (الطفل) .

كلما دخل الشخص في تشكيل اجتماعي ، نجده في كل لحظة يكشف عن حالة من هذه الحالات الثلاث ، (الوالد) أو (البالغ) أو (الطفل) . ونجد أن الشخص ينتقل من حالة إلى أخرى وفق استعداده الشخصي ، والموقف الذي يدخل فيه (حالة المدير مع زملائه ، ومع الموظف الصغير ، ثم وهو يلعب في النادي) .

إذا قلنا لشخص ما « هذا هو (الوالد) فيك » ، فهذا يعني ، « أنت الآن

في نفس الحالة العقلية التي اعتاد والداك أن يظهرها بها ، وأنتك تستجيب بمثل استجابتهما ، وتأتى نفس حركاتها ، وتستخدم نفس تعبيراتها ، وتشعر نفس شعورهما . الخ . وبالطبع ، عندما نتكلم عن الوالدين ، فنحن نعنيهما ، أو نعني بدائلهما في حياة الشخص .

وإذا قلنا لشخص « هذا هو (البالغ) فيك » ، فهذا يعنى ، « أنك قد أجريت تقييماً للموقف يتسم باستقلال الرأى والموضوعية ، وانك عاجلت الموقف الذى تواجهه ، أو الفكرة التى تطرحها ، أو المشكلة التى تحلها ، بطريقة تخلو من التعصب والانحياز .

وإذا قلت له « هذا هو (الطفل) فيك » ، فهذا يعنى ، « أن استجابتك للأقوال والأحداث شبيهة باستجابتك التى كنت تبديها وأنت طفل صغير » وهذا يفيد الآتى :

١ - كل فرد كان له والدين (أو بدائل للوالدين) ، يحمل فى داخله مجموعة من الحالات الشعورية ، التى تستمد وجودها من الحالات الشعورية لهذين الوالدين ، كما أدركها هو فى طفولته . هذه الحالات الشعورية يمكن تنشيطها فى ظل ظروف معينة .

٢ - كل فرد - بما فى ذلك الأطفال والمتخلفين عقلياً المصابين بانفصام الشخصية - قادر على اتخاذ موقف موضوعى فى مواجهة حدث ما ، إذا ما تم استشارة الحالة الشعورية المناسبة لديه .

٣ - كل فرد ، كان يوماً ما أصغر مما هو الآن ، وهو يحمل داخله مخلفات ثابتة من سنواته الأولى . هذه المخلفات يمكن تنشيطها فى ظل حالات شعورية خاصة .

التحليل التركيبي :

من المناسب ، عند هذه النقطة ، أن نرسم شكلاً تركيبياً ، يوضح تركيب الحالات الشعورية داخل الشخص ، أو الشخصية الكاملة لأي فرد ، شكل (١ - أ) . وهو يتضمن الحالات الشعورية للفرد باعتباره (والد) و (بالغ) و (طفل) . وقد تم الفصل بين هذه الحالات عمداً ، لأنها تختلف عن بعضها اختلافاً كبيراً ، ولأنها غالباً ما تكون متناقضة . قد يكون التفريق بينها غير واضح للملاحظ الذي لا يتمتع بخبرة كافية ، لكنها ما تلبث أن تتبدى بشكل مؤثر ومثير للاهتمام ، بالنسبة لكل من يجهد نفسه في فهم التحليل التركيبي

وعندما نورد فيما بعد اصطلاحات (الوالد) و (البالغ) و (الطفل) . بين قوسين هكذا ، فإننا نعني بذلك الإشارة إلى الحالات الشعورية المختلفة التي يمر بها الشخص الواحد . ويمثل شكل (١ - ب) تبسيطاً لشكل (١ - أ) ، سنلجأ إليه في التعبير عن الشكل التركيبي لأي إنسان .

والد
«و»

بالغ
«ب»

طفل
«ط»

(ب)

الشكل المبسط

الحالة
الشعورية
للأب

الحالة
الشعورية
للبالغ

الحالة
الشعورية
للطفل

(ج)

تركيب الشخصية

شكل (١)

معنى الكلمات :

وقبل أن نترك موضوع التحليل التركيبي للإنسان ، يجدر بنا أن نلقى مزيداً من الضوء على بعض الأمور ، حسماً لأي خلط :

١ - كلمة «طفولي» لا نستعملها بناتاً في علم تحليل التعاملات ، نظراً لما شاع من كراهية ورفض إزاء هذا التعبير ، واعتباره من الأمور التي يجب على الإنسان أن يتجنبها . وعندما نذكر (الطفل) في كلامنا ، فنحن نعي موقف الطفل داخل الإنسان . والواقع ، أن (الطفل) يكون في كثير من الأحيان أثنى جوانب الشخصية . يمد حياة الشخص بنفس ما يمده الطفل الحقيقي في حياة الأسرة .. السحر والسرور والابتكار . إذا كان (الطفل) في شخص ما مرتبكاً ، وفي حالة غير صحية ، قاد ذلك إلى نتائج سيئة . ولا بد لنا في هذه الحالة أن نبذل جهداً لتقوم ذلك الارتباك .

٢ - نفس الشيء ينسحب إلى تعبير «غير بالغ» ، أو «غير راشد» . فمن وجهة نظر أريك بيرن ، يوجد فقط أشخاص يتضخم لديهم (الطفل) بشكل غير طبيعي ويؤثر على سلوكهم ، لكن هؤلاء الأشخاص يكون لديهم (البالغ) كامل التكوين ، والذي لا يحتاج سوى إلى كشف الغطاء عنه وتنشيطه . ومن ناحية أخرى ، يصبح الدين نطلق عليهم صفة «الأشخاص الناضجين» ، هم الأشخاص القادرين على الالتزام بموقف (البالغ) في معظم تصرفاتهم . لكن (الطفل) فيهم لا بد أن يشق طريقه في لحظة ما ، وغالباً ما يتم هذا في ملاسبات ضارة بالشخص .

٣ - يجب ملاحظة أن (الوالد) له مظهران ، مباشر وغير مباشر . في المظهر الأول ، يستجيب الشخص في موقف ما ، بنفس استجابة والده أو والدته في الموقف الشبيه . وفي المظهر الثاني ، يستجيب الشخص

بالطريقة التي أراد له الوالدان أن يستجيب بها .
٤ - كذلك نلاحظ أن (الطفل) له مظهران : (الطفل) بالتبني ، و
(الطفل) الطبيعي في حالة (الطفل) المتبني ، يشكل الشخص سلوكه
وفقا للتأثيرات الأبوية . فهو يتصرف كما يطلب منه الأب ، أو الأم ،
أن يتصرف . أما (الطفل) الطبيعي ، فهو التعبير التلقائي .

خواص الحالات الشعورية الثلاث :

الحالات الشعورية الثلاث هي ظواهر فسيولوجية طبيعية . فالعقل البشري
هو عضو تنظيم الحياة النفسية ، ونتائج جهده يتم تنظيمها وتخزينها في شكل
حالات شعورية . وكل نمط من الحالات الشعورية له قيمته الحيوية في الكيان
الإنساني .

ففي (الطفل) يكمن الحدس ، والخلاقية والابتكار ، والاندفاع التلقائي
والاستمتاع بالحياة . وفيه التسجيل الدائم للأحداث الداخلية كاستجابة
للأحداث الخارجية ، في السنوات الخمس الأولى من الحياة . وتكون معظم
الأحداث الداخلية المحتملة على شكل مشاعر . وهذه المشاعر غالباً ما يتم
اجترارها في الحاضر عندما نوضع في موقف شبيه لذلك الذي كان فيه الطفل
الصغير ، عندما كان محاصراً ، معتمداً على غيره ، متهماً بدون وجه حق ،
غليظاً ، يفتقد المعرفة . واليوم عندما يواجهنا من يتهماً متخذاً سمت
الوالدين ، فقد يدفنا ذلك إلى الوراثة هناك ، حيث كنا ذات يوم .

وفي (الطفل) تكمن أيضاً الحاجات البيولوجية ، والتسجيلات الوراثية ،
والكيان الجسدي للإنسان . يكمن فيه الفضول مع الحدس ، وعالم من الفرحة
والحزن ، كما تكمن في (الطفل) كل الرغبات .

و (الطفل) هو أكثر جوانب الإنسان بعثاً للسرور ، أو يمكن أن يكون

كذلك ، إذا أردنا الدقة ، وإذا ما تحورت طاقات الابتكار والابداع والعفوية فيه .

وفي نفس الوقت يمكن أن يصبح (الطفل) مصدرًا للمشاكل في الشخصية ، إذا كان خائفًا ، أو مهددًا ، أو أنانيًا .

وعندما يبلغ الوليد عشرة أشهر من عمره ، وربما قبل ذلك ، يكون قد طور قدرات التحكم في حركاته ، والقوة اللازمة التي تتيح له أن يبدأ في استكشاف الأشياء ، واستكشاف نفسه . وما يلبث أن يجبو ، ويتسلق ، ويسير ، ويجرى . لقد دخل الآن العصر الذهبي للحركة الواسعة . وهو يفكر أيضًا ، مضيفًا إلى مضمون الحياة الذي تلقاه من والديه ، ومضمون الحياة الذي تبناه الطفل ، مضمونًا جديدًا للحياة من واقع خبراته الخاصة الجديدة . إنه يبدأ في تشكيل فهمه الخاص ، ويبدأ في الانفصال عن أمه ، ويتعلم أن يقول : لا . وعندما تنمو مفرداته اللغوية ، يبدأ في التساؤل : لماذا ؟ . كل هذه العناصر من النشاطات الفردية ، تكون مستمرة من ذلك الكيان النامي من شخصيته والذي نطلق عليه (البالغ) .

(البالغ) يعلل ويفكر ويتوقع ، ويحدد للشخص كيف ينجز الأشياء . ومع الوقت يبدأ (البالغ) في حساب العواقب . وبينما يتبنى (الطفل) موقف «أريد أن أفعل ..» ، يتبنى (البالغ) موقف «كيف أفعل ..» ، معتمدًا بشدة على ما تعلمه من والديه .

و (البالغ) ضروري لمواصلة الحياة ، فهو ينظم المعلومات والمعطيات ، ويحسب الاحتمالات ، وهو أمور ضرورية للتعامل مع العالم الخارجى ، بشكل فعال . فعبور شارع مزدحم ، على سبيل المثال ، يقتضى إجراء سلسلة مركبة من حسابات السرعة ، التي تقود إلى الجانب الآخر من الشارع بأمان ، وهذه من بين وظائف (البالغ) .

ولا يجب أن نعتبر (البالغ) مجرد جانب وظيفي من الشخصية ، فهو في نفس الوقت حالة يمكن أن يلاحظها الآخرون فالشخص الذى فى حالة (البالغ) يبدو مفكراً عقلياً ، يعيش (هنا) و (الآن) كما أن (البالغ) من واجبه تنظيم نشاطات (الطفل) و (الوالد) ، والعمل على التوفيق بينهما بشكل موضوعى .

أما (الوالد) فله وظيفتان أساسيتان . فهو الذى يتيح للفرد أن يقوم بدور الأب فى مواجهة أولاده ، بكفاءة عالية ، الأمر الذى يساعد على تواصل الأجيال . وتنعكس هذه الوظيفة على تربية الأبناء . فالآباء الذين حرموا من الوالدين منذ صغرهم ، يكون هذا الواجب قاسياً عليهم ، حافلاً بالمصاعب والعقبات ، إذا قارنا بينهم وبين الآباء الذين تمتعوا فى طفولتهم بحياة كاملة فى أسرهم .

والوظيفة الثانية (للوالد) هى جعل ردود الفعل آية ، مما يوفر قدراً كبيراً من الوقت والجهد . فالكثير من الأمور تتم بطريقة معينة ، لأنه « هكذا يجب أن تتم » . وهذا يعنى الإنسان من التفكير فى اتخاذ قرارات خاصة بالنسبة لأمر تافه قليلة الأهمية ، حتى يمكن أن يتفرغ لما هو أهم ، تاركاً (الوالد) يتخذ القرارات الروتينية . فى حالة (الوالد) نحن ندير تسجيلات ، ولا نفكر .

الفصل الثاني
تحليل التعمّلات

تحليل التعاملات

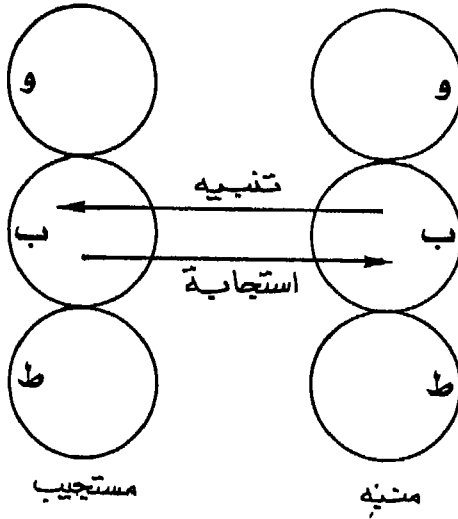
التعامل هو وحدة العملية الاجتماعية إذا تقابل شخصان أو أكثر في تشكيل اجتماعي ، فسيكلم أحد الأشخاص ، إن آجلاً أو عاجلاً ، أو يصدر عنه ما يفيد معرفته بوجود الآخرين . هذه الحركة الأولى يطلق عليها اسم (منبه التعامل) . ولا بد للشخص الآخر أن يقول أو يفعل شيئاً ، يرتبط بشكل ما بهذا المنبه ، ونطلق على هذا (استجابة التعامل) .

وتحليل التعاملات البسيط ، يختص بتحديد نوع الحالة الشعورية التي صدر عنها منبه التعامل وكذلك التي صدرت عنها استجابة التعامل .

وأبسط أنواع التعامل ، هو الذي يصدر فيه المنبه والاستجابة من موقف (البالغ) للأشخاص الداخلين في هذا التعامل . ففي العملية الجراحية ، يقدر الجراح (منبه التعامل) من الظروف التي أمامه ، إنه يحتاج إلى المشروط ، فيرفع كفه . المستجيب في هذا التعامل ، يدرك مغزى هذه الحركة بشكل سليم ، ويجرى تقديرًا للجهد المطلوب ، والمسافات الداخلة في العمل المطلوب منه ، ثم يضع مقبض المشروط ، بالضبط حيث يتوقعه الجراح . والتعامل الأقل بساطة من السابق ، هو الذي يتم على مستوى (طفل - والد) . الابن الحمووم يطلب كوباً من الماء ، فتستجيب أمه العطوف ، وتحضرها له .

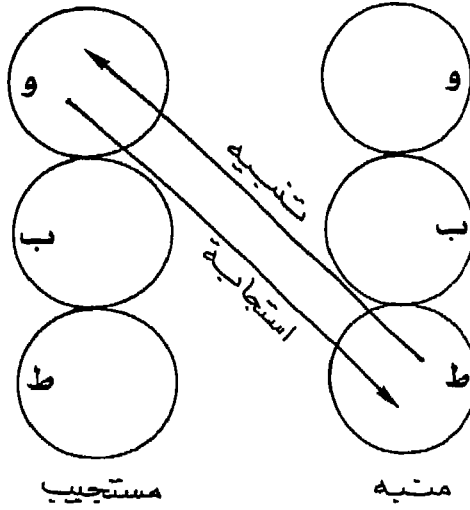
كل تعامل من التعاملين السابقين يعتبر متكاملًا ، بمعنى أن الاستجابة تكون متوقعة ومتوافقة مع النظام الطبيعي للعلاقات البشرية السليمة . والشكل (٢-أ) يصور التعامل الأول ، وهو ما نطلق عليه «النمط الأول للتعامل المتكامل» . أما الشكل (٢-ب) فنرى فيه تصويرًا للتعامل الثاني «النمط الثاني للتعامل المتكامل» .

ومن الثابت أن التعاملات تتم في سلسلة ، بحيث تصبح كل استجابة منبهًا جديدًا . وأول قواعد الاتصال ، هي أن الاتصال يتواصل بيسر طالما أن التعاملات الداخلة فيه متكاملة . وهذه القاعدة لا تتوقف على طبيعة أو محتوى التعاملات ، وإنما على اتجاهات الأسهم الداخلة في التعامل .



تعاملي متكامل

شكل (٢-ب)



تعامل متكامل
شكل (٣ - ب)

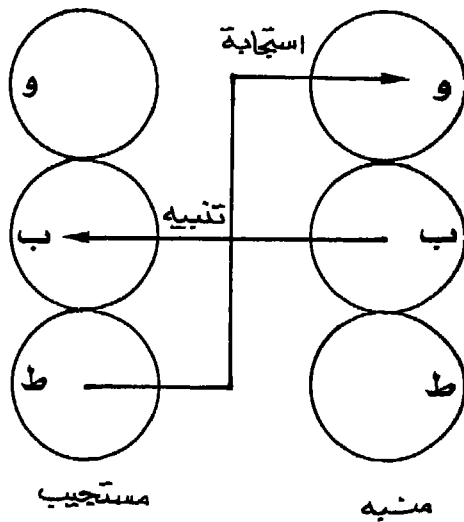
التعامل المقطوع :

مقلوب القاعدة السابقة هو أن الاتصال ينقطع عندما يظهر التعامل المقطوع .

وأكثر أشكال التعامل المقطوع شيوعاً يصوره شكل (٣ - أ) ، وهو مصدر معظم المشاكل الاجتماعية بين البشر في جميع المجتمعات ، سواء في الزواج أو الحب أو الصداقة أو العمل . وهذا النوع من التعامل المقطوع ، هو موضوع الاهتمام الأساسي للأطباء النفسيين .

الحوارات التالية ، تعطى مزيداً من الوضوح حول التعامل المقطوع واختلافه عن التعامل المتكامل .

عندما يكون المنبه على مستوى (بالغ - بالغ) ، كأن تقول الزوجة لزوجها «علينا أن نصل إلى الأسباب التي قادت إلى احتسائك الخمر في الأيام الأخيرة» ، يكون المفروض أن يستجيب الزوج أيضاً على مستوى (بالغ - بالغ) ، فيقول «فعلاً ، لا بد من تحديد أساس هذه الظاهرة ، وأنا أحب أن أعرف الأسباب التي قادتني إلى هذا...» . وبهذا يكون التعامل متكاملًا . أما إذا كانت استجابة الزوج على مستوى (طفل - والد) ، فسيقول لزوجته ، بعد أن أثارت ملاحظتها غضبه ، « أنت دائماً تنقدين تصرفاتي ، بمثل ما كان يفعل أبي ! . » لقد أصبح التعامل مقطوعاً .

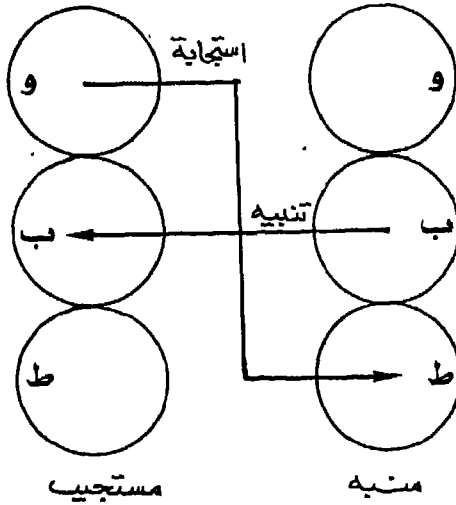


تعاملمقطوع

شكل (٣-١)

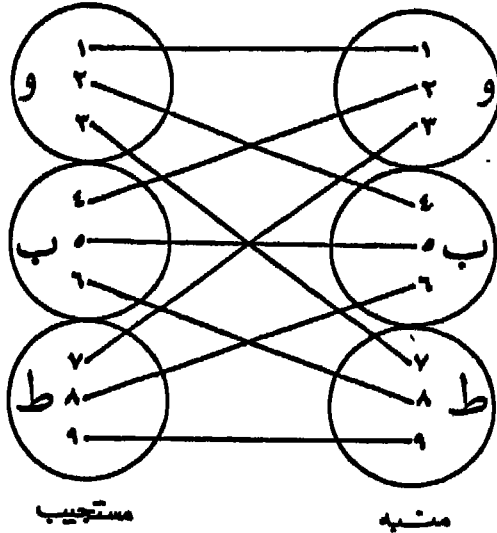
ومثال آخر يبدأ الزوج من مستوى (بالغ - بالغ) فيسأل الزوجة «أين أجد جوربي الأخضر؟» ، فإذا استجابت الزوجة على مستوى (بالغ - بالغ) أيضًا ، ستجىء اجابتها على صورة «إنه في الدرج السفلى» . أما إذا أثار السؤال غضب الزوجة ، واستجابت على مستوى (والد - طفل) ، قاطعة التعامل ، فستقول «انت هكذا دائماً ، كالطفل الصغير ، لا تستطيع أن تستدل على الأشياء التي تخصك» . شكل (٣ - ب) .

وكما يظهر في الرسم ، تتقاطع اتجاهات الأسهم ، في التعامل المقطوع . وفي هذه الحالة تظل المشكلة معلقة (سواء كانت احتساء الخمر ، أو العثور على الجرب) ، حتى يتم تصحيح مسار خطوط التعامل .



تعاملمقطوع
شكل (٣ - ب)

ويوضح شكل (٤) الاحتمالات التسعة الممكنة لاتجاهات الفعل الاجتماعي ، بين منبه ومستجيب . التعاملات المتكاملة هي التي تتم بشكل متكافئ ، إذا صدر منبه التعامل من مستوى (بالغ - بالغ) يكون مستوى الاستجابة (بالغ - بالغ) ، أو إذا صدر منبه التعامل من مستوى (طفل - والد) ، كان مستوى الاستجابة (والد - طفل) . ويمثل هذا في الشكل التعاملات (١ - ١) ، (٥ - ٥) ، (٩ - ٩) في الاتجاهين كل مرة ، ثم (٢ - ٤) مع (٤ - ٢) ، (٣ - ٧) مع (٧ - ٣) ، (٦ - ٨) مع (٨ - ٦) وجميع التعاملات الباقية تعتبر تعاملات مقطوعة ، وهي تكون أشبه بمن يلقى سؤالاً باللغة العربية ، فيتلقى كلاماً باللغة الصينية ! .



رسم يبين العلاقات
بشكل (٤)

التعاملات الخفية :

التعاملات المتكاملة البسيطة تتحقق غالبًا في الأعمال السطحية ،
والعلاقات الاجتماعية ، ويكون من السهل أن يتسلل إليها الاضطراب عن
طريق تعامل مقطوع بسيط . ويمكن تعريف العلاقات السطحية ، بأنها
العلاقات المحصورة في التعاملات المتكاملة . ويتحقق هذا النوع في أنواع
النشاط الاجتماعي ، وممارسة الطقوس ، والتسلية .

أما التعاملات الخفية ، فهي من الأشكال الأكثر تعقيدًا ، وتتضمن
استخدام أكثر من حالتين من الحالات الشعورية ، في نفس الوقت ، وهذا
النوع هو أساس الألعاب .

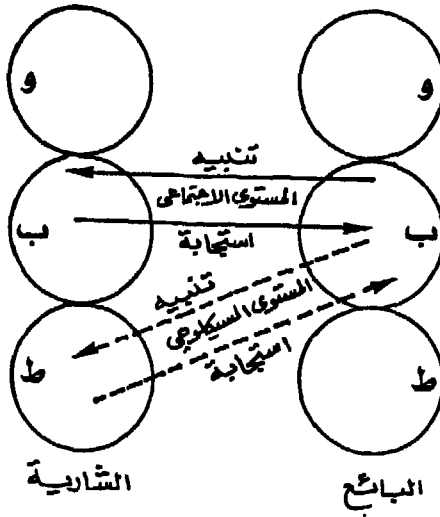
يتخصص الباعة المتجولون في التعاملات الخفية ، والتي تتضمن ثلاث
من الحالات الشعورية ، وفيما يلي مثال لهذا التعامل ، يعبر أحسن تعبير عن
هذه الحالة ، رغم بساطته :

البائع المتجول : هذه أفضل .. ولكن ثمنها مرتفع بالنسبة لك .
ربة البيت : وهذه بالضبط ما سأشتره .

الرسم في شكل (٥-أ) فيه تحليل لهذا التعامل . البائع المتجول (بائع)
يقرر حقيقتين موضوعيتين «هذه أفضل» ، ثم «ثمنها مرتفع بالنسبة لك» .
على المستوى الظاهر أو الاجتماعي يبدو أن أقواله موجهة إلى (البائع) في ربة
البيت ، والتي من المفروض أن تكون استجابة (البائع) فيها على صورة «أنت
محق في القولين» .

لكن الاتجاه الخفي أو السيكولوجي للتعامل يتم متجهًا من (البائع) المدرب
المحنك عند البائع ، إلى (الطفل) في ربة البيت . وسلامة تقدير البائع
تؤكدها استجابة (الطفل) في ربة البيت ، والتي تقول في واقع الأمر
«بصرف النظر عن العواقب المالية ، سأشترها ، لأنبت لهذا البائع أنني

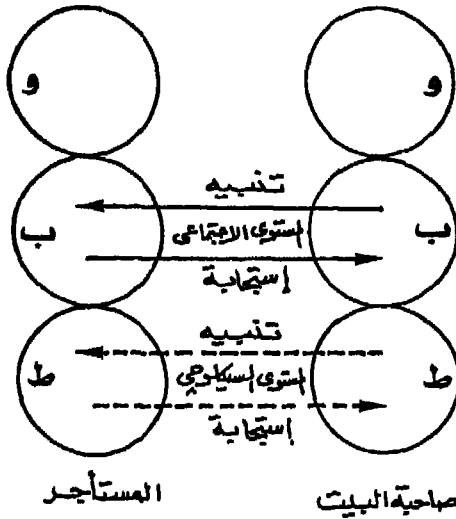
لا أقل عن أى من زبائنه !»
 فى هذه الحالة ، يكون التعامل متكاملأ على المستويين . (بالغ - بالغ)
 على المستوى الاجتماعى الظاهر ، و (بالغ - طفل) على المستوى السيكولوجى
 السرى .



تعامل زاوى مزدوج
 شكل (٥ - ب)

التعامل الخفى المزدوج :
 والتعامل الخفى المزدوج ، يتضمن أربع حالات شعورية ، وليس ثلاثا .
 ويظهر غالبأ فى ألعاب الغزل .
 صاحبة البيت : بعد أن استعرضنا الشقة ، يمكن أن نصعد لترى الغرفة
 التابعة لها على سطح المنزل .

المستأجر اللعوب : أعشق الغرف التي على السطح ، منذ صغرى
وكما هو واضح في شكل (٥ - ب) ، يكون هذا الحوار ، على المستوى
الاجتماعي ، بين (بالغين) ، ويدور حول الغرف التي على أسطح المنازل
لكنه يكون في حقيقته على المستوى السيكولوجي الخفي ، حواراً بين (طفلين)
عن الجنس ، حيث ترتبط غرف الأسطح بالمغامرات العاطفية الصبيانية . وفي
كثير من الأحيان يتبه المشاركون في مثل هذا التعامل إلى حقيقة منطلقها ،
بشكل مفاجئ .



تعامل مركب
شكل (٥-ب)

الإجراءات والطقوس

عادة ما تتابع التعاملات في سلاسل . ولا تكون هذه السلاسل عشوائية ، بل تخضع لبرامج سابق تحديدها . ومصادر هذه البرمجة أحد ثلاثة : إما (الوالد) ، أو (البالغ) ، أو (الطفل) . وبشكل أعم ، تكون : إما المجتمع ، أو الواقع المادى ، أو الغريزة .

وحيث أن الحاجة إلى التكيف ، تقتضى أن تتوفر حماية (الطفل) بواسطة (الوالد) أو (البالغ) ، إلى حين اختبار كل موقف من المواقف الاجتماعية ، فإن برمجة (الطفل) تجد مرتعاً خصباً في المواقف التي تتوفر فيها الخصوصية والألفة ، ولأن مثل هذه المواقف تتحقق بعد أن تنتهى الاختبارات الأولية . وأبسط أشكال النشاط الاجتماعى هي : الاجراءات والطقوس . ورغم أن هناك جانبا محليا في الاجراءات والطقوس ، وجانبا عالميا عاما ، إلا أنها تدخل جميعاً في خبرة الفرد بالتعلم .

الاجراءات :

الاجراءات هي سلسلة من التعاملات المتكاملة البسيطة ، التي يقوم بها (البالغ) ، والتي تستهدف التعامل مع الواقع .
والواقع ، يكون ثابتاً أو متحركاً .
الواقع الثابت ، يتضمن كل الترتيبات المحتملة للمادة فى الكون . وعلم

الحساب ، على سبيل المثال ، يتكون من حقائق حول الواقع الثابت .
أما الواقع المتحرك ، فيمكن تعريفه على أنه احتمالات التأثير المتبادل لكل
أشكال وأنظمة الطاقة في الكون وعلم الكيمياء ، مثلاً ، يتضمن حقائق
عن الواقع المتحرك

والاجراءات ، تقوم على التعامل مع المعطيات ، وتقدير الاحتمالات التي
تتصل بمادة الواقع ، وتصل إلى قمتها في التكنيك الحرفي . فقيادة طائرة ، أو
إجراء عملية جراحية لاستئصال الأعور ، تعتبر من الاجراءات . وكذلك يعتبر
العلاج النفسى من الاجراءات ، طالما أنه يتم تحت سيطرة (البالغ) في المعالج
النفسى ، ولا يصبح من الاجراءات عندما تكون الغلبة فيه من نصيب
(الوالد) أو (الطفل) في الطبيب المعالج . وبرمجة اجراء من الاجراءات
يحدده الواقع المادى ، على أساس التقديرات التي يقوم بها (البالغ) في
الشخص المتصدى لها .

وهناك عنصران متغيران يستخدمان في تقييم الاجراءات . فيوصف الاجراء
بأنه «كفاء» عندما يقوم الشخص بأفضل استخدام للمعلومات والخبرات
المتاحة له ، بصرف النظر عن أى قصور في هذه المعلومات أو الخبرات . فإذا
تدخل (الوالد) أو (الطفل) فسد التصرف ، وتتنى عنه صفة «الكفاءة»
الكاملة . أما «فعالية» الإجراء ، فتقاس بنتائج الفعلية . ومن هنا ، يمكن
اعتبار الكفاءة معياراً سيكولوجياً ، والفعالية معياراً مادياً

الطقوس :

والطقوس ، من وجهة النظر الحديثة ، هى سلسلة من التعاملات
المتكاملة البسيطة ، ذات النمط الثابت ، تقوم القوى الاجتماعية الخارجية
ببرمجتها .

الطقس غير الرسمى ، لعملية توديع المسافر ، قد تكون له تنويعات محلية

ملحوظة من حيث التفاصيل ، وإن بقي الشكل الأساسي له واحداً .
أما الطقس الرسمي ، مثل إقامة قداس بين طائفة الروم الكاثوليك ،
فيعترك مجالاً أقل للاختيار .

وشكل أى طقس من الطقوس يتم تحديده اعتماداً على التقاليد ، من
موقف (الوالد) وهناك بعض التأثيرات الحديثة من موقف (الوالد) ، والتي
تشبه الطقوس ، وإن كان أثرها أقل أهمية .

وبعض الطقوس الرسمية ذات القيمة التاريخية ، أو ذات الأهمية من
وجهة نظر علم الأجناس البشرية ، يكون لها شكلان : (١) شكل تسريفيه
التعاملات تحت المحاظير الجامدة التي تصدر من موقف (الوالد) ، (٢)
وشكل تنطلق فيه التعاملات من اباحة أو رخصة يعطيها (الوالد) ، وفيها
ينطلق (الطفل) معربداً ، وقد حظى بجرية مطلقة في تعاملاته .

إحصاء الريتات :

يقول أريك برن إن الطقوس غير الرسمية تكون لها دلالتها كمقدمة لتحليل
الألعاب . ويقول إن أكثرها دلالة ، تلك الطقوس التي تتضمن التحية عند
الأمريكيين .

الأول (١) : «هاى» (بمعنى أهلاً ، صباح الخير) .

الثاني (١) : «هاى» (بمعنى أهلاً ، صباح النور) .

الأول (٢) : «أرجو أن يكون الطقس مرضياً لك من حيث دفته»

(بمعنى كيف حالك؟) .

الثاني (٢) «طبعاً ، وإن كان يبدو انها ستمطر» (بمعنى ، شكراً ،

وكيف حالك أنت؟) .

الأول (٣) : «اهتم برعاية نفسك جيداً» (بمعنى : وهو كذلك) .

الثاني (٣) : «نراك قريباً» .

الأول (٤) : «هاى» .

الثانى (٤) : «هاى»

من الواضح أن تبادل الحوار هنا لا يستهدف نقل المعلومات . وفى حقيقة الأمر ، إذا ما كانت هناك معلومات ما ، فقد جرى سترها وحجبها بحكمة . فالأول يحتاج إلى ١٥ دقيقة على الأقل ، ليشرح «كيف حاله» . والثانى ، الذى تعتبر معرفته بالأول سطحية ، غير مستعد أن ينفق مثل هذا الوقت فى معرفة أحوال الأول

يقول أريك بيرن : إن هذه السلسلة من التعاملات ، تعتبر نموذجاً دقيقاً لما يمكن أن نطلق عليه (طقس الربتات الثنائية) .

إذا كان الأولى والثانى فى عجلة من أمرهما ، اكتفيا بتبادل (ربتان) فقط ، على شكل تحية سريعة «أهلاً - أهلاً» . وإذا كانا من أبناء المجتمعات الشرقية ، فقد تحتاج التحية بينهما إلى ما يزيد عن مائتى ربتة . الأول والثانى يتبادلها هذه الربتات ، قد تبادلًا تحسناً طفيفاً فى حالتها النفسية ، فلذا يكون كل منهما ممتن للآخر .

وهذا الطقس ، قد قام على تقدير حدسى أو تخمينى للاحتتمالات ، اجراه طرفا التعامل بعناية وحرص . لقد قدرا أنه فى هذه المرحلة من تعارفهما ، يدين كل منهما للآخر بأربعة ربتات عند كل لقاء ، وليس أكثر من مرة واحدة فى اليوم الواحد . فإذا ما حدث بينهما لقاء آخر فى نفس اليوم ، ولنقل بعد نصف ساعة ، ولم يكن لديها ما يتبادلاه بخصوص العمل ، فمن الممكن أن يمضيا كل فى طريقه بلا أى اشارة ، أو بمجرد هزة رأس ، أو على الأقصى بتحية (أهلاً - أهلاً) الشكلية جداً . هذا الحساب للربتات لا ينسحب فقط على اللقاءات المتقاربة ، بل يظل كما هو حتى لو تباعدت اللقاءات لعدة شهور .

وحدات الاهتمام :

والآن دعنا نلقى نظرة على حالة رجلين يتقابلان مرة في اليوم على الأقل ،
فيتبادلان (أهلاً - أهلاً) التقليدية وبمضى كل منهما إلى سبيله . نتصور أن
الأول قد قام بأجازة لمدة شهر . في اليوم الأول لعودته ، يلتقي بالثاني
كعادته . إذا اكتفى الثاني في هذه المناسبة بقوله (أهلاً) فقط ، تكدر الأول .
فحساباته تقول إنه يستحق ٣٠ رتبة على الأقل يتبادلها مع الثاني في هذه المناسبة .
وقد يقبل الأول تخفيضاً في عدد الرتب ، لو كانت من النوع الثقيل ، الذي
ترتفع فيه قيمة الرتبة عن وحدة (اهتمام) واحدة .

والمثل التالي لمبادرات الثاني ، تعطى فكرة عن مسألة وحدات (الاهتمام)
هذه :

- ١ - الثاني : « أهلاً .. » ، (وحدة اهتمام واحدة) .
 - ٢ - الثاني : « لم يرك منبذ زمن طويل » ، (وحدتان)
 - ٣ - الثاني : « آه .. حقاً .. وإلى أين سافرت ؟ » ، (٥ وحدات) .
 - ٤ - الثاني : « غير معقول .. هذا شيء مثير .. وماذا كان السبب في
ذلك ؟ » ، (٧ وحدات) .
 - ٥ - الثاني : « على كل حال ، أنت تبدو في خير صحة » ، (٤ وحدات) ،
أو « هل كانت العائلة معك في هذه الرحلة ؟ » ، (٤ وحدات) .
 - ٦ - الثاني : « عموماً .. أنا سعيد بأن أراك ثانية » (٤ وحدات) .
 - ٧ - الثاني : « إلى اللقاء .. » (وحدة واحدة) .
- وهذا يعطى الأول ما مجموعه ٢٨ وحدة اهتمام . ويدرك الأول
والثاني ، بشكل ضمني ، أن بإمكانهما أن يستكلا الوحدات الناقصة في
اللقاء التالي .. وبهذا يصبح اللقاء عادلاً . ثم بعد يومين ، يعودان إلى تحيتها
ذات الربتين (أهلاً - أهلاً) . ولكنها الآن ، « يعرفان بعضها بشكل

أفضل» ، يعرف كل منهما مثلاً أن الآخر يمكن الاعتماد عليه ، إذا ما اضطررا إلى الالتقاء (اجتماعياً) .

الربيات الناقصة والزائدة :

ولنتظر الآن في الحالة العكسية . عندما يعتاد شخصان على تبادل التحية ذات الربتين (أهلاً - أهلاً) . وفي أحد الأيام ، يتوقف الأول ويسأل الثاني «كيف حالك؟» .

ويتتابع الحوار كما يلي :

الأول (١) : أهلاً ..

الثاني (١) : أهلاً ..

الأول (٢) : «كيف حالك؟» .

الثاني (٢) (حائراً) : «لا بأس .. وأنت؟» .

الأول (٣) : «كل شيء طيب .. الجو عظيم اليوم ، أليس كذلك؟»

الثاني (٣) : «نعم» ، (بحرص) ، «بالرغم من احتمال الأمطار» .

الأول (٤) : «أنا سعيد بلقائك» .

الثاني (٤) : «وأنا كذلك .. آسف ، أنا مضطر إلى الانصراف حالياً ،

لأن المكتبة ستغلق أبوابها بعد قليل .. إلى اللقاء» .

الأول (٥) : «إلى اللقاء ..» .

أثناء انطلاق الثاني مبتعداً ، نراه يفكر «ما الذي جرى له فجأة هكذا ، أليكون راجعاً في أن يفترض مني نقوداً؟» . وباصطلاحات التعامل يمكن أن نترجم عبارته هذه إلى «كل ما يخصني منه ربتة واحدة ، لماذا يقدم إليّ خمس ربّات؟» .

أو قد يقول الأول «أهلاً ..» ، لكن الثاني يمضي دون أن يقول شيئاً ، فيفكر الأول «ماذا حدث له؟» وهو يعني بذلك في لغة التعامل «لقد قدمت

إليه رتبة ، ولكنه لم يقدم لى رتبة فى مقابلها .
ورغم صعوبة التفريق بين الاجراءات والطقوس ، إلا أن الفرق الأساسى
بينهما أن الأولى تنبع من موقف (البالغ) ، بينما تصدر الثانية من موقف
(الوالد) .

والسمة العامة للاجراءات والطقوس ، أنها جميعاً ذات أنماط تقليدية
ثابتة ، بمجرد أن تبدأ الحركة الأولى فيها ، تتداعى باقى السلسلة من
الحركات ، إلا إذا نشأ ما يوقف هذا التسلسل .

التسلية

تتحقق التسلية (أو تمضيته الوقت) من خلال قوالب اجتماعية ومؤقتة متباينة في درجة تركيبها ، ومن ثم تتنوع درجة تركيب التسلية بمدى تركيب هذه القوالب .

إذا اتخذنا التعامل كوحدة للعملية الاجتماعية ، يمكننا أن نقترح من بين المواقف المناسبة ، كياناً خاصاً نطلق عليه اسم «التسلية البسيطة» . وهي سلسلة من التعاملات شبه الطقسية ، البسيطة ، المتكاملة ، تدور حول مجال مادي ، ويكون هدفها الأساسي ، شغل فترة خالية من الوقت ، بين فترتين مشغولتين ، إما بالاجراءات أو بالطقوس . وتم برمجة التعاملات في فترة التسلية بحيث يحظى كل طرف داخل فيها بأقصى قدر من المكاسب أو المزايا ، خلال هذه الفترة .

الميدان الأكثر رواجاً للتسلية هو الحفلات (أو التجمعات الاجتماعية) ، وفترة الانتظار قبل بدء اجتماع رسمي عام . قد تأخذ التسلية شكل ما نسميه (الدردشة) ، أو قد تكون على درجة من الجدية ، بأن تتضمن نقاشاً حول فكرة ما .

وهناك أكثر من طريقة لتصنيف التسلية . التصنيف الظاهري يتضمن التسلية السيكلوجية (ويدور الحديث فيها عن الجنسية أو العمر أو الحالة الزوجية ، أو الثقافة ، أو الأحوال الاقتصادية) . هناك تسلية السيارات التي

يتبادل فيها الموجودون آراءهم في ماركات السيارة المختلفة، ومزايا كل ماركة وعيوبها، وتسلية أخرى رياضية، حول مواقف النوادي في دوري كرة القدم، ومن الذي كسب المباراة الأخيرة، وعدد نقطه وتسلية تجرى في الأغلب بين النساء، حول الجزائر والبقال، وآخر أخبار ارتفاع الأسعار، أو نقص بعض الحاجيات وتسليات أخرى عديدة، تظهر في الأحاديث القصيرة، حول العطلات، والسياحة، وآخر الأخبار.

و يتم تصنيف آخر على أساس الحالات الشعورية التي تدخل في التسلية (طفل - طفل) أو (بالغ - بالغ) أو (والد - والد).

فوائد التسلية :

والتسلية بالإضافة إلى أنها تفيد في شغل الوقت الخالي، توفر قدرًا من الرينات المتبادلة، والمقبولة بين أطرافها. وتفيد أيضًا في عملية الانتخاب الاجتماعي، فبينما تمضى مراحل التسلية في مسارها، يقوم (الطفل) في كل طرف بمراقبة الآخرين، لتقييم احتمالات المستقبل. وفي نهاية الحفل أو اللقاء، يكون كل شخص قد حدد الآخرين الذين يسعده أن يمارس ألعابه معهم، بينما يستبعد البعض الآخر. وترشحه للآخرين لا يكون على أساس مهارتهم أو خفة ظلمهم أو معلوماتهم ومعارفهم التي ظهرت أثناء التسلية. إنه يختار الأقدر والأصلح للمشاركة في علاقات أكثر تركيبيًا، نعى بذلك قدرتهم على المساهمة في الألعاب الخفية التي يمارسها. والشطر الأكبر من عملية الانتخاب هذه يتم بالحدس، وبطريقة لا شعورية.

وفي بعض أنماط التسلية يقوم (البالغ) بالسيطرة منحيا (الطفل) جانبًا. ويصبح انتخاب الأطراف الأخرى من وظيفة (البالغ). يحدث هذا، على سبيل المثال، بين مندوبي شركات التأمين على الحياة. فهم يتعلمون بمهارة كيفية القيام بالتسلية الاجتماعية، وأثناء انبهاك المندوب في التسلية، ينصت

(البالغ) فيه ، باحثًا بين المشاركين عمن يمكن ترشيحه لمزيد من التعامل ، على أمل اقناعه بشراء بوليصة تأمين . وهنا ، لا تدخل المهارة أو الطرافة أو المعرفة في الانتخاب ، بل يكون التفضيل على أساس الاستعداد المادى .

خصوصية التسلية :

تتميز التسلية بسمة محددة هى الخصوصية . فالذين يتبادلون الحديث فى شكل معين من أشكال التسلية ، لا يقبلون الشخص الذى يقتحم عليهم تسليتهم ، ليفرض شكلاً آخرًا من التسلية .. إذا كان الرجال يتحدثون عن متاعب المواصلات ، يرفضون الذى يريد أن يتحدث عن غلاء الأسعار والنساء اللاتى يتحدثن عن ظلم الرجال ، لا تعجبهن التى تريد أن تتحدث عن الأزياء .

ومن منطلق الخصوصية ، تساعد التسلية كأساس لاختيار المعارف ، والوصول بالمعرفة إلى مستوى الصداقة . فالنساء اللاتى يجتمعن صباح كل يوم ، حول فنجال القهوة ، ليتبادلن الحديث عن متاعب الحياة الزوجية ، يقابلن بهرود المرأة المستجدة التى تريد أن تبنى حبها لزوجها وسعادتها بأبنائها ، وغالبًا ما يسعى للتخلص منها .

لذا ، يصبح من أصول المساهمة فى التسلية ، أنه إذا انتقل شخص - خلال الحفلة - من جماعة إلى جماعة ، فعليه أن يلتزم بنفس التسلية التى تمارسها الجماعة الجديدة ، أو أن يبذل جهدًا لتغيير المسار الأساسى لحديثهم بشكل تدريجى .

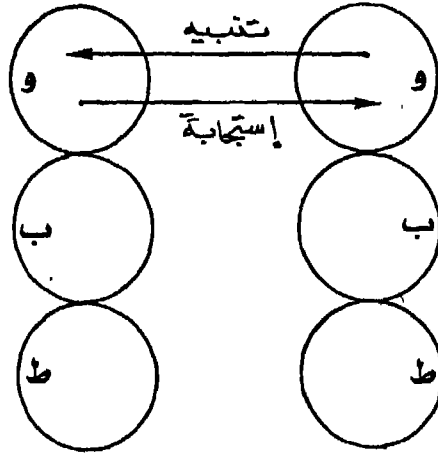
الدور والموقف :

عندما تدخل مجموعة فى تسلية ما ، ينطلق الجميع من حالة شعورية واحدة ، كأن تكون (الوالد) . إلا أن الداخلين فى هذه التسلية ، تختلف

أدوارهم . ففي الوقت الذي يمارس بعضهم دور (الوالد) العنيف يمارس الآخرون دور (الوالد) العطوف ، أو المتساهل ، أو المتقذ . ممارسة هذا الدور ، يمكن إذا ما استمرت ، أن يسود هذا الدور في تعاملات الشخص . وتحديد الدور يجعل موقف الشخص مستقرًا ، وهذه ميزة من ميزات ممارسة التسلية . فوقف الشخص يوجه ويقوم كل تعاملاته ، ويرسم مصيره على المدى البعيد ، بل ربما يرسم مصير سلالته .

ومن المواقف النمطية التي تقوم عليها بعض دروب التسلية :

- كل الأبناء أشرار .
- كل أبناء الآخرين أشرار .
- كل الأبناء يعانون من حزان دائم .



التسلية
شكل (٦-٢)

اسقاطي
«جنوح مبكر»

٦- كل الأبناء يعانون من الاضطهاد .

وكل موقف من هذه المواقف ، يكشف عن دور (الوالد) في كل حالة ، عنيقاً أم باراً أم متساهلاً أم منقذاً . ولاشك أن موقف الشخص يكشف عن تكوينه العقلي ، وهذا التكوين العقلي هو مصدر تعاملات الشخص التي تحدد دوره .

والتسلية لا يسهل تمييزها عن النشاط العملي ، فغالباً ما يتداخلان ففي تسلية أنواع السيارات ، على سبيل المثال يدور الحوار كالتالي :

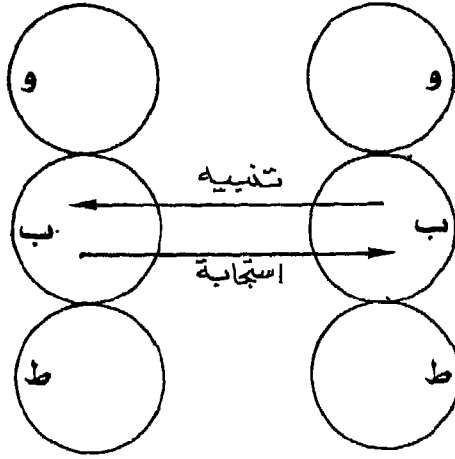
الأول : أنا أفضل سيارة (كذا) لأن محركها .

الثاني : ولكن لا تنسى أن جسم سيارة (كذا) أكثر تحملاً للصدمات ،

ولذا فإن ..

من الواضح أن الطرفين يمكن أن يصلا إلى معلومات مفيدة عملياً من خلال

هذه التسلية .



شكل (٦ - ب)

تسليه لا وعي
"التحليل النفسي"

الفصل الثالث

الألعاب الخفية

الألعاب

نصل أخيراً إلى الألعاب ، موضوع هذا الكتاب والألعاب ، هي سلسلة من التعاملات المتكاملة الخفية ، التي لا تستهدف النفع المادى ، ولكنها تستهدف عائداً أو مكسباً سبق التنبؤ به ، وتحديدته تحديداً قاطعاً . وهي مجموعة متواترة من التعاملات ، غالباً ما تكون متكررة ، مقبولة سطحياً ، لها هدفها المحدد . باختصار شديد ، هي سلسلة من الحركات تتضمن فتحاً أو مكيدة .

ويمكن تمييز الألعاب بوضوح عن الاجراءات والطقوس والتسلية ، نتيجة لخاصتين أساسيتين تتمتع بهما :

(١) طبيعتها الخفية المستورة .

(٢) عائدها أو مكسبها

الاجراءات قد تكون ناجحة ، والطقوس قد تكون مؤثرة ، والتسلية قد تكون مفيدة ، ولكنها جميعاً رغم اختلافاتها تكون صادقة وصریحة ، قد تثير بعض المنافسة ولكنها لا تثير صراعاً . ونتائجها قد تكون مثيرة ولكنها لا تكون مأساوية .

أما الألعاب ، فتكون أساساً غير أمينة أو صريحة ، وعائدها أو مكسبها يكون مأساوياً ، ولا يكون مجرد الإثارة .

اللعبة والعملية .

يبقى بعد ذلك أن نميز الألعاب عن النمط الوحيد الباقى من أنماط الفعل الاجتماعى ، والذي لم نناقشه بعد ، نعى ذلك (العملية) :

العملية ، هى تعامل بسيط ، أو سلسلة من التعاملات البسيطة ، تتم من أجل غرض محدد معلن

إذا سعى شخص إلى أن يحقق لنفسه الطمأنينة ، شكل صريح ، ثم حصل عليها ، فهذه (عملية) أما إذا حصل عليها ، ثم انقلب على الشخص الذى ساعده فى تحقيقها ، واتهمه بارتكاب رذيلة أو ظلم فى حقه ، فهذه (لعبة)

لهذا ، تبدو الألعاب ، عند النظرة السطحية ، وكأنها عمليات . ويظهر الفرق بعد أن يتحقق العائد ، وتكتشف أنها فى حقيقتها مناورات ، وأنها لم تكن مطالب أمينة ، ولكنها كانت حركات فى لعبة

التسايح الوخيمة :

ما نهم به فى هذا الكتاب ، هو الألعاب اللاشعورية ، التى يمارسها أناس أبرياء ، يدخلون فى تعاملات مزدوجة ، دون أن يدركوا ذلك وهذه الألعاب تشكل الجانب الأكبر أهمية ، من الحياة الاجتماعية ، فى جميع أنحاء العالم .

واستخدام كلمة (لعبة) لا يجب أن يكون مصدر سوء فهم لطبيعتها ، فكما أوضحنا من قبل ، لا تكون هذه الألعاب - فى أغلب الأحيان - مصدر بهجة ومتعة . كما أن التسمية لا تعنى أنها تكون سارة ، بل تحتل الوصول بمن يمارسها إلى نتائج وخيمة ، وعواقب مأساوية .

وهذه الحقيقة تنسحب أحياناً على اللعب فى حياتنا ، ويدرك هذا كل من يدخل فى (لعب) البوكر بشكل جاد ، أو من (يلعب) فى البورصة لفترات طويلة .

لعبة نموذجية

أكثر الألعاب شيوعاً بين الأزواج ، لعبة « لو لم يكن من أجل خاطرك » . وهى من أوائل الألعاب التى تم اكتشافها وسنعمد عليها فى تصوير خصائص الألعاب بشكل عام

تشكو الزوجة من أن الزوج يحرم عليها ممارسة أى نشاط اجتماعى ، تحريماً كاملاً ويرفض أن تذهب مع جاريتها إلى مدرسة التفصيل ، ولهذا لم تتعلم تفصيل الملابس حتى الآن

عندما ينجح الطبيب النفسى ، أو أصدقاء الأسرة ، فى التأثير على الزوج بحيث يصبح أقل سيطرة ، وأكثر تسامحاً ، ويسمح للزوجة أن تصاحب جاريتها فى الذهاب إلى مدرسة التفصيل عندما يتم هذا ، وتنضم لفصل تعلم التفصيل فى أول درس ، تصاب بدوار ، وتشكو من ازدحام المكان ، وتتوقف - من تلقاء نفسها - عن الذهاب إلى دروس التفصيل .

هذه المغامرة الفاشلة ، مع غيرها من المغامرات الشبيهة ، كشفت عن مظهر هام من مظاهر تركيب حياتها الزوجية هب بين الكثيرين الذين تقدموا لخطبتها ، اختارت رجلاً مسيطراً ليكون زوجها لها ، حتى يكون بإمكانها أن تشكو فى المستقبل ، قائلة إنها قادرة على كل شئ ، « لو لم يكن من أجل خاطر الزوج » .

مثل هذه الزوجة ، تكون حريصة على أن تختار لصدقتها ، الزوجات اللاتي لهن نفس ظروفها ، واللاتي اخترن أزواجاً مسيطرين ، حتى تلتقي بهن كل صباح ، لتناول القهوة ، بعد انصراف الأزواج إلى أعمالهم ، ويتسلين بتبادل « لو لم يكن من أجل خاطره » .

بالرغم من شكواها ، فقد تبين بالدراسة ، أن الزوج يؤدي لها خدمة حقيقية ، فهو يمنعها من القيام بأشياء تخشاها في أعماقها ، كما يمنعها - في واقع الأمر - من مجرد اكتشاف هذه المخاوف شعورياً ، وأن هذا هو السبب الذي من أجله اختار (الطفل) فيها هذا الزوج بالذات

تعريفات ضرورية :

بعد الزواج ، أصبح بإمكان الزوج والزوجة أن يجريا اتصالاً دائماً ببعضهما ، وهذا هو ما يسميه أريك بيرن «الاتصال الاجتماعي» . وبمجرد استثمارها لهذه الفرصة المتاحة فإن إدارتها لبيتها تسمى «تشكياً اجتماعياً» . والتشكيل الاجتماعي لا يتحقق كلما اجتمع مجموعة من الناس . فالجمهور المختشد في القطار ، يتوفر فيه الاتصال المكافي ، ولكنه نادراً ما يتاح له استثمار الفرصة ، ليتحول هذا الاتصال إلى تشكيل اجتماعي .

التأثير الذي يبذله كل من الزوجين على سلوك الآخر ، واستجابة الطرف الثاني لهذا التأثير ، يطلق عليه «فعل اجتماعي» وتبين نظم الدراسة والبحث في الفعل الاجتماعي ، ويكون لكل نظام منها وجهة النظر الخاصة ، وحيث أننا هنا ، نختص بالتاريخ الشخصي والديناميات النفسية للأفراد الداخليين في هذا الفعل ، فإن تناولنا هذا يعتبر مظهرًا من مظاهر «العلاج النفسي الاجتماعي»

«وتحليل التعامل» هو فرع من فروع طب النفس الاجتماعي .

أما «تحليل الألعاب» فهو أحد جوانب تحليل التعامل .
«تحليل الألعاب العملي» يخصص بالحالات الخاصة ، التي تظهر في مواقف معينة . أما «تحليل الألعاب النظرى» فيميل إلى تجريد وتعميم خصائص الألعاب المختلفة ، بحيث يمكن التعرف عليها ، دون النظر إلى مضمونها الحرفى والوقتى ، أو إطارها الحضارى الخارجى .

عمومية اللعبة :

التحليل النظرى للعبة مثل لعبة « لو لم يكن من أجل خاطرك » ، والتي تعتبر من ألعاب الحياة الزوجية ، يحدد خصائص هذا النمط من الألعاب ، بحيث يمكن التعرف على اللعبة ، سواء جرت في أدغال وسط أفريقيا ، أم في أكثر الأوساط الأوروبية متحضراً . وسواء كانت تتصل بالأزواج والزوجات وبمجتمعهم ، أو بالمشكلة المالية التي تنشأ عند شراء سيارة للحفيد . وبصرف النظر عن درجة تحقن أو وضوح حركات اللعبة ، وفقاً لمدى المصارحة بين الزوجين

ودرجة شيوع اللعبة ، وتفشيها في مجتمع ما ، يعتبر من الأمور التي تخص علم الاجتماع ، وعلم الأجناس البشرية ، وذلك لأن تحليل الألعاب ، الذي يعتبر فرعاً من فروع طب النفس الاجتماعى ، يختص فقط بوصف اللعبة عندما تحدث ، بصرف النظر عن مدى شيوعها في المجتمع

خطة البحث :

خطة البحث التي نفضلها فيما يلى ، وجد أنها - حتى الآن - أكثر الخطط فعالية في تحليل الألعاب نظرياً . ولاشك أن تراكم المعلومات والمعارف حول هذا الموضوع ، يمكن أن يساعد في تطويرها
الرئيسية الأولى في البحث ، هي اكتشاف أن مجموعة خاصة من

الماورات تحقق شروط لعبة ما . بعد ذلك يجرى جمع أكبر عدد من نماذج هذه اللعبة ، من واقع دراسة الحالات المختلفة . ويأتى بعد ذلك دور عزل الخصائص المميزة لهذه المجموعة من الألعاب فى هذه العملية تتضح المظاهر الأساسية للعبة .

بعد ذلك يتم اختيار اسم للعبة ، يكون - بقدر الإمكان - موحياً بطبيعتها والتحليل يسير عادة من وجهة نظر محرك اللعبة ، أو لاعبيها الأساسى

وفى اى تحليل نموذجى للعبة « لو لم يكن من أجل خاطرك » :

(١) الفرض :

تحت هذا العنوان يوضع الوصف العام للعبة ، متضمناً تتابع أحداثها الظاهرة (على المستوى الاجتماعى) ، ومعلومات عن خلفيتها النفسية ، وتطورها ، ودلالاتها المستورة (على المستوى السيكولوجى) .
فى لعبة « لو لم يكن من أجل خاطرك » تفيد التفاصيل التى ذكرناها عنها ، فى تحديد معالمها .

(٢) الفرض المضاد :

افتراض أن تتابعاً معيناً يصنع لعبة ، يظل أمراً تجريبياً ، حتى يتم إثبات وجودها
هذا الالبات يتوفر عندما نقوم بإيقاف اللعبة ، أو حرمان اللاعب من عائدها (العملية المضادة للسير الطبيعى للعبة) .

عندما يحدث هذا ، يحاول اللاعب أن يبذل جهداً مضاعفاً من أجل مواصلة اللعبة . ونتيجة الإصرار على إيقاف اللعبة ، وحرمان اللاعب من عائدها ، ينتقل اللاعب إلى حالة « اليأس » ، والتى تشبه فى بعض مظاهرها

حالة الاكتئاب النفسى ، وإن كانت تختلف عنها جذرياً .
حالة «الأس» أكثر حدة ، وتدخل فيها عناصر الحيرة والاحباط قد تظهر على ممارس اللعبة فى شكل نوبة من البكاء العنيف وفى الحالات العلاجية الناجحة ، يحل محل نوبة البكاء هذه ، حالة من الضحك الفكاهى ، تتضمن إدراك (البالغ) فى ممارس اللعبة للموقف . أى أن حالة «الأس» يتحكم فيها (البالغ) ، بينما يتحكم (الطفل) فى حالة الاكتئاب .
«الاكتئاب» عكسه الأمل والحماس واهتمام الشخص بمحيطه ، أما عكس «الأس» فهو الضحك

يكون الغرض المضاد ، أو إيقاف اللعبة ، فى حالة «لوم يكن من أجل خاطرك» بأن يبيع الطرف المسيطر لممارس اللعبة أن يفعل ما كان يسعى إليه فاللعبة تستمر طالما كان الزوج مصراً على حرمان الزوجة من دروس الحياة (أو بمعنى أوسع الاختلاط الاجتماعى) فإذا قال لها «هيا افعل ما تريدن» ، سنكتشف المخاوف الخبيثة ، ويصبح من الصعب على الزوجة أن تلوم زوجها

(٣) الهدف :

تحدد هنا الأغراض العامة للعبة ، وبدائل هذه الأغراض فى بعض الأحيان
فى لعبة «لوم يكن من أجل خاطرك» يكون الهدف ، إما الرغبة فى الشعور بالأمان (ليس الأمر أنى خائفة من الاختلاط ، لكنه فى معنى من الاختلاط) ، أو الرغبة فى التبرير (ليس الأمر أنى لا أحاول ، ولكن فى أنه يمنعى) فى المثال الذى أعطيناه لهذه اللعبة يكون الهدف الأقرب هو الرغبة فى الشعور بالأمان ، وتتفق مع احتياجات هذه الزوجة .

(٤) الأدوار :

الحالات الشعورية للشخص . مثل (الوالد) و (البالغ) و (الطفل) لا يمكن أن نعتبرها أدواراً ، فهي ظواهر وعند التشخيص ، يجب أن نميز بين حالات الشعور والأدوار

والألعاب توصف بأنها ثنائية أو ثلاثية أو جماعية ، وفقاً لعدد الأدوار الداخلة فيها والحالة الشعورية للإنسان الذي يمارس اللعبة ، تقود أحياناً إلى تحديد دوره في اللعبة ، وفي حالات أخرى لا يجرى الأمر على هذا المنوال

ولعبة «لوم لم يكن من أجل خاطرك» هي لعبة ثنائية ، تتضمن في حالتنا هذه زوجة مقيدة وزوج مسيطر بإمكان الروجة أن تلعب دورها من موقف (البالغ) الحكيم ، فتقول «من الأفضل أن أطيع كلامه» ، أو من موقف (الطفل) المشاكس . والزوج المسيطر قد يتخذ موقف (البالغ) ، فيقول «أفضل حل هو أن تصرفي وفق ما طرحته» ، أو ينزلق إلى دور (الوالد) ، حيث يقول «الأفضل لك أن تنفذي كلامي»

(٥) الآليات (الديناميات) :

هناك عدة بدائل في تحديد القوى النفسية المحركة للعبة في كل حالة من الحالات ومن الممكن عادة التقاط شكل خاص لهذه القوى ، نستطيع عن طريقه أن نلخص الحالة بشكل مفيد ، له معناه .

وفي وصف آليات لعبة «لوم لم يكن من أجل خاطرك» ، أنها تنبع من مصادر الخوف المرضى

(٦) الأمثلة :

لما كانت أنماط الطفولة لأي لعبة تفيد كثيراً في دراستها ، فمن المهم البحث عن سلالات الألعاب التي ندرسها ولعبة «لوم لم يكن من أجل

خاطرك» يندر أن يجرى لعبها بين الأطفال ، إذا قيست بدرجة انتشارها بين الكبار . والصورة الطفولية للعبة هي نفس صورتها عند الكبار ، مع قيام الأب الحقيقي بدور الزوج المسيطر .

(٧) مستويات التعامل :

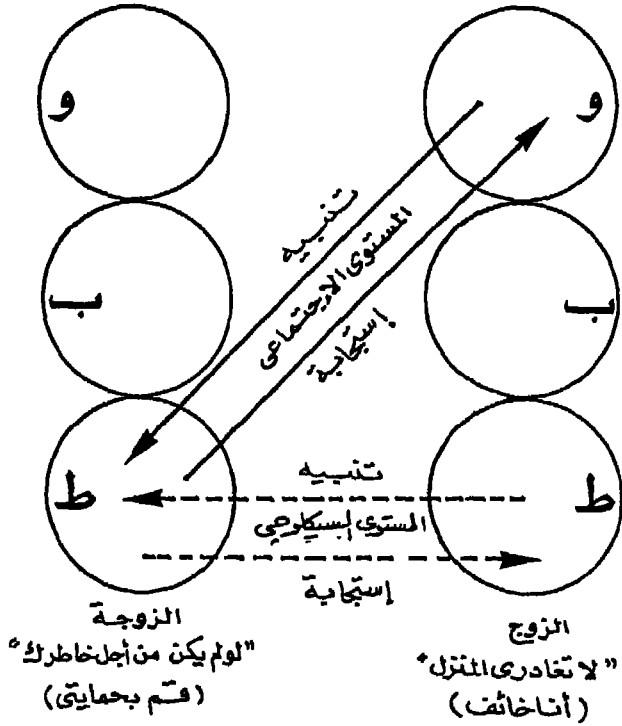
يجرى تحليل التعامل ، بالنسبة لحالة نمطية من حالات اللعبة ، بحيث يظهر المستوى الاجتماعي ، والمستوى السيكلوجي للعبة ، وبحيث تظهر التعاملات الخفية فيها ولعبة «لوم يكن من أجل خاطرك» ، في أكثر أشكالها إثارة وحيوية ، تكون في مستواها الاجتماعي ، من موقف (والد - طفل) .

الزوج (والد) : «لابد أن تظلي في البيت ، لرعاية شئون المنزل» .
الزوجة (طفل) : لوم يكن من أجل خاطرك ، لكنت الآن في الخارج مع صديقتي ، أستمتع بوقتي .

وعلى المستوى السيكلوجي الخفي ، تمضى اللعبة بشكل مختلف ، من موقف (طفل - طفل) .

الزوج (طفل) : «يجب أن أجذك دائماً عندما أعود إلى البيت . فأنا أخاف الهجر» .

الزوجة (طفل) : «سأفعل ، إذا ما ساعدتني على تجنب حالة الخوف من المجتمعات التي أعانيها .» . وستجد في شكل (٧) ، طريقة تحديد المستويين بالرسم



"لؤلؤم يكن من أجل خاطرك"
شكل (٧)

(٨) الحركات .

تشبه الحركات في اللعبة ، شكل عام ، الربتات في الطقوس وكما يحدث في الألعاب الرياضية . يصبح اللاعب أكثر تحكماً وتوافقاً مع كثرة الممارسة والتدريب ، فيستطيع أن يستأصل الحركات الزائدة ، ويصبح غرض كل حركة أكثر تركيزاً .

وهناك بعض الحركات التي تتخلل اللعبة ، أو تضاف على سبيل الحرص أو الدقة ، مما يعطى العلاقة بين اللاعبين درجة عالية من الرشاقة . وعادة ما يدخر الجهد الذي كان يمكن إنفاقه في المناورات الدفاعية ، لكي ينفق في عملية تزويق اللعبة ، وتنميقها ، لصالح كل الأطراف المشتركة فيها ، وفي بعض الأحيان لحساب المتفرجين

يتبين الدارس ، على الفور ، أن هناك حدًا أدنى من الحركات الأساسية في برنامج كل لعبة ، وهذه الحركات الأساسية يمكن تسجيلها عند رصد كل لعبة

إطار لعبة « لو لم يكن من أجل خاطرك » يتم في الحدود التالية :

- ١ - توجيه - اذعان (« أنت تبقي في البيت » - « سمعاً وطاعة ») .
- ٢ - توجيه - احتجاج (« وتبقي أيضاً هذه المرة في البيت » - « لو لم يكن من أجل خاطرك ») .

(٩) المزايا العامة :

تستمد المزايا العامة للعبة من وظائفها المستقرة . ويمكن تنشيط الاستقرار البيولوجي عن طريق الربتات ، وتقوية التوازن السيكلوجي بتأكيد الوضع . وكما سبق أن قلنا ، تتخذ الربتات أشكالاً مختلفة ، ولذا يجب أن يحدد الدارس « المزايا البيولوجية » للعبة بعبارات محسوسة ، تتضمن وصفاً حسيًا

- دور الزوج في لعبة «لوم يكن من أجل خاطرك» يذكرنا بدور الصفعة بظاهر الكف (على اعتبار أن الصفعة بباطن الكف تعني الامتحان المباشر) واستجابة الزوجة تكون أشبه بكلمة مشاكسة في الذقن. لهذا تكون المزايا البيولوجية للعبة، مستمدة من تبادل القتال والمشاكسة، وهي طريقة خطيرة، رغم فعاليتها الواضحة في تحقيق حالة صحية للأنسجة العصبية وتحديد موقف الزوجة - كل الرجال طغاة - هو ما يسميه أريك بيرن «المزية الوجودية» وهذا الموقف، هو رد الفعل الطبيعي، للرجبة في الخضوع التي نلاحظها في أشكال الخوف المرضى، والتي تكمن خلف الألعاب.

يكون النص الموسع للزوجة على صورة «إذا ما ذهبت بمفردى وسط زحام الناس، فقد تهزمني اغراءات الخضوع، وأعود إليه خاضعة أما في البيت، فأنا لا أخضع بإرادتي، هو الذي يرغمني على البقاء، مما يثبت أن الرجال كلهم طغاة»

لهذا تنتشر هذه اللعبة بين الذين يعانون من عدم الواقعية، وتشير إلى هذا الوضع، المصاعب التي تصادفهم لكي يحتفظوا بموقف (البالغ) في حالة نشاط، في مواجهة جميع الاغراءات القوية.

(١٠) المزايا السيكلوجية الداخلية :

هي تأثير اللعبة المباشر على الاقتصاديات النفسية (الشبق). في لعبة «لوم يكن من أجل خاطرك»، يكون الرضوخ المقبول اجتماعياً من الزوجة لسلطة الزوج، أداة في يدها تحميها من مواجهة مخاوفها العصبية. وفي نفس الوقت، يرضى هذا الرضوخ حاجاتها الماسوشية، إن وجدت. واستخدام (الماسوشية) هنا، لا تقصد به إنكار الذات، وإنما تقصد إلى

معناها الكلاسيكى ، الذى يعنى تحقق الإثارة الجنسية نتيجة للحرمان والامتنان والألم .

وهذا يعنى أن الزوجة تثار جنسياً ، عندما تجد من يحرمها أو يسيطر عليها

(١١) المزايا السيكلوجية الخارجية :

هى تجنب المواقف المحيضة ، عن طريق القيام باللعبة . وهذا واضح جداً فى لعبة «لوم لم يكن من أجل خاطرك» ، حيث تكون هذه الرغبة هى الدافع القوى : عندما تستجيب الزوجة لمخاطر الزوج ، فإنها تتجنب المواقف العامة التى تخشاه

(١٢) المزايا الاجتماعية الداخلية :

هذه المزايا يمكن أن تصورها من واقع اسم اللعبة ، بالطريقة التى تجرى بها فى دوائر اللاعبين . فرضوخ الزوجة يجعلها تكسب حق القول «لوم لم يكن من أجل خاطرك» وهذا يفيدها فى شغل الوقت الذى تمضيه مع زوجها . وفى حالة هذه الزوجة بالذات ، تكون حاجتها لوسائل شغل الوقت قوية ، نظراً للنقص الكبير فى اهتماماتها ، وخاصة قبل أن ترزق بأولاد ، أو بعد أن يكبروا ويستقلوا بحياتهم ، وبين هذين الحدين تتم ممارسة اللعبة بشكل أقل حدة ، وأكثر تباعدًا ذلك لأن الأولاد يؤدون دورهم فى شغل وقت الزوجين .

(١٣) المزايا الاجتماعية الخارجية :

يمكن تعريفها بالفوائد التى يجنيها اللاعب ، خلال مواقف الاتصالات الاجتماعية الخارجية فى حالة «لوم لم يكن من أجل خاطرك» ، وهو التعبير الذى تنطلق منه اللعبة ، وتردده الزوجة ، يتحول هذا التعبير إلى «لوم لم يكن من أجل خاطره» ، ويصبح نوعاً من أنواع التسلية عندما تلتقى بصديقاتها .

وهذا يوضح دور الألعاب في انتخاب الرفقة الاجتماعية فالزوجة التي قدمت حديثاً إلى العمارة أو الحى ، تقوم الزوجات الأخريات بدعوته لتناول قهوة الصباح لتمارس معهن تسلية « لو لم يكن من أجل خاطره » ، فإذا استجابت ، رشحها هذا للانضمام إلى المجموعة . وإذا رفضت أن تمارسها ، وأصررت على ذكر محاسن زوجها ومزاياه ، لن تجد لها مكانا وسط المجموعة .

كيف تنشأ الألعاب

أصحاب النظريات الحديثة ، يصفون تربية الأطفال ، بأنها عملية تعليمية ، يستوعب فيها الطفل أى نوع من الألعاب يختار ، وكيف يجب عليه أن يلعبها والطفل ، يتعلم و نفس الوقت ، الاجراءات والطقوس والتسلية ، التى تناسب موقفه من الوضع الاجتماعى المحلى ، لكن هذه المجموعة من المعارف تقل فى دلالتها عن الألعاب الاجراءات والطقوس والتسلية . ترسم الفرص التى ستتاح للطفل ، لكن الألعاب تحدد استخدامه لهذه الفرص .

ألعاب الطفل المفضلة ، بالإضافة إلى العناصر الأخرى ، كالأجراءات والطقوس والتسلية ، تحدد مصيره النهائى ، وحظه فى الزواج والعمل ، والظروف المحيطة به حتى وفاته .

وبينما يهتم الآباء بتربية أطفالهم ، ويبدلون اهتمامًا كبيرًا فى تعليمهم الاجراءات والطقوس والتسلية التى تناسبهم ، وتناسب وضعهم فى الحياة ، نراهم يفتلون تمامًا موضوع الألعاب التى يتعلمها الأطفال من ذويهم ، والتى يمارسونها طوال حياتهم ، مع ما فى ذلك من تبديد لطاقاتهم ، وتعريضهم لمخاطر كان من الممكن تجنبها .

الألعاب ، هى التى ترسم البناء الأساسى للآليات العاطفية ، للأسرة بأجمعها يتعلمها الأبناء ، منذ شهور حياتهم الأولى ، عن طريق الخبرات

ذات الدلالة في الحياة اليومية ومن الأسباب الرئيسية لفشل جهود الحركة العلمية في مجال علم النفس في الوصول إلى حلول مرضية لمشكلة العلاقات الإنسانية ، أن العلاقات في جوهرها مواقف تعامل ، تستدعى قيام نظرية في الآليات الاجتماعية التي لا يمكن إهمالها عند النظر في نوارع الفرد و سر هذه الأزمة ، أن هناك عددا قليلا من المختصين المدربين في مجال علم النفس والطب النفسي ، والذين هم على خبرة بتحليل الألعاب . وللتدليل على هذا ، يورد أريك بيرن هذه الواقعة التي جرت في حضور أب من المختصين في تحليل التعامل ، والتي لم يكن ليتبته إلى مغزاها أي طبيب نفسي عادي .

على مائدة الطعام ، شككا الطفل ، البالغ من العمر سبع سنوات ، من ألم في معدته أثناء تناول الأسرة لوجبة العشاء . وطلب أن يعنى من الطعام ، فعرض عليه أبوه أن يذهب إلى سريره ويستلقي عليه لبعض الوقت ولم يمض إلا وقت قصير ، حتى قال الأخ الأصغر ، البالغ من العمر ثلاث سنوات ، « بطنى تؤلمنى أنا أيضا ! » ، ساعياً إلى نفس النتيجة . نظر إليه الأب متملياً لعدة توان ، ثم قال له « أرجو ألا تكون راعباً في ممارسة هذه اللعبة هل تريد أن تمارسها ؟ » . هنا انفجر الطفل الصغير ضاحكاً ، وقال « لا » إذا ما كانت هذه الواقعة قد جرت في أسرة أخرى عادية ، فسيسرع الأبوان القلقان بوضع الأخ الصغير في سريره . وإذا تكرر هذا الموقف عدة مرات بين الطفل وأبويه ، فستصبح هذه اللعبة - بالتأكيد - جزءاً من شخصية الطفل ، نتيجة لمعاونة الوالدين له في ممارستها كلما أحس بالغيرة من المزايما التي يتم تقديمها لمنافسه ، وهو الأخ الأكبر في هذه الواقعة ، ادعى المرض حتى يحصل على بعض المزايما على المستوى الاجتماعي المعلن ، يقول « صححتى ليست على ما يرام » ،

وعلى المستوى السيكلوجى الخفى ، يقول ضمناً « يجب أن تقدموا لى بعض المزايا أنا أيضاً »

لقد تم قطع هذه اللعبة وإيقافها ، منذ البداية الأولى ، عن طريق سؤال الأب والإجابة الصحيحة من الابن ، التى تعيد أنه كان يمارس لعبة يوضح هذا أن الألعاب تتأسس عند الأطفال بشكل تلقائى وبمبادرتهم هم . وبعد أن تصبح هذه الألعاب عد الفرد مخططاً ثابتاً ، للتنبيه والاستجابة ، تختفى أصولها فى ضباب الزمن ، وتصبح طبيعتها الحسية غامضة وسط متاهات المجتمع .

ولا يمكن الكشف عن منشأ اللعبة ، وطبيعتها الخفية ، إلا من خلال اجراءات مناسبة ، بواسطة شكل من أشكال العلاج بالتحليل النفسى يمكن الوصول إلى الأصل أو المنشأ ، وقطع محرى اللعبة وإيقافها يسمح بكشف مظاهرها الخفية

لقد أثبتت الخبرات الاكلينيكية (المعملية) المتكررة ، أن الألعاب بطبيعتها تنتشر بالمحاكاة وأنها تتكون بشكل غريزى ، عن طريق بعض جوانب (البالغ) فى صغير السن . وعندما ننجح فى إحياء موقف (الطفل) فى ممارس اللعبة كبير السن ، نكتشف مدى تأثير هذه الشريحة وقدراتها فى شخصيته الصعير ، ومدى نفوذها فى تسيير حياة الشخص .

ما بين الثانية والثامنة من العمر ، تتشكل لدى الصغير مجموعة من الألعاب الخفية ، التى يستجيب لها فى مراحل عمره المختلفة ، مستمتعاً ، إذا لم تكن من الألعاب المأساوية

وبعد أن نورد تصنيفاً للألعاب ، ونستعرض تفاصيلها وأنواعها ، سنعود مرة ثانية إلى الحديث عن تكوين الألعاب فى سن الطفولة ، ونورد نماذجاً لهذه المناورات الضارة التى يرسخها الوالدان فى نفوس الصغار .

لماذا نمارس الألعاب ؟

الألفة هي أعلى مستوى في العلاقات البشرية ، ونظراً لأن بعض أشكال الألفة الحميمة يستحيل تحقيقها بالنسبة لمعظم الناس من الناحية السيكلوجية ، فنحن نمنحى أغلب وأهم أوقات حياتنا في ممارسة الألعاب . لهذا تكون الألعاب مطلوبة وضرورية لنا .

والسؤال المطروح هو : هل تعطى هذه الألعاب للفرد الذى يمارسها أفضل ما فيها ؟ يجب ألا ننسى أن السمة الأساسية للألعاب ، هي ذروتها ، أو مكسبها والوظيفة الرئيسية للحركات الأولية هي الوصول إلى العائد أو المكسب ، إلا أن تصميم هذه الحركات يكون بحيث تحقق كل خطوة منها ، الحد الأقصى من الرضا المسموح به ، كعائد إضافي .

ففي لعبة « المكّار » الذى سنورد تفصيلها فيما بعد ، والتي يقوم فيها الضيف ببعض التصرفات التخريبية المخلة ، ثم يعتذر عنها ، يكون العائد أو هدف اللعبة هو الحصول على الغفران ، الذى يتم الحصول عليه قسراً نتيجة للاعتذار عن التصرفات . وجميع الحركات ، بما في ذلك كسر الأواني ، أو إراقة الشاي ، أو خرق الستار ، هي كلها خطوات نحو العائد الأساسى ، ولكن كل خطوة منها تقدم مباحها الخاصة بالنسبة للمارس للعبة .

ونفس الشيء ينطبق على لعبة « المدمن » ، فأياً كانت الأصول السيكلوجية لحاجة احتساء الخمر ، ففي منطق تحليل الألعاب ، تكون عملية

احتساء الخمر في ذاتها مجرد حركة في اللعبة ، وإذا كان المريض يشعر بمتعة من احتساء الخمر ، فهذه ليست المتعة النهائية التي يسعى إليها .
والألعاب لها وظيفة اجتماعية ، هي توفير شغل مرضى للوقت . ولكن ، بالنسبة لبعض الأشخاص ، تكون الألعاب ضرورة حتمية لتوفير حالة صحية لديهم . هؤلاء الأشخاص ، يكون استقرارهم النفسي محللاً للغاية ، وتجرى المواقف في حياتهم خلال حالة شديدة من التوتر ، بحيث يصبح حرمانهم من ممارسة الألعاب ، مؤدياً إلى حالة من اليأس لا علاج لها ، أو إلى حالة من المرض النفسي . هؤلاء الأشخاص يحاربون بعنف أى محاولة لوقف ألعابهم . يغلب حدوث هذا في الحياة الزوجية ، عندما ينجح الطبيب النفسي في علاج الزوجة مثلاً ، ويوفق في إيقاف الألعاب التخريبية التي تمارسها ، يحدث تأخر سريع في حالة الزوج ، الذي كانت ألعاب الزوجة ذات أهمية قصوى في تحقيق توازنه النفسي ، من هنا ، يجب علينا مراعاة الحكمة ، في مراحل تحليل الألعاب .

ومن حسن الطالع ، أن مزايا حياة التآلف الحالية من الألعاب ، والتي يجب أن تكون الشكل الأمثل للعلاقات البشرية ، هذه المزايا تكون على درجة من الغزارة ، بحيث تتيح لأصحاب الشخصيات المزعجة ، هجر الألعاب ، سرور وسلام ، إذا ما عثروا على الشريك المناسب الذي يحقق لهم العلاقة الأفضل .

تصنيف الألعاب

- بالإضافة إلى أشكال تصنيف الألعاب التي أوردناها فيما سبق ، هناك أنواع أخرى من التصنيف :
- ١ - على أساس عدد اللاعبين الداخلين في اللعبة
 - ٢ - على أساس العملة المستخدمة : الكلمات (لعبة الطب النفسي) ، النقود (لعبة المدين) ، أجزاء من البدن (لعبة الجراحة) .
 - ٣ - على أساس النماذج العملية في عيادات العلاج النفسي : هستيرى (لعبة الاغتصاب) ، جنون الاضطهاد (لماذا يحدث هذا لي أنا ، دائماً)
 - ٤ - على أساس مناطق الالتذاذ : فى (لعبة مدمن الخمر) ، شرحى (لعبة المكّار) .
 - ٥ - على أساس الآليات النفسية : مواجهة الخوف المرضى (لعبة لو لم يكن من أجل خاطرك) .
 - ٦ - على أساس غريزى : مازوكى (لو لم يكن من أجل خاطرك) ، سادى (لعبة المكّار) .

* * *

كما أن هناك تصنيف آخر على أساس المرونة ، ومدى التمسك باللعبة ، ودرجة الكثافة في ممارسة اللعبة . ومن ثم مدى العنف في ممارسة اللعبة

- ويجرى تصنيف الألعاب أيضًا ، وفقًا لمستوياتها :
- ١- في ألعاب الدرجة الأولى : تكون اللعبة مقبولة من المجتمع المحيط بمارسها
 - ٢- في ألعاب الدرجة الثانية , لا تسبب الألعاب أضرارًا يستحيل علاجها ، إلا أن ممارسة اللعبة يكون مغزولاً عن مجتمعه .
 - ٣- في ألعاب الدرجة الثالثة : تنتهى الألعاب بعائد مأساوى ، في غرفة العمليات الجراحية ، أو المحكمة ، أو المشرحة !

الفصل الرابع
ألعاب الحياة اليومية

ألعاب الحياة اليومية

هذه المجموعة من الألعاب يمكن أن نطلق عليها اسم «ألعاب الحياة اليومية». وهي تتضمن ألعاباً تتصل من ناحية بألعاب الحياة الزوجية ، ومن ناحية أخرى بألعاب عالم الجريمة . والألعاب التي سنستعرضها هي :

- مدمس الخمر
- انظر ماذا جعلتني أفعل !
- المدين
- أخيراً امسكت بك يا ابن الكلاب !.
- اضربني ! .

«مدمن الخمر»

في تحليل الألعاب لا نهتم بقضية إدمان الخمر ، أو بالعلاج الذي يمكن أن يقدم للمدمن الخمر ، إن ما يدخل في اعتبارنا فقط دور من أدوار إحدى الألعاب يطلق عليه «مدمن الخمر» إن قضية إدمان الخمر ، سواء لأسباب كيميائية حيوية أو أسباب سيكولوجية ، تدخل في اهتمام الطب والأطباء . إن ما يهتم به تحليل الألعاب ، شيء مختلف للغاية ، إنه نوع التعاملات الاجتماعية التي تتصل بهذا النوع من الإدمان . ومن هنا كانت تسمية اللعبة باسم «مدمن الخمر» .

يشارك في هذه اللعبة خمسة أفراد ، وفي حالات خاصة ينخفض عدد اللاعبين إلى لاعبين فقط .

بطل هذه اللعبة ، بالطبع ، ولاعبها الأول هو «مدمن الخمر» . والعنصر الثاني في اللعبة يقوم بدور «الأتهم» ، أشبه ما يكون بدور النيابة في المحكمة ، وعادة ما تقوم الزوجة بهذا الدور (أو الزوج عندما تلعب الزوجة الدور الأول) . ويكون العنصر الثالث ، عادة ، من نفس جنس اللاعب الأول ، رجلاً كان أم امرأة ، ويقوم بدور «المنقذ» . وفي كثير من الأحيان يقوم طبيب العائلة بدور المنقذ ، فهو مهمم اهتماماً كبيراً بحالة البطل ، ويحاول

استقصاء جذور مشكلته . وتتبع جذورها وفي حالات تقليدية من هذه اللعبة . ينجح الطبيب « المنقذ » في علاج البطل من إدمان الخمر وبعد ستة أشهر مثلاً من إقلاع البطل عن تعاطي الخمر ، يتبادل البطل مع طبيبه عبارات السكر والتهنئة ، وإن كان هذا لا يمنع من عثورنا على البطل في اليوم التالي . وقد احتصن أحد أعمدة الإصاعة ، وهو يردد بلسان ثقيل من فرط تعاطي الخمر . « أنا حدع »

الدور الرابع يقوم به « العطوف » . الذي يقرض المدمن بعض المال ، أو يقدم إليه الخدمات . أو يشعل له سيجارته ويعد له قدح القهوة ، دون أن يحاول تأنيبه أو توجيه أى اتهام إليه . وأيضاً دون أن يبذل أى جهد فى سبيل انقاذه وغالباً ما تلعب الأم ، أم المدمن . هذا الدور وهى تعطيه النقود كلما احتاج . وتتعاطف معه كلما أحس بالضيق . وتشاركه فى نقد الزوجه التى لا تفهمه وحتى عندما يتم الاتفاق بين الجميع على عدم إقراض المدمن أى أموال . حتى لا يستعملها فى شراء الخمر ، يقدم « العطوف » المال للمدمن . يحبب المدمن بسبب رائف لطلب المال ، ورغم معرفة « العطوف » بزيف هذا السبب . وأن الهدف الحقيقى هو شرب الخمر ، فهو يقدم المال للمدمن ، مدعياً عدم اكتشافه للسبب الحقيقى

وفي بعض الأحيان يتحول « العطوف » إلى دور آخر من أدوار هذه اللعبة . يمكن أن نطلق عليه اسم « المحرّض » . وهو الرجل الطيب من وجهة نظر البطل الذى يحقق له رغباته . حتى قبل أن يطلبها . ما أن يلتقى بالبطل ، حتى يقول له « ألا تحب لتأخذ معى كأساً؟ » ، والمضمون الحقيقى لهذا القول هو « ألا تأتى معى لتناول ما يجعلك تنزلق بسرعة أكبر إلى الهاوية ؟! » .

وفي النهاية نأتى للدور الخامس من أدوار هذه اللعبة . « الوسيط » .
ورغم أن دوره ثانوى فى اللعبة إلا أنه الشخص الدائم الوجود فى حياة
المدمن وهو الساقى فى حالة مدمن الخمر (البارمان) الذى يقدم إليه
إمدادات الخمر التى يحتاجها

الفرق بين « الوسيط » وأى دور آخر فى هذه اللعبة . كالفرق بين المحترف
والهاوى فى أى لعبة من الألعاب الرياضية مثلاً المحترف يكون أكثر إدراكاً
للحظة المناسبة التى يجب عليه أن يتوقف عندها وعند هذه اللحظة . يتمتع
الساقى الحخير عن تقديم الخمر للمدمن . فيتركه بلا إمدادات جديدة . حتى
يعثر على الساقى الآخر الأكثر تساهلاً

فى المراحل الأولى للعبة «مدمن الخمر» قد تلعب الزوجة ثلاثة أدوار على
التوالى ، فهى فى منتصف الليل «العطوف» . التى تخلع عنه ملامسه ، وتعد
له قندح القهوة ، بل وتتركه فى بعض الأحيان يسها ويضرها وفى الصباح .
تلعب دور «الاتهام» ، تنهره وتعنفه على الآثام التى ارتكبها وفى المساء تلعب
دور «المنقذ» . فتتوسل إليه أن يتوقف عن احتساء الخمر ، حتى لا يعود إلى
ارتكاب الآثام التى تدفعه إليها وفى المراحل المتأخرة من اللعبة . ونتيجة
للتدهور الجسدى الذى يصيب البطل فى بعض الحالات ، يتم الاستغناء عن
دورى «الاتهام» و «المنقذ» .
مكاسب اللعبة :

كشفت الدراسات الحديثة ، أن مكاسب لعبة «مدمن الخمر» ، التى
يستهدفها المدمن ، نأتى من مصادر ، غالباً ما يعطيها الباحث أقل قدر من
الاهتمام لقد ثبت ، عند تحليل اللعبة سيكولوجياً ، أن احتساء الخمر فى

حد ذاته يعتبر متعة جانبية ، تضاف إلى المتعة الحقيقية والأصلية لهذه اللعبة . إن الهدف الأساسي الذى يسعى إليه لاعب « مدمس الحمر » هو : تحقير الذات ، والرغبة فى الشعور بالتهديد !

ومصدر التهديد بالنسبة للمدمس لا يكون الألم الجسائى ، بل العذاب النفسى . فعندما يزور المدمس طبيبه النفسى ، فى اعقاب ليلة ليلاء ، تراه يوجه إلى نفسه جميع ضروب الشتائم وأنواع السباب ، رغم أن الطبيب لم يطلب منه هذا ، أو يقول ما يقتضيه وفيما بعد ، عندما يستعيد المدمس ذكريات هذه الزيارة ، يقول بكل فخر واعتزاز إن الطبيب هو الذى وجه إليه هذه الشتائم .

لهذا ، يجب أن يكون الاهتمام الأساسى أثناء علاج المدمس ، موجهاً إلى حالة المعاناة النفسية التى يتسبب فيها شرب الحمر ، أكثر من الاهتمام بعملية شرب الحمر فى حد ذاتها .

وإلى جانب المتعة الشخصية التى يحققها شرب الحمر ، يكون هدف المدمس هو الوصول إلى الموقف الذى يستطيع فيه (الطفل) داخله ، أن يتلقى تعنيفاً قاسياً ، ليس فقط من (الوالد) بداخله ، ولكن من أى شخص يحقق صفة الوالد فى محيطه .. ومن هنا ، يجب أن يتركز العلاج النفسى لهذه اللعبة ، ليس على الشرب فى حد ذاته ، ولكن على النتائج المترتبة عليه ، فى صباح اليوم التالى .. عند الوصول إلى حالة طلب (الغفران للذات) ، التى تستمد وجودها من حالة (تحقير الذات) .

وهذا لا يمنع وجود حالات من إدمان الحمر ، لا يشعر فيها المدمس بأى معاناة نفسية فى أعقاب الشرب ، إلا أن هذه الحالات تخرج عن مجال بحثنا .

وتشارب الخمر في هذه الحالة ، لا يدخل في عداد ممارسى لعبة « مدمن الخمر »
التي نتحدث عنها .

وهناك أيضاً لعبة أخرى يمكن أن نطلق عليها « مدمن بلا خمر » وفيها يصل
الشخص إلى عملية التحقير الاجتماعي أو الإفلاس المادى دون الاستعانة بالخمر ،
لكنه يقوم بنفس تتابع الحركات ويعتمد على نفس الأدوار المساعدة . وهنا
أيضاً ، يكون صباح اليوم التالى ، أو ما يجرى في أعقاب الفضيحة هو جوهر اللعبة
وعقدتها .

العلاج :

علاج لعبة « مدمن الخمر » لا يكون بدفع البطل إلى التحول من دور
« المدمن » إلى دور آخر من أدوار اللعبة ، بل يكون بإيقاف اللعبة كلية .
وكثيراً ما ينجح الطبيب النفسى المعالج في مهمته ، رغم صعوبة الوصول
إلى بديل آخر أكثر امتاعاً « لمدمن الخمر » من مواصلته للعبته ولما كان الدافع
السيكولوجى الداخلى للاعب هذه اللعبة هو خشية التآلف مع الآخرين ، ورغبته
في تفادى أى علاقات تتضمن التآلف والتعاطف ، فقد يقتضى الأمر إدخاله في
لعبة بديلة ، وليس تركه بلا ألعاب .

وعلاج لاعب « مدمن الخمر » يجعل قدرته على إقامة العلاقات الاجتماعية
ضعيفاً ، وهذا العلاج قد يترك اللاعب معانيا من شعور بنقص الإثارة في حياته
اليومية . وهذا في حد ذاته ، يضاعف لديه اغراء العودة إلى الأيام الجميلة
الماضية ...

والخطة المثلى لعلاج هذه اللعبة ، لا تكون بمنع المدمن من شرب الخمر منعاً
باتاً ، ولكن بالسماح له باحتسائها في المناسبات الاجتماعية ، بشرط ألا يورط

نفسه . وعلاج (المنع الشامل) المعتاد . لا يرضى العالم النفسى محلل الألعاب
وعندما نمتضى قدمًا فى استعراض باقى الألعاب التى يمارسها البشر ،
سنكتشف أن أصحاب الأدوار الأخرى فى هذه اللعبة ، يمارسون ألعابًا أخرى
مكتملة لهذه اللعبة . «المنفذ» يميل إلى أن يلعب لعبة «أنا أحاول مساعدتك
فقط» ، «والإتهام» يلعب لعبة «انظر ماذا جعلتني أفعل» ، وصاحب دور
«العطوف» يلعب لعبة «الرجل الطيب» ومع انتشار الهيئات والمنظمات التى
تستهدف إنقاذ مدمى الخمر . والتى تشجع فى مطبوعاتها أن الإدمان هو نوع من
الأمراض ، يتعرض لها الشخص كما يتعرض لأى مرض آخر ، يتعلم لاعب دور
«مدمن الخمر» أن يلعب لعبة إصافية أخرى هى لعبة «صاحب الساق
الحشوية»

إيقاف اللعبة :

من المعروف أن لعبة «مدمن الخمر» يلعبها الداخلون فيها بإصرار ، ولذا
يصعب إيقافها والتخلص من آثارها .
فى إحدى مجموعات العلاج النفسى الجماعى ، بدأت الزوجة التى تلعب
«مدمن الخمر» مشاركتها فى جلسة العلاج الجماعى بحذر شديد . وعندما أحست
أن تعرفها على باقى أفراد المجموعة قد أصبح كافيًا ، بدأت تلعب لعبتها . سألت
أفراد المجموعة عن رأيهم فيها . ولما كانت تصرفاتها خلال جلسات العلاج
الجماعى طيبة ، فقد عمد البعض إلى امتداحها . فعلقت على الفور «ليس هذا
هو ما أبغيه ، أريد أن أعرف رأيكم الحقيقى فى شخصى» .
لقد أفصحت هنا عن رغبتها فى تلقى التعليق المهين الجارح وليس المديح .

وعندما رفضت المجموعة أن تلعب دور «الانهايم» في اللعبة ، عادت إلى بيتها في حالة ابتئاس ، وطلبت من زوجها أن يتوقف عن إيفادها إلى جلسات العلاج الجماعي ، أما إذا عادت إلى شرب الخمر ، فيمكنه أن يطلقها . أو يودعها مصحة من المصحات العلاجية ، فوعد الزوج بتحقيق رغبتها وفي نفس اليوم ، عاد الزوج إلى بيته مساء ، ليجدها في حالة تسمم كحول . مما دفعه إلى الإسراع بإيداعها إحدى المصحات

لقد رفضت مجموعة العلاج النفسي الجماعي أن تلعب دور «الانهايم» في لعبة «مدمن الخمر» التي تمارسها الزوجة كات تتوقع أن تؤدي لها المجموعة هذه الخدمة البسيطة ، وعندما حدث العكس ، أحست أنها تعرضت لظلم شديد ، فأتجته إلى زوجها ، ودفعته دفعاً إلى أن يلعب هذا الدور

الوضع الأسلم للطبيب عند تصديه لممارسة «مدمن الخمر» . هو أن يتصرف من موقف (البالغ) الذي بداخله ، ويرفض الدخول في أي دور من أدوار اللعبة . وأن يكون هدفه الأساسي هو إيقاف اللعبة ، وليس مجرد توقف المريض عن احتساء الخمر

ومما يزيد من مشقة إيقاف هذه اللعبة ، أن مدمن الخمر ينظر إليه في كثير من المجتمعات المتحضرة ، باعتباره حالة تستحق العطف والتسامح والاهتمام وينظر المجتمع باستياء لكل من يرفض اتخاذ هذا الموقف .

في إحدى الحالات ، لجأت لجنة من لجان الرعاية الاجتماعية للمدمنين في الولايات المتحدة الأمريكية ، إلى جهود مجموعة من الأطباء النفسيين وقد حاولت هذه المجموعة الطبية أن تقوم بالعلاج على أساس إنهاء اللعبة وإيقافها ، وليس على مجرد توقف الأشخاص عن شرب الخمر. وعندما استشعرت اللجنة

هذا الاتجاه من الأطباء النفسيين ، أوقفت تعاملها معهم ، ولم تحاول الاتصال بأى منهم في الحالات التالية

عائلة لعبة «مدمن الخمر» :

بعض الألعاب تكون مع بعضها عائلة متكاملة . ولعبة «مدمن الخمر» لها عدة أقارب ، من بينها لعبة «خذ لك كأساً» ، التي يوضحها المثال التالي : المدمن وزوجته (التي لا تحتسى الخمر وتلعب دور «الالتهام») ، يذهبان في رحلة خلوية ، مع صديق وزوجته (كلاهما يلعب دور «العطوف» في اللعبة) . يقول مدمن الخمر للشخص الآخر الذي يلعب دور «العطوف» : «خذ لك كأساً» إذا أخذ كأساً مما يعنى بالتحديد إذا أخذنا معاً كأساً ، فإن هذا يتيح للمدمن أن يأخذ أربعة كؤوس أو خمسة في مقابل الكأس الواحد الذي يقبله الصديق لكن اللعبة تنكشف إذا ما رفض الصديق الشرب أصلاً . وبحكم قواعد الشراب ، يكون المدمن قد أهين ، ويصبح من حقه البحث عن رفاق جدد في رحلته الخلوية القادمة ، أكثر توافقاً وانسجاماً مع رغباته ومذاقه .

فما يبدو على المستوى الاجتماعى العلى ، كرمًا من موقف (البالغ) ، يكون على المستوى السيكولوجى الخفى تصرفاً مأكراً ، يحصل به (الطفل) داخل المدمن على غفران أبوى من الشخص الآخر، عن طريق رشوة مكشوفة، تحت أنف الزوجة وعينها ، بينما لا تكون لديها فرصة للاعتراض . المهم أن الزوجة ، بهذا النسق ، تشارك زوجها المدمن في تربيته للعبة ، بحيث تصبح غير قادرة على الاحتجاج الجاد أو الاعتراض الحاسم ، ذلك

لكونها - كزوجة - حريصة على استمرار اللعبة . حتى لا تفقد الدور الذى تلعبه ، دور «الاثام» . ويكون هجومها عليه ، صباح اليوم التالى للرحلة . هو مكسبها الذى تسعى إليه منذ البداية .

ودور «العطوف» فى هذه اللعبة لا تكون دوافعه سيئة دائماً فهو يكون من بين الذين يعانون من الوحدة ، ويفيدهم هذا التعاطف مع «المدمن» . ومن بين الذين يلعبون دور «العطوف» ، يوجد من يلعبون لعبة أخرى هى لعبة «الرجل الطيب» ، وهو يكسب بلعبته الكثير من المعارف ، ويحظى بسمعة طيبة فى الدوائر الاجتماعية

« انظر .. ماذا جعلتني أفعل ! »

تعتبر هذه اللعبة ، في شكلها التقليدي ، من ألعاب الحياة الزوجية ، ولما كان من الممكن أن تجرى بين الآباء والأبناء ، فقد أوردناها ضمن ألعاب الحياة اليومية .

وهذه اللعبة ، تتم على أكثر من مستوى ، متدرجة في حدتها وخطورتها

الدرجة الأولى من اللعبة :

يلعبها الرجل المنطوي بطبيعته ، نتيجة لشعوره بعدم كفاءته في إقامة العلاقات الاجتماعية . لهذا ، تراه يعمد إلى الاسنفراق في بعض النشاطات التي تشجع انعزاله عن الناس ، ويصبح هدفه في الحياة أن يتركه الناس لحاله ينهمك هذا الشخص في عمل ما ، رسم لوحة أو إصلاح ساعة أو جهاز تسجيل ، ويقتحم المتدخل (الزوجة أو أحد الأولاد) عزله لحاجة ما ، أو لجرد أن يسأله سؤالاً مثل «أتعرف أين أجد الشاكوش؟» . هذه المقاطعة «تسبب» في سقوط القلم أو الفرشاة أو الملفك الذي يمسك به . فيستدير للدخيل في غضب صائحاً «انظر... ماذا جعلتني أفعل !» وتكرر هذا المشهد بأشكال مختلفة ، تميل الأسرة يوماً بعد يوم إلى تركه وحيداً ، مستغرقاً في عمله الخاص . واضح هنا ، أن سقوط القلم أو الفرشاة أو الملفك من يده ، لا يرجع إلى

تدخل الزوجة أو الأولاد بالسؤال ، ولكن بسبب انفعاله هو . وهو عادة ما يكون في غاية السعادة بهذا التدخل ، حتى يجد مبرراً لغضبه ، ولطرد الدخيل .

ونظراً لسهولة حركات هذه اللعبة ، يسهل على الأولاد تعلمها ، كلما أتيج لهم أن يتابعوا أطوارها بين الكبار لهذا ، من السهل أن تتقل هذه اللعبة من جيل إلى جيل . ومصادر الاستمتاع الضمنية لهذه اللعبة ، تظهر بشكل أكثر وضوحاً ، عندما تتم ممارستها بطريقة أكثر خداعاً .

الدرجة الثانية من اللعبة :

هنا تصبح اللعبة خبطة دائمة للحياة وأسلوباً لها ، أكثر من مجرد أداة آلية لحماية النفس وصمان العزلة ، يلجأ إليها الممارس من حين لآخر في الدرجة الثانية ، يتزوج الشخص الذي يلعب هذه اللعبة ، من امرأة تلعب لعبة أخرى يطلق عليها اسم «أنا لا أسعى إلا لمساعدتك» ، حتى تسهل ممارسة اللعبة بشكل مستمر .

مثال ذلك .. يترك الزوج لزوجته أن تقرر أين يذهبان لتناول العشاء ، أو أى فيلم يذهبان لمشاهدته ، وهو يفعل هذا لاطهار شهامته وللتدليل على إنصافه وعلى ديمقراطيته .

إذا ما أثبتت التجربة أن اختيار الزوجة كان ناجحاً ، استمتع بالعشاء أو بالفيلم . أما إذا حدث العكس ، فكان الطعام رديئاً أو الخدمة في المطعم سيئة ، أو كان الفيلم سخيلاً ، فهو يستغل الموقف إلى أقصى حد ، صائحاً «انظري ماذا جعلتني أفعل» .

أو قد يلقي على عاتقها القرارات الخاصة بأسلوب تنشئة الأولاد وتربيتهم ، بينما يقوم هو بدور المنفذ لقراراتها . وكلما طهر قصور في تربية الأولاد أو في تصرفاتهم ، يصبح من حقه أن يمارس اللعبة . وهذا وضع مثالي للذي يمارس هذه اللعبة ، فهو يستطيع ممارستها بشكل متكرر على مدى الأعوام ، لائماً الزوجة على كل تصرف خاطئ لأحد الأبناء ، وعلى كل درجة منخفضة يحصل عليها أحدهم في الامتحان

في هذه الحالة تكون لعبة « انظر ماذا جعلتني أفعل » ، غاية في حد ذاتها ، لكنها تفتح المجال للعبة أخرى تسمى « ألم أقل لك من قبل ؟! » .

اللاعب المحترف ، الذي يحل مشاكله النفسية بهذه اللعبة ، يستخدمها أيضاً في عمله رئيس العمل - على سبيل الديمقراطية وحسن الإدارة - يترك لمساعديه أن يفكروا في حلول المشاكل التي تعرض لهم ، وأن يبتوا فيها . وهو بهذا ، يتحصن في مركز منيع ، غير قابل للهجوم ، يشن منه حملات الارهاب على مرؤوسيه . كل قرار خاطئ يستخدم ضدهم ، ويمكنه من لومهم . والتفادى في ممارسة هذه اللعبة قد يؤدي إلى نتائج سيئة تحقيق بمن يمارسونها ، كالفصل ، والنقل ، والتنزيل .

أما المرؤوس الذي يستمتع بالغبن الذي يقع عليه ، فيواصل اللعبة بحماس ، فهو يفعل ذلك بسبب رغبة مرضية لتحقيق الذات لديه . وهو بهذا يمارس لعبة أخرى يطلق عليها اسم « لماذا يحدث هذا دائماً ، لي ؟! » ، هذا إذا كان من سريعي الغضب . أما إذا كان ممن يميلون إلى الاكتئاب ، فهو يمارس لعبة « ها نحن مرة ثانية ! » . وهاتان اللعبتان ، تعتبران من عائلة لعبة « اضرني .. » التي ستعرض لها بعد قليل .

الدرجة الثالثة من اللعبة :

تصل إلى هذا المستوى عندما يمارس هذه اللعبة (العصابيون) من المرضى النفسيين ، صد أشخاص لا يتسمون بالحذر مما يجعلهم يتطوعون بتقديم النصائح ، حيث يكونون منمكين في ممارسة لعبة أخرى ، ستعرض لها أيضاً ، هي لعبة «أنا لا أسعى إلا لمساعدتك» على هذا المستوى ، تكون للعبة نتائجها الخطيرة ، والتي تصبح في بعض الحالات مميتة !

* * *

ولعبة «انظر ماذا جعلتني أفعل» ، تكمل بشكل محكم لعبة «أنت السبب» . والمزيج بين هاتين اللعبتين ، يعتبر أساساً تقليدياً للاتفاق الضمني على ممارسة الألعاب ، في كثير من الزيجات .

الواقعة التالية توضح هذا الاتفاق :

- يتفق الرجل مع زوجته على أن تقوم هي بإمساك حسابات الأسرة ، والاتفاق من رصيدهما المشترك .
- يبلغها البنك أن إنفاقها قد تجاوز الرصيد ، وبطالهما بتغطية النقص
- يتدارس الزوجان سبب ما حدث ، فيكتشف أن الزوجة قامت بشراء قطعة أثاث غالية ، دون إخطاره .
- يشرع الزوج فوراً في ممارسة لعبة «أنت السبب ..» ، وتواجه الزوجة زجرته باكية ، واعدة بعدم تكرار هذا .
- تسير الأمور على ما يرام لفترة من الزمن ، ثم يظهر فجأة مندوب إحدى

الشركات ، مطالبًا بسداد أقساط متأخرة .

... لما كان الزوج يسمع عن هذا الموضوع لأول مرة ، فهو يسارع بسؤال الزوجة عن التفاصيل هنا تبدأ الزوجة في ممارسة لعبة « انظر ماذا جعلتني أفعل » . فتقول إنها كانت غلظته لقد حذرهما من تجاوز الرصيد في البنك ، فوجدت أن الوسيلة الوحيدة لشراء السلعة هو الالتجاء إلى التسيط ومحاولة إخفاء مطالبات الأقساط التي تفشل في تدبير المال اللازم لها . تستمر هذه اللعبة لعشرات السنين ، على اعتبار أن كل واقعة ستكون الأخيرة ، وبعد مضي عدة شهور دون مشاكل ، تتجدد المشكلة .

علاج اللعبة :

خلال جلسات العلاج النفسي ، استطاع الزوج أن يحلل اللعبة بمهارة ، ودون مساعدة من الطبيب النفسي المعالج واقترح علاجًا ناجحًا ، هو أن يتفق مع زوجته على أن يضعها رصيدها معًا باسمه هو ، وأن تستمر الزوجة في مهمة إمساك الحساب وكتابة الشيكات ، على أن يراجع هو الفواتير قبل توقيعها ، حتى يستطيع أن يجرى التنسيق اللازم بين الرصيد والانفاق . بهذه الطريقة ، استقامت أمور حياتها ، وأصبحت يتشاركان في إدارة ميزانيتها .

والملاحظ ، أنه بعد أن توقف الزوجان عن ممارسة اللبنتين ، شعرا في أول الأمر بالضيق ، فاضطرا إلى البحث عن أنماط أخرى للاستمتاع ، تكون علنية وبناءة

وعلاج هذه اللعبة يختلف من درجة إلى أخرى

- بالنسبة للعبة من الدرجة الأولى ، يكون بأن يترك اللاعب لحاله
- وبالنسبة للعبة من الدرجة الثانية ، يكون بالإصرار على إلقاء تبعة القرار على شخص ممارس للعبة .
- أما بالنسبة للدرجة الثالثة ، فيجب أن يوكل العلاج إلى الإحصائيين

* * *

وبشكل عام ، يكون الدافع إلى ممارسة لعبة « انظر ماذا جعلتني أفعل » هو الرغبة في التبرير

« المدين »

إذا كانت هذه اللعبة تجرى ممارستها بشكل متصل ، أو كخطة للحياة ، في بعض المجتمعات المتحضرة ، فهي تجد طريقها أيضًا إلى المجتمعات النامية ، وإلى أدغال أفريقيا .

في عينا الجديدة ، يتعاون أقارب العريس ، ويجمعون المال فيما بينهم ، لكي يشتروا له عروسًا غالية الثمن . وبهذا ، يظل مدينًا لهم لعدة سنوات تالية . نفس الشيء يتم في المجتمعات المتحضرة . يحل البيت مرتفع الثمن محل العروس الغالية ، ويحل البنك محل أقارب العريس

والغريب أن احتمالات الزواج وأفراحه ، ودخول البيت الجديد ، كل هذا لا يتم بمناسبة انتهاء العريس من سداد أقساط الديون ، لكنه يتم عندما يوقع العريس على واثق هذه الديون ، التي سيقضى سدادها أبهج سنوات حياته

وهناك تنوع شائع على هذه اللعبة هو «حاول أن تسترد» ، وهي لعبة منتشرة بين حديثي الزواج ، ويجرى ترتيب هذه اللعبة بحيث يكسب اللاعب أيًا كان تطور الأحداث .

الشاب والشابة اللذان تزوجا حديثًا ، يمتلكان كل وسائل المعيشة الحديثة ،

من أجهزة وأثاث ، بنظام التقسيط . يحدث ما يضطرهما إلى التوقف عن سداد بعض هذه الأقساط إذا كان الدائن من النوع السهل ، الذى يتوقف عن المطالبة بعد محاولات لينة غير جادة ، يعتبر الزوجان أنها قد حققا نصراً ، فيامكاهما الآن أن يستمتعا مجاناً بما اشترياه دون دفع باقي الأقساط ، ودون تلقى عقوبة من أى نوع .

أما إذا قام الدائن بمحاولات أكثر نشاطاً وإصراراً ، فإنها يستمتعان أيضاً بما فى ملاحقاته من إثارة (كما لو كانا يلعبان «الاستغاية») ، هذا بالإضافة إلى استمتاعها بالمشتريات .

تجىء المرحلة الصعبة من اللعبة ، عندما يصمم الدائن على الحصول على دينه . وهو قادر على أن يصل إلى آخر مدى فى هذا الطريق ، ابتداء من الشكوى لدى رئيس الشاب فى العمل ، أو إثارة الضجيج فى مسكنه وتحت سمع وبصر الجيران ، وحتى ملاحقته بالمحضرين للحجز على شقته .

عندما نصل إلى هذه المرحلة ، ويشعر الشاب أنه سيضطر إلى الدفع عندما يتسلم الإنذار الأخير ، الذى يقول «إذا لم تتقدم إلى مكتبنا خلال ٢٤ ساعة من تاريخه ...» ، هنا .. يشعر الشاب بحقه ، الذى لا يتنازع ، فى الغضب .

لهذا يتحول مباشرة إلى لعبة أخرى سيجىء الحديث عنها تفصيلاً ، هى «أخيراً أمسكت بك ، يا ابن الكلاب» . والشاب - فى هذه المرحلة - يستمد متعته من وصفه الدائن بالجنح وانعدام الأخلاق .

هذه اللعبة لها مكسبان أساسيان :

١ - إنها تدعم ثقة الشاب بنفسه ، عندما يردد بينه وبين نفسه «كل الدائنين

لصوص» ، أو «كل التجار لصوص» ، «وأنا الضحية البريئة» .
٢- إنها تدعم الوضع الاجتماعي للشباب ، عندما يطلق أحكامه العامة على نظام التسيط ، وما يتضمنه من خديعة للبسطاء ، وعندما يقول «إذا كان أسلوب الدائنين على مثل ما أظهر هذا التاجر الجشع ، فلماذا يدفع أى واحد منا دينه أصلاً؟!»

اللعبة المضادة :

واللعبة المضادة للعبة «المدين» هى لعبة «الدائن» ، فى صورة «حاول أن تتهرب من الدفع» ، وغالبًا ما يمارسها صغار الملاك .
فى لعبتى «حاول أن تسترد» و«حاول أن تتهرب من الدفع» ، تبدأ الممارسة عندما يتعرف الممارسون على بعضهم البعض وعندما يتتبعون من بية اللعب المتبادل ، تفيض نفوسهم بالسعادة وهم يشجعون فى اللعب ، بسبب المزايا الجانية التى سيحققونها من تعاملهم واحتكاكهم هذا بصرف النظر عم سيكسب فى نهاية الأمر ، وهل سيحصل الدائن على ماله أم ينجح المدين فى التهرب من الدفع .

ألعاب المال هذه يمكن أن يكون لها عواقب وخيمة - وإذا بدا مثل هذا الوصف لعواقب اللعبة مضحكًا وسخيفًا فى نظر البعض ، فليس مرجع ذلك إلى سخف الألعاب التى تتحدث عنها ، ولكن إلى سخف الدوافع التى تقف وراء مجموعة من التصرفات ، اعتاد الناس على أخذها مأخذ الجد

«أخيراً .. أمسكت بك يا ابن الكلاب !»

لتوضيح طبيعة هذه اللعبة ، نستعرض على سبيل المثال حالة الشخص الذى يحتاج يوماً إلى إصلاح بعض الأعمال الصحية فى حمام بيته .
يحضر السباك ، ويفحص الوضع جيداً ، ويجلس أمام صاحب البيت الذى يراجع معه المصاريف وأثمان الخامات وأجر الإصلاح . تتم المراجعة بدقة ، ويتم الاتفاق على المبلغ المطلوب ، وليكن عشرة جنيهات ، قبل البدء فى أى عمل .

عندما ينتهى العمل ، يتقدم السباك طالباً أجره ، مضيفاً إلى الرقم السابق الاتفاق عليه مبلغاً زهيداً ، وليكن عشرة قروش ، ثمناً لخامة اكتشف حاجة العمل إليها أثناء عملية الإصلاح .

بمجرد أن يذكر السباك القروش التى أضافها إلى الحساب ، تثور نائرة صاحب البيت ، وينتهز هذه الفرصة الذهبية ليكيل الاتهامات للسباك ، حول أخلاقه وتصرفاته وطمعه ، ويرفض أن يدفع مليماً واحداً من أصل الحساب ، إلا بعد أن يتنازل السباك عن هذه القروش التى أضافها إلى اتفاقها السابق . وفى آخر الأمر ، يضطر السباك إلى التسليم .

فى هذا الموقف ، يمارس صاحب البيت والسباك لعبة «أخيراً .. أمسكت بك يا ابن الكلاب !» .

في جلسة الاتفاق على الأجر ، وخلال المناقشة التي جرت ، والمفاوضات التي تمت حول التكلفة تعرف كل منها على إمكانات الآخر ، وعلى إمكان الشروع في ممارسة اللعبة .

بدأ السباك الحركة الأولى من اللعبة ، فقام بخطوته الاستفزازية مطالباً بالقروش الزائدة . ولما كان صاحب البيت قد اتفق على كل شيء بالتحديد ، قبل بدء العمل ، أصبح من حقه أن يدين السباك ، وأن يشن عليه هجوماً عادلاً ، وغضباً مبرراً . وبدلاً من أن يجرى صاحب البيت الحوار مع السباك على مستوى (البالغ) في كل منها ، فيقنعه بأن المبلغ المضاف لا يستحق جهد المطالبة به ، إذا قيس بحجم المقابلة كلها . أو أن المطالبة بمبلغ إضافي فيه إخلال بالاتفاق السابق .. بدلاً من هذا، نراه يتقمص صورة البريء الذي أنير وتلقى لكمة ظالمة ، يش هجموه العنيف على السباك ، متناولاً بالنقد شخصه وأسلوب عمله ، وأخلاقه وتربيته !

* * *

على المستوى الاجتماعي الظاهر ، تبدو المناقشة وكأنها على مستوى (بالغ - بالغ) ، مناقشة عادية حول اتفاق مالي . لكن إذا بحثنا في المستوى السيكولوجي المستور ، نراها علاقة (والد - طفل) : صاحب البيت مستنداً إلى وضعه الاجتماعي بالنسبة للسباك ، يسخر هذا الحدث العارض للتخلص من غضبه المكبوت ، وربما الذي طال كبته لعدة سنوات ، والذي تشاء الظروف أن ينصب على رأس هذا السباك . نفس ما كانت تفعله أمه معه وهو صغير .

صاحب البيت يدرك منذ البداية أنه سيمارس لعبة «أخيراً.. أمسكت بك يا ابن الكلاب!» ، ويفيض قلبه بسعادة مستورة بمجرد إدراكه للاستفزاز الذي قام به السباك . ويكتشف أنه كان منذ طفولته يبحث عن مثل هذه المواقف ، حتى يستمتع بممارسة لعبته بلا توقف

وفيما بعد ، عندما يستعيد صاحب البيت هذه الواقعة ، ينسى في كثير من الأحوال سبب الاستفزاز الذي قاد إلى ممارسة اللعبة ، لكنه يتذكر جيداً وبالتفصيل ، مراحل المعركة التي قاد إليها ذلك الاستفزاز ، وتفصيل استمتاعه بها .

ومثل هذه اللعبة يمكن أن تتواصل بلا نهاية ، إذا ما كان السباك يلعب هو الآخر ، تنوعاً من تنوعات لعبة «لماذا يحدث هذا دائماً لي؟» .

* * *

في جميع الأحوال ، يكون هدف هذه اللعبة هو التبرير (تبرير الغضب) والعلاقة في شكلها أو مستواها الاجتماعي تبدو علاقة (بالغ - بالغ) ،

مثل :

صاحب البيت : انظر .. لقد ارتكبت خطأ في حق .

السباك : أما وقد نهيتي ، فأني اعترف بالخطأ .

غير أن العلاقة في واقعها السيكلوجي المستور تكون علاقة (والد - طفل)

مثل :

صاحب البيت (والد) : لقد كنت أراقبك ، آملاً أن تقع في خطأ ما .

السباك (طفل) : لقد أمسكت بي هذه المرة .

صاحب البيت (والد) : نعم ، وسأجعلك تشعر بكل قوة غضبي ...

«اضربنى !..»

الغريب أن الذين يمارسون هذه اللعبة ، تبدو تصرفاتهم الاجتماعية وكأنهم يرفعون لافتة تقول «أرجوك .. لا تضربنى» .

ولما كان إغراء ضربهم ، مادياً أو معنوياً ، مما لا يمكن مقاومته . فما أن تتحقق النتيجة الطبيعية لهذا الاغراء ، ويتم الضرب ، حتى يصبح الواحد منهم بشكل يثير الشفقة « لكن اللافتة التى أحملها تقول بوضوح : لا تضربنى !» . ثم يستطرد ممارساً لعبة أخرى فيقول « لماذا يحدث هذا دائماً لى ؟» . وهذه اللعبة الأخيرة تستمد عناصرها من الزهو المقلوب ، الذى يعنى (سوء حظى أقوى من سوء حظك) .

إذا ما عمد الناس إلى الامتناع عن ضرب الشخص الذى يمارس لعبة «اضربنى ا» ، بدافع من طيبة القلب ، أو لكونهم يلعبون لعبة «أنا أحاول مساعدتك فقط» ، أو تحت ضغط التقاليد الاجتماعية ، أو حرصاً على الالتزام بالقانون ، إذا حدث هذا ، يتزايد سلوك الشخص استفزازاً يوماً بعد يوم ، حتى يتخطى الحدود المحتملة ، فتضعف أمام ذلك كل الموانع السابقة وهكذا ، يجبر ممارس اللعبة من حوله على الاستجابة لطلبه .

يشيع هذا الطور من اللعبة بين الأشخاص المنبوذين ، والمطرودين من وظائفهم ، والمخدوعين فى الحب .

واللعبه المناظره عند النساء هى «المهجورة» ، التى تسعى دائما إلى من
يخفف آلامها واللاعبه من هذا الطراز قد تقع فى يدها ثروة غير متوقعة . فتراها
تجتذب الشباب أصحاب المشاريع الذين يسعون إلى مساعدتها على تبديد هذه
الثروة !

الفصل الخامس

ألعاب الحياة الزوجية

ألعاب الحياة الزوجية

بالطبع يبدو فصل ألعاب الحياة الزوجية عن الألعاب الجنسية نوعاً من الفصل المتعسف . لكننا آثرنا أن نورد الألعاب الجنسية فيما بعد ، على أن نقتصر هنا على طرح الألعاب الآتية :

- المأزق .
- المحكمة .
- المرأة الباردة .
- المنزعجة .
- انظر كم أحاول بجد .
- حبيبي .

المأزق

تعتبر هذه اللعبة نموذجًا جيدًا لخاصية نجدها متكررة في الألعاب ، وهي وظيفتها كعائق للتألف بين ممارس اللعبة ومن هم حوله .

لكي نفهم هذه اللعبة ، علينا أن نتابع تسلسل السيناريو التالي :

- ١ - تقترح الزوجة على زوجها أن يذهب إلى السينما ، فيوافق الزوج .
- (٢ - أ) تقع الزوجة في زلة لسان (لاشعورية) ، عندما تذكر بطريقة طبيعية وخلال الحديث أن المنزل يحتاج إلى عملية طلاء كاملة . عملية طلاء حوائط المنزل عملية مكلفة ، وقد أخبر الزوج زوجته قبل ذلك بأيام أن حالتها المالية ليست على ما يرام ، وطلب منها ألا تفتح أبوابًا جديدة للانفاق خلال الشهور التالية ، على الأقل حتى بداية السنة الجديدة . لقد أساءت الزوجة بهذا الاقتراح اختيار اللحظة المناسبة ، واستحقت ردًا وقحًا من الزوج .
- (٢ - ب) أو قد يقود الزوج الحديث بحيث يؤدي إلى أن تطرح الزوجة اقتراحها ، ثم يستمر التتابع كما في (٢ - أ) .

٣ - في الحالتين تدافع الزوجة عن نفسها ، وتقول إن رد الزوج الذي لا يتسم باللطف ، لا بد راجع إلى حالة نفسية سيئة يمر بها الزوج ، وأنها بناء على هذا لا ترى مبررًا للذهاب معه إلى السينما ، وأن الأفضل - إذا ما كان مصرًا - أن يذهب بمفرده . فيجيب الزوج بعصبية «إذا كان هذا هو ما تريدين .. سأفعله !»

٤ - يذهب الزوج إلى السينما ، تاركًا الزوجة في البيت ، تداوى جروح مشاعرها .

* * *

هناك نوعان من الحيل في هذه اللعبة :

أولاً : تعلم الزوجة جيداً - من خبراتها السابقة - أن عليها ألا تأخذ استياء الزوج وضيقة مأخذ الجِد فهو بما أبداه من استياء وضيقة ، يسعى في حقيقة الأمر إلى أن تبدى الزوجة بعض التقدير لجهده الشاق في العمل وسعيه لتوفير مطالب حياتها . إذا أظهرت هذا التقدير ، يصبح بإمكانها أن يمضيا معاً إلى السينما

لكن الزوجة - مع علمها بذلك - ترفض الدخول في اللعبة ، فيشعر الزوج بالخذلان الشديد . لهذا ، فهو يغادر البيت وحيداً ، مشحوناً بالاستياء وخيبة الأمل ، بينما تجلس هي في البيت ، مهانة ظاهرياً ، تكافح لإخفاء شعور دفين بالانتصار !

ثانياً : يعلم الزوج جيداً من سوابق تعامله مع الزوجة ، أنه من المفروض ألا يأخذ اقتراحها بطلاء حوائط البيت مأخذ الجِد . وأن كل ما تطلبه من وراء مثل هذا الاقتراح ، هو بعض التدليل ، والوعود المعسولة فقط ، يمضيان بعدها في سعادة إلى السينما لكن الزوج يرفض الاشتراك في لعبة الزوجة ، عالمًا أن تصرفه هذا لا يتسم بالأمانة . فهو يعلم أنها تطالب بالتدليل ، لكنه يتظاهر بعدم المعرفة متعمداً .

في هذه الحالة يغادر الزوج بيته متظاهراً بالضيقة ، وإن كان يشعر بالابتهاج في أعماقه ، بينما تبقى الزوجة في بيتها ، مع شعور بالحنية والامتعاض .

* * *

في كل من الحالتين السابقتين ، يبدو موقف المنتصر منها - للوهلة الأولى - غير مستوجب للوم ، فكل ما فعله هو أن أخذ كلام الطرف الآخر مأخذاً حرفياً ويعلم الطرفان جيداً أن في هذا نوع من الغش والخداع لكن طالما أنها قالتها ، فقد وضعت نفسها في «المأزق» .

مكسب اللعبة :

وأوضح المكاسب في هذه اللعبة ، هو ما يسمى بالمكسب السيكلوجي الخارجي (أى محاولة تجنب خبرة يراها ممارس اللعبة سيئة وخفيفة أو غير سارة ، فيعتمد إلى ممارسة اللعبة) .

في حالتنا هذه ، يجد كل من الزوجين في الذهاب إلى السينما منبهاً جنسياً . فمن المفروض أنه بشكل أو بآخر ، سيتم الاتصال الجنسي بينهما بعد عودتهما من السينما . وعلى ذلك ، فالذى يريد منها تجنب هذه النتيجة ، بما فيها من تألف ، يبدأ ممارسة اللعبة كما في (٢ - أ) أو في (٢ - ب)

علاج اللعبة :

وعلاج هذه الحالة من لعبة «المأزق» يكون سهلاً من جانب الزوجة . كل ما هو مطلوب منها هو أن تغير رأيها ، وتأخذ زوجها من زراعه مبتسمة ، ثم تمضى إلى السينما (أى بالانتقال من موقف الطفل إلى موقف البالغ) .

وقد يكون الأمر أكثر صعوبة بالنسبة للزوج ، فالزوجة هي التي أخذت المبادرة . إلا أنه يستطيع أن يتجاوز الموقف بأكمله ، فيلاطفها حتى تقبل الخروج معه . والأفضل في هذه الحالة أن يعاملها كبالغ وليس كطفل عبوس .

عائلة لعبة المأزق :

ولعبة «المأزق» تنتشر بشكل مختلف بعض الشيء كلعبة عائلية ، يدخل فيها

الأطفال . في هذه الحالة يوضع الطفل الصغير في (المأزق) ، بحيث يصبح كل ما يفعله خاطئًا !

ثم هناك الأشكال اليومية من لعبة «المأزق» ، تشارك فيها العائلة بأكملها ، وغالبًا ما تؤثر على نمو صغار الأطفال . وتكثر ممارستها بين الآباء الذين يتصرفون من موقف (الوالد) في كثير من الفضول والتدخل المعيب يطلب الابن - أو الابنة - من الوالدين المشاركة في أعمال المنزل وعندما يستجيب أي منها لهذا النداء ، يواظب الوالدان على اكتشاف الأخطاء في كل ما يفعله الابن (أو الابنة) . وهو تطبيق عائلي للقول المأثور «ملعون أنت إذا فعلت . وملعون إذا لم تفعل»

عند دراسة أسباب إصابة الأطفال بالربو ، تظهر في بعض الأحيان لعبة «المأزق» ، كعامل من عوامل الإصابة بالمرض .

وهناك تطبيق آخر لهذه اللعبة

يسأل الصغير أمه «أمي . هل تحميني؟» . فتجيب الأم «وما هو الحب؟» هذه الاستجابة تترك الطفل الصغير بلا معين هو يريد أن يتحدث مع أمه ، والأم تصعد الحوار إلى المستوى الفلسفي ، حيث يفتقد الابن القدرة على التعامل مثل هذا الموقف ، يمكن أن يؤدي إلى اضطراب تنفس الطفل . وإذا تكرر هذا الموقف من الممكن أن يتسبب في إصابة الطفل بالربو . ومن ألعاب الحياة الزوجية القريبة من لعبة «المأزق» ، لعبة تسمى «لفة

الغذاء»

الزوج الموظف ، القادر على تناول طعام الغداء في مطعم جيد ، يصبر على أن يصنع لنفسه بعض الشطائر كل صباح . يأخذها معه إلى عمله في كيس من الورق وهو لا يتكلف شيئًا في صنع هذه الشطائر لأنه يجهزها معتمدًا على ما تخلف من طعام العشاء . بل إنه يحرص على أن تحتفظ له زوجته بالأكياس

الورقية القديمة الخاصة بالمشتريات لكي يضع فيها شطائه
هذا التصرف من الزوج يعطيه السيطرة الكاملة على مالية الأسرة ، فأى
زوجة هذه ، التي تجرؤ على أن تشتري لنفسها ثوباً غالياً من الحرير ، بينما يقوم
زوجها بهذه التضحية اليومية؟!
البعض ينظر إلى هذه اللعبة ، ليس كلعبة خبيثة يسيطر بها الزوج على
زوجته ، بل كلعبة طيبة ، لأنها تشجع على الاقتصاد في الاستهلاك والإنفاق .

« المحكمة »

تكثر ممارسة هذه اللعبة في جلسات الاستشارة النفسية العائلية ، وبين جماعات العلاج النفسى الجماعى . وفى كثير من الأحيان يتزلق الطبيب النفسى إلى المشاركة فى اللعبة دون أن يتبه لذلك .

لعبة «المحكمة» يمكن أن يلعبها أى عدد من الأشخاص لكنها فى أغلب الأحيان لعبة ثلاثية الأدوار : الاتهام ، والدفاع ، والقاضى ويلعب هذه الأدوار الزوج والزوجة والطبيب النفسى .

يبدأ الزوج شاكياً «دعنى أقص عليكم ما فعلته فلانة (اسم الزوجة) بالأمس ، بدأت هذه القصة عندما ... الخ» ، فتجيب الزوجة مدافعة «أستطيع الآن أن أسرد عليكم الوقائع الحقيقية التى سارت عليها هذه القصة . ، وبالإضافة إلى ذلك فهو قد عمد قبل هذا مباشرة . وعلى كل حال فقد قننا بهذا معاً ..» .

يضيف الزوج بقروسية «أنا سعيد الآن ، لقد أتيج لكم أن تسمعوا وجهتى النظر ، فغاية ما أسمى إليه هو أن تتحقق العدالة فى الحكم» . ، عند هذه النقطة يتدخل الطبيب المعالج فيضيف قائلاً بمحكمة المهودة «يبدو لى أنه إذا ما أدخلنا فى الاعتبار . . الخ» . أما إذا كان هناك بعض الجمهور أو بعض أعضاء الجماعة ، فقد يتوجه الطبيب إليهم قائلاً «هذا عظيم دعنا الآن نستمع إلى آراء الذين معنا» .

علاج اللعبة :

علاج هذه اللعبة يقتضى من الطبيب المعالج بعض المناورات فهو يبدأ بأن يقول للزوج « رأيت أنك على حق تماماً » ، فإذا أبدى الزوج ارتياحاً ، وكشف عن شعور بالانتصار ، يسأله الطبيب « ما هو إحساسك بقولى ؟ » ، يجب الزوج « عظيم ! » ، فيقول الطبيب « وما رأيك » ، إذا قلت لك إننى فى الحقيقة أعتقد أنك أنت المخطئ » ، إذا كان الزوج أميناً ، سيقول معترفاً « أعلم هذا منذ البداية » أما إذا لم يكن أميناً ، فسيبدى بعض ردود الفعل ، التى تكشف أن ممارسة اللعبة على أشدها ، ويكون على الطبيب المعالج أن يواصل بعد ذلك مراحل العلاج . والعنصر الأساسى فى اللعبة ، هو صياح الزوج ممثل (الالتام) مطالباً الانتصار له فى الظاهر ، بينما هو يشعر فى أعماقه بخطئه

يعمد الطبيب المعالج بعد ذلك إلى جمع القدر الكافى من المعلومات العلاجية حول الحالة التى يتعرض لها ، حتى تتضح له أبعاد الموقف ، ثم ينتقل إلى إيقاف اللعبة بمنورة ، تقتضى الرشاقة فى فن العلاج .

وجوهر هذه الخطوة هو الانتقال إلى التحديد والمواجهة ، وعدم التستر خلف الواجهة الموضوعية الزائفة لإخفاء الحقائق . يطلب الطبيب المعالج من المشاركين فى اللعبة أن يحاطبوا بعضهم باستخدام الضمير (أنت) ، أو (أنا) وبدلاً من استخدام تعبيرات عامة مثل « دعنا ننظر فى أمر الذى تتصرف على النحو كذا .. » ، يجرى استخدام التعبير المباشر مثل « دعنا ننظر فى تصرفك الذى كان ... » . وهكذا ، يتوقف الزوج والزوجة عن ممارسة لعبة « المحكمة » فى جلسات العلاج الجماعى .

عائلة اللعبة :

وفى بعض الأحيان ، ينتقل الزوجان بعد ذلك إلى ممارسة لعبة

« حبيبتى » ، التى ستحدث عنها بالتفصيل فيما بعد ، ويعتبر هذا خطوة إلى الأمام فى العلاج

وفى أحيان أخرى ، يعمد الزوجان إلى ممارسة لعبة «الأكثر من هذا » .
وهذا أيضاً يساعد على تطوير العلاج

فى لعبة «الأكثر من هذا . » . يتقدم (الانتهاج) بالانتهاجات واحداً بعد الآخر ، ويحجب (الدفاع) عن كل منها بقوله «أستطيع أن أفسر هذا » ، إلا أن (الانتهاج) لا يلتفت إلى الشرح الذى يقدمه الدفاع ، فبمجرد أن يتوقف (الدفاع) عن الكلام ، ولولو للحظة واحدة ، يندفع (الانتهاج) إلى سرد تهمة جديدة ، بادئاً الحديث دائماً بقوله «والأكثر من هذا » وهذه اللعبة تجرى على مستوى (والد - طفل)

ولعبة «الأكثر من هذا » ، تجرى بشكل أكثر تكثيفاً ، لو أن (الدفاع) كان من المرضى النفسيين (العصابيين) . هؤلاء يأخذون الأمور أخذاً حرفياً ، يسهل عليهم إحباط (الانتهاج) كلما لجأ إلى التعبير عن نفسه بتعبيرات فكاهية واستعارية هنا تكون الاستعارة هى الفخ الخطير الذى يجب على ممارس لعبة «والأكثر من هذا . » أن يتجنبه .

« المرأة الباردة »

الأرض الخصبه لهذه اللعبة في معظم الأحيان ، الحياة الزوجية .
يحاول الزوج أن يتقرب من زوجته ، فيقابل بالاعراض وعندما يكرر
محاولاته ، تصيح فيه الزوجه ، قائلة إن الرجال جميعاً وحوش ، وأنه لا يجها
في الحقيقة لشخصها ، وأن كل ما يهه منها هو الجنس
يتوقف الزوج عن محاولاته لبعض الوقت ، ثم يحاول من جديد . ملاقيًا
نفس النتيجة أخيراً ، يصرف النظر ، ولا يقوم بأى محاولات أخرى تمضى
الأسابيع والشهور ، فتزايد الجصوة بينهما ، وربما أصبحت الزوجه في كثير من
الأحيان نسيًا منسيًا بالنسبة للزوج
هنا ، تبدأ مرحلة جديدة من اللعبة تسير الزوجه في حجرة النوم نصف
عارية ، أو تنسى (البشكير) عندما تأخذ حمامًا ، فيتحم على الزوج أن يحصره
لها في الحمام وإذا كانت الزوجه تميل إلى القسوة في ممارسة اللعبة ، أو كانت
ممن يكثر من شرب الخمر ، عمدت إلى مداعبة بعض الرجال ، خلال
الحفلات الاجتماعية ، لكي تثير غيرة الزوج
في نهاية الأمر ، يستجيب الزوج لضرور الإثارة هذه ، ويخرج حظه مرة
ثانية . ومن جديد تقابله الزوجه بالصدود ، بل إنها تلجأ في بعض الأحيان إلى
ممارسة لعبة «الصراخ» ، التي ستتحدث عنها فيما بعد . وخلال صراخها ،
تستعرض من جوانب حياتها ، وتجرى المقارنات مع الحياة الزوجية للأقارب

والأصدقاء وينتهى هذا الصراخ عادة بصوت أحد الأبواب وهو يصفق في عنف

هذه المرة ، يصل الزوج إلى قرار لقد تأكد الآن أنه قد وقع مع زوجته معاهدة بتحريم الاتصال الجسدي من الآن وصاعداً ، يتحامل الزوج كل مناورات الزوجة من طرار (البشكير) ، فتحاول الزوجة أن تصعد محاولات الإثارة ، لكنه يثبت على موقفه ، متعظاً بخبرته السابقة

وذات ليلة ، تشرع الزوجة في ملاحظته وتقبيله بلا مواربة ، ومع هذا لا يستجيب الزوج ، فتواصل الزوجة ملاحظاتها الصريحة ، فما تلبث النوازع الطبيعية أن تفعل فعلها بعد فترة طويلة من الحرمان ، ويتأكد الزوج الآن أن الوضع قد اختلف

محاولات التقرب الأولى التي يقوم بها الزوج لا تقابلها الزوجة بالصدود . وهكذا يصبح أكثر شجاعة ولكن ، عند النقطة الحرجة بالضبط ، تنفر الزوجة مبتعدة عنه وهي تقول «أرأيت ؟! . ألم أقل لك ؟.. كل الرجال وحوش غاية ما كانت أسعى إليه هو أن نتبادل العواطف الرقيقة الحاملة ، أما أنت فكل ما يعينك هو الجنس !» . ولعبة «الصراخ» المرتبطة بلعبة «المرأة الباردة» تنجح مباشرة في هذه المرحلة إلى الشكوى من الحالة المالية ، والمشاكل الاقتصادية .

وينبج ملاحظة أنه بالرغم من شكوى الزوج ، فهو يكون عادة كزوجته ، في حالة خوف من التقارب الجنسي ، وأنه كان قد اختار زوجته بعناية ، حتى يقلل من مخاطر إرهاب قدرته الجنسية المهتزة ، وبمحيث يمكنه في النهاية إلقاء اللوم على الزوجة

علاج اللعبة :

نظراً لخطورة هذه اللعبة ، فاحتمالات علاجها تنسم أيضاً بنفس الخطورة
انتقام الزوج بالدخول في مغامرة إنشاء علاقات سائية خارج الحياة الزوجية ،
يعتبر شهراً له عواقبه الوخيمة ، خاصة وإذا كان أو ان مثل هذه المناورة قد
فات ومن ناحية أخرى يكون بإمكان الزوجة أن تلجأ إلى القضاء أو تتهر
بالزوج في أوساط العائلة ، ممارسة لعبة «أحيراً» أمسكت بك يا ابن
الكلاب ! »

وإذا ما خضع الزوج للعلاج النفسي ، ورفضت الزوجة ذلك ، فإن
حصول الزوجة على مكاسب من هذه اللعبة يصح أقل احتمالاً فالزوج بعد
العلاج يصبح أكثر قوة وثقة بالنفس ، بحيث يتمكن من قيادة العلاقة بينه وبين
زوجته في مسار صحي

أما إذا كانت الزوجة تمارس اللعبة بقسوة وعنف ، فإن تحسن حالة الزوج
نتيجة لدخوله العلاج قد تقود إلى الطلاق
والحل الأمثل - إذا كان هذا ممكناً - أن يشارك الزوجان في جماعة من
جماعات العلاج النفسي الجماعي ، حيث تتم تعرية أهداف ومكاسب هذه
اللعبة وهذه الخطوة تصلح كتأهيل للعلاج النفسي الفردي المكثف .

عائلة اللعبة :

ومن عائلة هذه اللعبة ، مقلوبها : «الرجل البارد» . وهي أقل شيوعاً من
اللعبة الأصلية ، ولكنها تتخذ نفس الخطوات ، مع بعض الاختلافات في
التفاصيل . وتعتمد النتيجة النهائية على نوع النص الذي يؤدي وفقه الأطراف
المشاركة أدوارهم .

وخط النهاية للعبة «المرأة الباردة» ، هو ظهور لعبة «الصراخ» فما أن تبدأ

هذه اللعبة الجديدة ، حتى يصبح التقارب الجنسي في حركان ، حيث يستعوض الطرفان بالمتعة المستمدة من لعبة «الصراخ» عن متعتها باللقاء الجنسي . وهذا هو السر في أن أهم خطوة في سبيل القضاء على لعبة «المرأة الباردة» ، هو إحباط لعبة «الصراخ» وحرمان اللاعبين من مكاسها . بحيث تصبح الزوجة في حالة عدم إشباع جنسى ، تجعلها في نهاية الأمر أكثر اذعاناً ورضوخاً .

تحليل اللعبة .

- هذه اللعبة تتم على المستوى الاجتماعي الظاهر من موقف (والد- طفل) كالتالى :
- الزوجة (والد) : أعطيك الإذن بأن تقبلنى .
 - الزوج (طفل) : كم يسرنى أن أفعل ذلك .
 - الزوجة (والد) : والآن انظر ! . كم أنت شهوانى قدر ! ! .
 - أما الصيغة السيكولوجية الخفية للعبة ، فتتم من موقف (طفل- والد) كالتالى :
 - الزوجة (طفل) : حاول أن تغوينى أو تثيرنى جنسياً .
 - الزوج (والد) : سأفعل إذا حاولت منعى .
 - الزوجة (طفل) : انظر .. أنت الذى بدأت الأمر ..

« المتزعجة »

هذه اللعبة تقوم به ربة البيت دائمة الانزعاج والقلق ، والتي تضع نفسها .. في وضع يتطلب منها أن تكون خبيرة في عشرات الأعمال المختلفة . إنها تريد أن تكون المرأة الكاملة ، ربة البيت ، والعشيق ، والمرية ، والطاهية ، الخائكة ، والمرضة .. إلى آخر القائمة .

والطبيعي أن هذا الحشد من الوظائف يكون عادةً مجهدًا ، لتعدد تناقضه . ومع مرور الأعوام ، يتضاعف إحساسها بالإجهاد ، الذي ينعكس في ترددها الدائم نصيحة « كم أنا متعبة ! » .

إذا كانت ربة البيت هذه قادرة على تنظيم خطواتها ، بما يتيح لها تأدية معظم هذه الأعمال ، وكانت تستنبط متعتها من حب وخدمة زوجها وأولادها ، فستمضي في حياتها الزوجية السعيدة ، حتى تتضاعف متعتها وسعادتها بذهاب أصغر الأبناء إلى الجامعة .

أما إذا كانت ، من ناحية ، غير قادرة على استنباط متعة كافية من حب وخدمة عائلتها ، ومن ناحية أخرى كان (الوالد) فيها قد اختار زوجها بحيث يتفقد دائما ومحاسنها على أعمالها ، فستحاول في البداية أن تلعب « لو لم يكن من أجل خاطر » ، أو لعبة « الوصمة » التي ستعرض لها فيما يلي . والحقيقة أن الزوجات يلجأن عادة إلى هاتين اللعبتين كلما ساءت أمور حياتهن . ولكن ، في

حالتنا هذه ، تشعر الزوجة بعد حين أنها لا تفيان بالعرض ، ويكون عليها أن تتجه إلى لعبة «المرزعة»

خطوات اللعبة :

مظاهر هذه اللعبة بسيطة . تقبل الزوجة أى عمل يطلب منها أو يعرض لها ، بل ربما تسأل المزيد من الأعمال والتكليفات ، وهى تتقبل فى صبر نقد زوجها لها ، وتسرع إلى تلبية كافة مطالب أولادها إذا ما كان عليها أن تسلى ضيوفها على العشاء ، شعرت أن واجبها يتجاوز الظهور بمظهر المضيفة اللبقة حلوة الحديث ، إلى ضرورة الظهور بمظهر ربة البيت المدبرة ، ومصممة الأزياء الفنانة ، والطاهية الحاذقة ، والمرأة الجذابة ، والدبلوماسية الحصيفة . وهى بالإضافة إلى كل ذلك تتبرع فى صباح اليوم التالى بطهى كعكة خاصة للفطار ، واصطحاب الصغار إلى طبيب الأسنان

وكلما أحست ببعض القلق والانعراج من المسئوليات والأعمال التى تنتظرها ، صممت على أن تجعل يومها أكثر إزعاجاً ، متصدية للمزيد من المسئوليات . وما أن تصل إلى ما بعد الظهر ، حتى تنهار تماماً ، ولا تنجز شيئاً مما وعدت به ، فيخيب أمل الزوج والأولاد والضيوف فيها ، ويتضاعف تأنيبها لنفسها ، وتزايد تعاستها .

عندما يتكرر هذا الموقف عدة مرات ، تصبح حياتها الزوجية فى خطر ، فترتبك أحوال الأولاد ، وتفقد الكثير من وزنها ، وتروح وتجىء فى بيتها بشعرها المهوش ووجهها الشاحب ، وحذائها المترب . وما أن يمضى بعض الزمن ، حتى تظهر فى عيادة الطبيب على استعداد لدخول المستشفى

علاج اللعبة :

العلاج يكون بسيطاً إن كان وضع الزوجة لم يتجاوز الشكوى «كم أنا

متعة ! . فس الممكن مساعدتها على تنظيم وقتها ، حتى يمكنها أن تبي بالأعمال التي تتكفل بها على مدى الأسبوع . وفي حدود المعقول ويكون عليها أن ترفض القيام بعملين في آن واحد . عندما تقيم حفل عشاء مثلاً ، يكون عليها أن تختار بين دور (المتعهد) الذي يشتري حاجيات الحفل ، وبين (الطاهي) الذي يعد الطعام ، وبين (الحرسون) الذي يقدم الشراب والطعام ، وبين (المضيفة) التي تستقبل الضيوف وتجذبهم أطراف الحديث .

أما إذا كانت الزوجة تمارس لعبة «المتزعجة» ، فسيكون من الصعب اقناعها بهذا المنطق ، خاصة وأنها كانت قد اختارت روجها بعناية ، بحيث يلعب في حياتها دور الرجل العاقل ، الذي يواظب على بقد زوجته ، طالما أنها لا تصل أبداً إلى نفس مستوى الكفاءة التي يرى بها أمه والزوجة في هذه الحالة تتزوج أحلام الزوج عن أمه كما يراها (الوالد) الذي بداخله ، التي تشابه في نفس الوقت مع أحلامها عن صورة أمها وجدتها

عندما تصل إلى الزوج المناسب ، يصبح بإمكان (الطفل) فيها أن يمارس لعبة «المتزعجة» . وتعتمد على هذه اللعبة في تحقيق ما تسعى إليه من توازن نفسي . وهكذا ، يصبح من الصعب عليها أن تقلع عن ممارسة اللعبة عندما يتأزم الوضع . بسبب الإجازات المدرسية للأولاد مثلاً . يجرى استدعاء الطبيب المعالج ، لتتحول «المتزعجة» إلى لعبة ثلاثية . واستدعاء الطبيب يكون ، إما لأن الزوج يريد أن يجرى صيانة شاملة للزوجة ، وإما لأن الزوجة تريده كحليف في مواجهة الزوج : وما يتم بعد ذلك يتوقف على مدى مهارة الطبيب النفسي المعالج ويقظته .

حالة الاكتئاب التي تعاني منها الزوجة عادة ما يسهل تخفيفها كخطوة أولى إلا أن الخطوات الحاسمة تحل عندما يحاول الطبيب المعالج أن يدفع الزوجة إلى التوقف عن ممارسة لعبة «المتزعجة» ، لتحل محلها لعبة «الطب النفسي» ،

وهي لعبة سيأتى ذكرها فيما بعد هذه الخطوة من الطيب غالباً ما تقابل بمقاومة متزايدة من الزوجين وفى بعض الأحيان . يتمكن الزوجان من إخفاء هذه المقاومة بمهارة ، إلى أن يفاحاً الطيب يوماً بتفجر هذه المقاومة . رغم أنه كان يتوقعها عندما تكشف هذه المقاومة عن نفسها ، يمكن للطيب النفسى المختص بتحليل الألعاب أن يواصل باقى مراحل العلاج

من الصرورى التأكيد على أن المندب الحقيقى فى هذه اللعبة هو (الوالد) داخل الزوجة ، سواء استمد عناصره من أمها أو جدتها ، ويكون دور الزوج أقل أهمية وفعالية ولا يقتصر دور الطيب على مناهضة (الوالد) داخل الزوجة ، أو مقاومة الزوج الذى يحلوه أن يستثمر استمرار اللعبة ، بل يتعدى ذلك إلى دراسة الظروف الاجتماعية للأسرة ، التى تشجع الزوجة على الشكوى وتقودها إلى ممارسة اللعبة

ومن المصاعب التى يواجهها المعالج عند تناوله للحالات التى تمارس هذه اللعبة ، ميل الزوج إلى تجنب المشاركة الشخصية فى إجراءات العلاج ، لأنه فى واقع الأمر يكون ضالماً فى لعبة «المتزعجة» بأكثر مما يبدى . وخلال العلاج ، نراه يرسل إلى الطيب المعالج الرسائل غير المباشرة ، عن طريق انفجاراته العصبية المتكررة ، التى يعلم مسبقاً أنها ستصل إلى الطيب عبر الزوجة .

هنا ، نصل إلى الدرجة الثالثة من لعبة «المتزعجة» ، حيث يتم صراع حياة أو موت ، من أجل الطلاق ، وعند هذا المستوى ، يكون الطيب المعالج وحيداً ، لا يسانده سوى (البالغ) فى الزوجة . هذا (البالغ) فى الزوجة لا يقتصر على الدخول فى عراك مميت مع (الطفل) و (البالغ) و (الوالد) فى الزوج ، لكنه يشترك أيضاً مع (الطفل) و (الوالد) فى الزوجة شخصياً

« انظر ، كم أحاول بجد »

هذه لعبة ثلاثية الأدوار ، يقوم بها الزوج والزوجة والطبيب النفسى .
الزوج يسعى إلى الطلاق ، رغم اعلانه الصارخ بعكس هذا ، بينما تكون
الزوجة مخلصه فى عزمها على مواصلة الحياة الزوجية . يأتى الزوج إلى الطبيب
النفسى محتجاً فى أول الأمر ، لكنه يتكلم كثيراً وبإسهاب ، حتى يظهر أمام
الزوجة بمظهر المتعاون الراغب فى حل المشاكل واستمرار الحياة الزوجية ، فى
هذه الحالة يمارس الزوج عادة لعبة «الطب النفسى» ، أو لعبة «الحكمة»
ومع مرور الوقت يكتشف الطبيب فى الزوج ، إما تدمراً متزايداً ، أو
إذعاناً كاذباً ، أو شغفاً بالمناقشة العدوانية معه . أما فى البيت ، فيبدى مزيداً
من التفهم والخضوع للزوجة إلا أنه فى النهاية ، يتصرف بشكل يتناقض مع
هذا كله ، فبعد زيارة أو عدة زيارات لطبيب (ووفقاً لمهارة الطبيب) ،
يرفض الذهاب إلى جلسات العلاج النفسى ، ويفضل عليها تمضية الوقت فى
أى تسلية أخرى ، مما يدفع الزوجة إلى قبول الطلاق
الزوج الآن لا يستحق اللوم ، فهو قد أظهر حسن نيته وتعاونه بالذهاب
مع الزوجة إلى الطبيب النفسى ، كما أن الزوجة هى التى طلبت الطلاق . لقد
أصبح فى موقف ممتاز ، يسمح له بأن يقول للقاضى أو الصديق أو القريب
« انظر ، كم حاولت بجد »

علاج اللعبة :

علاج هذه اللعبة يحتاج إلى خطة دقيقة ، تبدأ بمقابلة الطبيب النفسى للزوجين معاً ، فإذا كان الزوج هو الذى يمارس اللعبة ، يقتصر الطبيب فى الجلسات التالية على علاج الزوجة ، مع إهماله لأمر الزوج ، على اعتبار أنه أقل خضوعاً للعلاج النفسى من الزوجة . ورغم أن الزوج هذه الطريقة يبقى قادراً على الطلاق . لكنه - على الأقل - لن يستطيع أن يدعى أنه حاول جدياً منع الطلاق .

كما يمكن للزوجة أن تطلب هى الطلاق ، إذا كان هذا ضرورياً لصالح الطرفين ، إلا أن موقفها سيكون أفضل من موقف الزوج ، حيث أنها حاولت فعلاً الحفاظ على حياتها المشتركة .

الحكمة فى هذه الخطوة ، أن الزوج الذى سيعانى من إحساس باليأس نتيجة لحرمانه من ممارسة اللعبة ، سيمضى باحثاً عن علاج لحالته فى مكان آخر ، ولكن بدوافع حقيقية هذه المرة .

وتجرى هذه اللعبة فى شكلها اليومى كلعبة ثنائية بين الصغير وأحد أبويه وينطلق الصغير فى ممارسته لهذه اللعبة من موقفين «أنا ضعيف بلا عون» ، أو «لا يمكن أن يلومنى أحد» هذا الصغير يحاول ، لكنه يفشل ، فإذا كان ينطلق من موقف «أنا ضعيف بلا عون» يكون على الأب أن يشاركه ممارسة اللعبة . وإذا كان ينطلق من موقف «لا يمكن أن يلومنى أحد» لا يكون لدى الأب سبب معقول لعتابه ، وعلى الأبوين إذا ما اكتشفا ممارسة الابن أو الابنة لهذه اللعبة ، أن ييحتا بأمانة ، أيا منهما لقن الابن أو الابنة هذه اللعبة ، وما هو الذى يفعلانه مما يسمح لهذه اللعبة أن يطول أمدھا

* * *

وهناك تنوع مثير لهذه اللعبة ، يتسم في أغلب الأحيان بالشر والنية الحبيثة ، هو لعبة « انظر ، كم كنت أحاول نجد » وهذا التنوع يعتبر لعبة قاسية من الدرجة الثانية أو الثالثة .

في المثال التالي نستعرض حالة رجل دعوب في عمله مصاب بقرحة المعدة

الدرجة الأولى :

يعمل الرجل أمام زوجته والأصدقاء أنه أصيب بقرحة المعدة . وهو يحرص على إعلامهم بأنه مازال يواصل العمل بنفس المعدل الذي كان يلتزمه ، وهو بهذا يبتر اعجابهم . فالشخص الذي يعانى من الألم ، أو من الظروف السيئة ، يكون من حقه أن يمارس قدرًا من المباهاة ، كتعويض عن معاناته . ويتوقع أن يتلقى بمجاملة ضمنية تحمل معنى « نعم . كلنا معجبون بتضحيتك ونكرانك لذاتك »

الدرجة الثانية :

يعرف الرجل أنه مصاب بالقرحة ، ولكنه يحتفظ بالخبر لنفسه ، ولا يخطر به الزوجة أو الأصدقاء ، ويواصل العمل والقلق بطريقة أكثر تكثيفًا مما سبق . وفي أحد الأيام ، يسقط في مكتبه . وعند اختطار الزوجة بحالته . تتلقى في نفس الوقت رسالته الضمنية « انظري ، كم كنت أحاول نجد » . وهنا ، يصبح على الزوجة أن تبالغ في تقديره بأكثر مما فعلت في أى يوم من الأيام . وأن تكون آسفة على جميع الأعمال الوضيعة التي فعلتها معه في الماضي . باختصار ، يصبح من المفترض الآن أن تغرقه في حبه ، فكل الطرق السابقة التي لجأ إليها حتى يستميل الزوجة ويحظى بحبها قد فشلت . ولحظ الزوج السيئ ، تكون جميع مظاهر الود والاعجاب التي تبديها

الزوجة في هذه المرحلة بدافع الإحساس بالذنب ، أكثر من كونها بدافع الحب هذا بالإضافة إلى أن الزوجة تشعر في أعماقها بالاستياء منه ، لأنه قد استخدم ضدها ، عنصر إرغام قوى لا يتصف بالعدل . كما أن إصراره على إخفاء خبر مرضه مد البداية ، قد اكسبه تميزاً غير عادل أو أمين عليها . وواقع الأمر ، أن خاتماً هدية يكون أداة أكثر في التقرب إلى الزوجة من معدة مصانة وهو يدرك هذا ، إلا أنه يدرك في نفس الوقت أنه إذا كان بإمكانها أن تلتقي في وجهه بالخاتم الهدية ، فهي لن تستطيع أن تهجره بعد إصابته بقرحة المعدة والزوجة - من جانبها - تشعر أن معاجاته لها بالمرض خديعة تدخلها إلى الفخ ، أكثر منها وسيلة لكسبها والتقرب منها .

وعالماً ما يتم اكتشاف هذه اللعبة ، بمجرد أن يسمع المريض أن هناك احتمالاً كبيراً لأن تسوء حالته ، ولأن يستفحل المرض وحتى إذا كانت لديه نية مواصلة اللعبة ، فالوضع نأكمه سيلتمع في عقله ، ويصبح بإمكان طبيب نفسى حريص أن يشفيه من دوافع هذه اللعبة

الدرجة الثالثة :

وفيها يكون الانتحار المفاجئ للزوج نتيجة لمرضه الخطير ، مظهرًا أشد شراً وحقداً

القرحة تتطور إلى سرطان وذات يوم ، تدخل الزوجة - التي لم تكن لديها فكرة عن مرضه - إلى الحمام ، لتجد زوجها مطروحاً على الأرض ، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة ، تاركاً رسالته الخالدة إليها « انظري - كم كنت أحاول بجد » .

« حبيبتى .. »

يتم اكتشاف هذه اللعبة في أوضح أشكالها خلال المراحل الأولى من جلسات العلاج النفسى الجماعى ، خاصة عندما يميل الطرفان إلى اتحاد موقف دفاعى ، كما يمكن أيضًا تتبع اللعبة فى اللقاءات الاجتماعية .

الزوج يبدى باتزان بعض الملاحظات المهينة عن زوجته ، فى شكل حكاية طويلها يختمها بقوله « أليس هذا صحيحًا يا حبيبتى ؟ » . عادة ما تميل الزوجة إلى التأمين على أقوال الزوج ، لسببين :

أولاً: لأن الحكاية التى رواها الزوج تكون بالفعل صحيحة فى جوهرها ورغم أنه جعلها تبدو أكثر إهانة ببعض التفاصيل الفرعية التى أضافها للحكاية الأصلية فاعتراضها على هذه التفاصيل مع اعترافها بالجوهر ، سيجعلها تبدو سخيقة أمام الآخرين .

ثانياً : لأنه سيبدو غريباً أن ترفض كلام الرجل الذى يناديها أمام الناس بقوله « يا حبيبتى » .

والدافع السيكولوجى لموافقتها - على أى حال - هو احساسها بالاكتمال فهى قد تزوجته بالذات ، دون غيره. من الرجال ، لأنها عرفت قدرته على تقديم خدمة خاصة لها . فهو باستعراضه لنواقصها ، يعفيها من أن تضطر إلى القيام بهذه المهمة بنفسها خاصة وأن والدها قد تعود على أن يؤدي لها هذه الخدمة عندما كانت صغيرة .

وهذه اللعبة تلى لعبة « المحكمة » ، من حيث الشبوعى الحياة الزوجية .
ويقدر تأزم الموقف ، ويقدر اقتراب الزوج فى حكايته من التفاصيل الدقيقة
لحياتها الزوجية ، تكون مرارة نداء « يا حبيبتى » فى أذن الزوجة ، تلك
المرارة التى لا تبدد إلا عندما تتضح لها طبيعة اللعبة

علاج اللعبة :

الملاحظة الدقيقة تظهر لنا وجه الشبه بين هذه اللعبة ، ولعبة « المكّار » ،
التي ستعرض لها فيما بعد بالتفصيل . فالحركة المميزة فى هذه اللعبة ، هى التي
تحصل فيها الزوجة على الغفران من زوجها ، بجديته عن نواقصها التي تميل إلى
تجاهلها واغماض العين عنها

من واقع هذا التشابه ، يكون أسلوب العلاج وإيقاف اللعبة فى حالة
« حبيبتى » موازياً لأسلوب العلاج فى لعبة « المكّار » . وفيه تقول الزوجة تعقيباً
على حكاية الزوج « يمكنك أن تحكى قصصك المهنية عنى ، لكن أرجوك ألا
تدعونى حبيبتك ! » هذا العلاج يحمل نفس محاطر العلاج الموازى فى لعبة
« المكّار » ، إلا أن خطوة الزوجة الأيسر عواقباً والأكثر تحضراً تكون
باستجابتها قائلة « بالضبط . يا روحى ! »

ومن أساليب وقف اللعبة ، أن تعقب الزوجة على حكاية الزوج ، بحكاية
أخرى عن نواقص الزوج ، بحيث تهى حكايتها قائلة له « أليس هذا أيضاً
صحيحاً يا حبيبتى ؟ » وهى بهذا توجه إليه رسالة ضمنية تقول « وأنت
أيضاً يا عزيزى لك نفس الوجه القبيح ! »

وهناك نوع آخر من لعبة « حبيبتى » يوصف بأنه النوع الصامت ، حيث
لا يتم نطق ألفاظ التعجب صراحة ، لكن المستمع الحصيف يمكنه أن يشعر
بها واصحة فى خفايا حديث الزوجين .

الفصل السادس

أَعَابَ الْحَفَلَات

ألعاب الحفلات

العرض الأساسي من الحفلات هو تضيئة الوقت بشكل لطيف ، ولكن مع تعمق التعارف يبدأ ظهور الألعاب «المكّار» وضحيته يتعرفان على بعضهما ، وعلى إمكانية ممارسة اللعبة . والألعاب التي تندرج تحت فصيلة ألعاب الحفلات هي :

* «أليس هذا فظيماً؟!» .

* «الوصمة»

* «المكّار» .

* «لماذا لا ... ، نعم ولكن...» .

« أليس هذا فظيلاً ؟ ! »

تشيع هذه اللعبة بين الناس على أربعة أشكال . كتسلية من موقف (الوالد) ، وتسلية من موقف (البالغ) ، وتسلية من موقف (الطفل) ثم أخيراً كلعبة .

وهي كتسلية لا تحقق لمارسها كسباً أو عائداً دفيناً ، كما في حالة اللعبة .

أولاً : « هذه الأيام » :

بهذا يسمى نمط التسلية من موقف (الوالد) وتشيع هذه التسلية بين نوع معين من نساء الطبقة المتوسطة ، يتميزن بالدخل المحدود تقول المرأة لصاحباتها « لا عجب إذا لم نجد من نثق فيه هذه الأيام .. كنت أبحث عن شيء في الدولاب ، ويمكنكن تصور ما وجدت في الدرج إلى آخر هذا الحديث » .

والمرأة التي تمارس هذه التسلية لديها إجابة شافية على معظم التساؤلات الجارية في المجتمع . عن التدليل الزائد (الآباء أصبحوا في منتهى الضعف « هذه الأيام ») ، وعن الطلاق (الزوجات لم يعد لديهن ما يشغلهن « هذه الأيام ») ، وعن الجريمة (الأغراب الذين يحومون حول البيوت « هذه الأيام ») ، وعن ارتفاع الأسعار (الخلل الاقتصادي الذي وصلنا إليه « هذه الأيام ») .

ثانياً : «الجراحة» :

بهذا يسمى نمط التسلية من موقف (البالغ) هذا النوع من التسلية يتسم بتدفق مجبور من الدماء !
غالباً ما تتم هذه التسلية في حجرات الانتظار داخل عيادات الأطباء ،
وتبلغ قمة دمويتها في عيادات الجراحين .

يبدأ أحد الحاضرين بسرد تفاصيل جراحة من الجراحات ، وكلما كانت التفاصيل أكثر إبلاماً كلما كانت أقرب إلى النجاح ، فمن خصائص هذه التسلية الاهتمام البالغ بالتفاصيل الدقيقة المخيفة . وما أن ينتهى الأول من حكايته ، حتى تتوالى الحكايات من باقى الموجودين في حجرة انتظار الجراح ، عن بتر أعضاء ، وفتح رأس ، وعمليات قيصرية .. إلى آخر القائمة .

ثالثاً : «فترة الراحة» :

بهذا يسمى نمط التسلية من موقف (الطفل) وتحمل هذه التسلية شعار «انظر ماذا يفعلون بنا الآن !» . وهى تسلية تجرى في المؤسسات التى يسود فيها الظلم . وهى تسلية أركانها ثلاثة : المتحدث والمستمع و «هم» ، والضمير ينسحب على المؤسسة أو الدولة .

رابعاً : «أليس هذا فظيماً؟» :

بهذا تسمى اللعبة ، وهى تتحقق بشكل ظاهر لدى مدمنى اجراء الجراحات . وتعاملاتهم تكشف بوضوح خصائص هذه اللعبة .
الذين يلعبون «أليس هذا فظيماً؟» ، يغلب أن يكونوا من الزبائن الدائمين للأطباء ، الذين يبحثون بنشاط عن فرصة اجراء جراحة لهم حتى فى وجه معارضة الأطباء . وهم يستنبطون متعتهم من المحاولة ذاتها ، ومن

الجراحة . ومن الإقامة الممتدة في المستشفى وهذه اللعبة تستمد مزاياها السيكلوجية الداخلية من تحقيق الرغبة و تشويه الجسد أما المزايا السيكلوجية الخارجية (أى التى تتصل بالناس) فتأتى من تجنب أى شكل من أشكال الألفة . وتجنب جميع المسئوليات . بالاستسلام الكامل للجراح

«أليس هذا فظيلاً؟!» . لا تصبح لعبة عندما يكشف ممارستها عن شعور بالمرارة . ولكن عندما يضمرا استمتاعه الذى يستمده من سوء حظه

* * *

والذين يعانون من سوء الحظ يمكن تصنيفهم فى ثلاث فئات :

١ - الذين لا يهتمون بالمعاناة . ولا يريدونها ، وهؤلاء قد يستمرون العطف الذى يقدم إليهم طواعية ، وقد لا يستثمرونه . وهذا وضع أقرب إلى أن يكون طبيعياً ، ويقتضى الرفق فى المعاملة

٢ - الذين لا يهتمون بالمعاناة ، ولكنهم يتقبلونها بامتنان ، بسبب احتمالات الاستمتاع بالعطف الذى يتلقونه نتيجة لها . وهنا ، تكون اللعبة فى المقام الثانى (أى أن مكسب الذى يمارسها يعتبر مكسباً ثانوياً) .

٣ - الذين يبحثون عن المعاناة ، مثل مدمنى الجراحة الذين يتقبلون من جراح إلى آخر ، حتى يعثروا فى النهاية على الجراح الذى يقبل إجراء العملية لهم وفى هذه الحالة تحتل اللعبة المقام الأول

« الوصمة »

تعتبر هذه اللعبة مصدرًا لنسبة عالية من المخاضات الخفيفة في حياتنا اليومية . وتم ممارستها من موقف (الطفل) المكتئب ، الذى يقول لسان حاله «أنا لا أصلح لشيء» . ولتغطية هذا الموقف تم ممارسة اللعبة من موقف (الوالد) ، الذى يقول لسان حاله «إنهم لا يصلحون لشيء» وتصبح مشكلة الذى يمارس هذه اللعبة في معاملاته مع الآخرين أن يثبت الافتراض الأخير

ولهذا فمارس لعبة «الوصمة» لا يشعر بالارتياح مع شخص يتعرف به لأول مرة ، إلا حين يكشف هذا الشخص وصمته ويمكن أن تصبح هذه اللعبة ، فى شكلها القاسى ، لعبة سياسية دكتاتورية ، تلعبها الشخصيات السلطوية ، بهذا قد تصبح لها اصداء تاريخية جادة كما أن الثقة بالذات التى تحققها هذه اللعبة لمارسها تتسم بالسلبية ، لأنه يعتمد على اكتشاف وصمات الآخرين ، وليس وصمته هو . ومنطلقات هذه الممارسة تمتد على نطاق واسع ، من أكثر المنطلقات تفاهة وغبابة «إنه يرتدى طرازًا قديمًا من السترات» ، وأكثرها سخرية «بعد كل هذا العمر لم يصل رصيده إلى عشرة آلاف جنيه» ، أو شرًا مثل «لا يستطيع أن يثبت نقاء سلالته» ، إلى أكثرها ترفعًا «لم يقرأ فلسفة سارتر» ، أو خصوصية

«إنه فاقد القدرة الجنسية» ، أو سفسطة «ليتنى أعرف ما الذى يسعى إلى إثباته» .

ومن وجهة نظر الآليات السيكولوجية ، تقوم هذه اللعبة عادة على عدم الأمان الجنسى ، وهدفها هو استعادة الثقة ومن وجهة نظر تحليل التعاملات ، تقوم اللعبة على التطفل والفضول المرضى والتلذذ بمراقبة الآخرين ، يحدث هذا أحياناً تحت شعار اهتمام خيرى من موقف (الوالد) و (البالغ) يغطى استمتاع (الطفل)

المكسب السيكولوجى الداخلى هو التحلل من الاكتئاب ، أما المكسب السيكولوجى الخارجى فهو تجنب التألف الذى قد يقود إلى كشف ممارس اللعبة عن وصمته . وممارس اللعبة يشعر بعدالة موقفه عندما يتقد أصحاب الطرز القديمة أو الذى لم يقرأ فلسفة سارتر أو من يكون فاقداً القدرة الجنسية . هذا بالإضافة إلى أن التطفل على الآخرين يوفر تحركاً اجتماعياً داخلياً له فوائده البيولوجية .

« المكّار »

تتبع حركات هذه اللعبة النسق التالى :
الضيف (حركة أولى) : يقلب ممارس لعبة « المكّار » قدح الشاي على رداء المضيف .

الضيف (حركة أولى) : يستجيب المضيف تلقائياً بالغضب ، ولكنه يشعر (غالبا بشكل غامض) أنه إذا ما أظهر غضبه ، سيكسب الضيف المعركة . وعلى هذا يتأسك المضيف مخفيا مشاعره ، مما يعطيه إحساسا وهميا بالانتصار .

الضيف (حركة ثانية) : يقول الضيف « أنا آسف » .
المضيف (حركة ثانية) : يغمغم المضيف بالعفو ، أو يعلنه بصوت مرتفع ، داعما إحساسه الذاتى بالانتصار

الضيف (حركة ثالثة) : يتابع الضيف بعد ذلك القيام بإتلاف أشياء أخرى فى بيت المضيف ، يكسر شيئا أو يسكب شيئا ، خالقا الاضطراب من كل نوع . وبعد أن تحرق سيجارته مفرش المائدة ، يمزق رجل المقعد الذى ينقله الستار الرقيق الخاص بالشرقة . (الطفل) فى الضيف ، قد عمه السرور ، وحقق أقصى متعته بالأفعال التى قام بها ، ثم هو قد حظى بالغفران فى كل حالة . أما المضيف فقد قدم عرضا ممتازا ، فى قدرته على تحمل معاناة ضبط النفس . وبهذا يكون كل منهما قد استفاد من هذه المناسبة غير السعيدة . وفى

غالب الأحيان ، لا يسعى المضيف إلى إهزاء هذه الصداقة ، أو العلاقة
مكسب اللعبة .

كما في جميع الألعاب ، اللاعب الذى يبدأ الحركة الأولى ، هو الذى
يكسب بصرف النظر عن المسار الذى تمضى فيه اللعبة .
إذا أظهر المضيف غضبه ، يشعر ممارس اللعبة (أى الضيف) بعدالة
موقفه إذا ما قام برد اللطسة . وإذا أمسك المضيف بأعصابه ، يمكن للضيف
أن يستمر فى نشاطه مستمتعا .

العائد الأساسى من هذه اللعبة ، أو مكسبها ، ليس هو التخريب الذى
يقوم به الضيف والذى هو فى حد ذاته مكسب إضافى ، إنما هو حصول
ممارس اللعبة ، أو الضيف ، على العفو والغفران فى نهاية الأمر .
علاج اللعبة :

علاج هذه اللعبة يكون بعدم تقديم الغفران أو العفو - بعد أن يقول
ممارس اللعبة فى أعقاب إحدى عملياته التخريبية « أنا آسف » ، على
المضيف ، بدلا من أن يغمغم بالعفو ، أن يقول للضيف بحسم « اسمع
يمكنك الليلة أن تحطم أثاث بيتى ، وتمزق ستائرى . ولكن أرجوك ألا تردد
(أنا آسف) هذه .. » هذا يتقل المضيف من (والد) متسامح ، إلى (بالغ)
موضوعى يتحمل كافة المسئوليات الناشئة عن دعوته هذا الضيف إلى بيته .
مدى ثقل وكثافة اللعبة التى يمارسها الضيف ، يمكن أن يتم الكشف عنه
فى أعقاب هذا النوع من الرد من جانب المضيف . والأغلب أن يجيء رد
الفعل متفجرا ، فالذى يتدخل لإيقاف مسار هذه اللعبة ، يدخل فى مغامرة
أكيدة ، غالبا ماتضمن اندفاع الخصم إلى تحرك سريع للأخذ بالثأر . وفى
أبسط الأحوال وأقلها فداحة ، يكتسب عداوة ممارس اللعبة .

* * *

الأطفال . عندما يبدأون في ممارسة لعبة « المكّار » ، يكتفون في أول الأمر بالوصول على الاستمتاع بخلق الفوضى ، إلا أنهم سرعان ما يتدربون على التكيف الاجتماعي . الذي يتيح لهم أن يحصلوا آخر الأمر على الغفران الذي هو المكسب الأساسي للعبة

على المستوى الاجتماعي الظاهر . تتم اللعبة من موقف (بالغ - بالغ) على الصورة التالية :

الضيف (بالغ) : طالما أنني مؤدب يجب عليك أنت أيضا أن تكون مؤدبا

المضيف (بالغ) : هذا حس إني أعفرك
أما على المستوى السيكلوجي الخفي . فتتم من موقف (طفل - والد) كما يلي :

الضيف (طفل) : عليك أن تغفري الأفعال التي أقوم بها طالما أنها تبدو عرضية

المضيف (والد) : أنت على حق ، يجب أن أعطيك نموذجا لما تكون عليه الأخلاق الطيبة .

« لماذا لا ... نعم ولكن »

هذه اللعبة تحتل مكانة خاصة في تحليل الألعاب ، لأنها كانت الظاهره الملفتة التي نهبت المختصين إلى الألعاب . لقد كانت أول لعبة يتم اقتطاعها من سياقها الاجتماعي ، ووضعها تحت مجهر البحث السيكلوجي . لهذا السبب ، تعتبر أكثر الألعاب وضوحا وهي أيضا أكثر الألعاب تداولا في الحفلات واللقاءات الاجتماعية ، وكذلك في تجمعات العلاج النفسى الجماعى .

المثال التالى يوضح اللعبة :

اللاعبة : يصرزوحى دائما على أن يقوم بأعمال النجارة المنزلية بنفسه ، ومع ذلك لم يحدث أن أتم عملا واحدا بشكل سليم .

امراة (١) : لماذا لا تأخذ دروسا فى أعمال النجارة ؟ .

اللاعبة : نعم ولكن . ليس لديه الوقت الكافى لذلك .

امراة (٢) : لماذا لا تشتري له أدوات النجارة الحديثة التى تسهل

العمل ؟ .

اللاعبة : نعم ولكن . من أين له أن يعرف كيفية استخدامها ..

امراة (٣) : لماذا لا تكلفين أحد النجارين المحترفين بهذه الأعمال ؟

اللاعبة : نعم ولكن . سيكلف هذا كثيرا .

امراة (٤) : لماذا لا تقبلين مايفعله زوجك ، وبالطريقة التى يفعله بها ؟

اللاعبة : نعم ولكن هذا يعنى أن كل شيء من حولنا سيتساقط

* * *

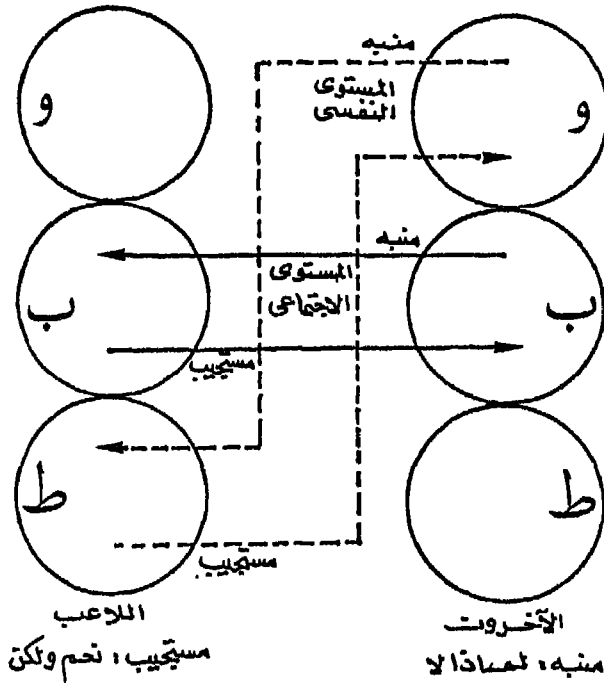
مثل هذا الحوار ، غالبا من ينتهى بلحظة صمت هذا الصمت قد تقطعه امرأة (٥) قائلة شيئا ما مثل « هكذا الرجال بالنسبة لنا دائما . يسعون إلى إظهار تفوقهم علينا بسبب وبدون سبب »
ولعبة « لماذا لا نعم ولكن » ، يشارك في لعبها أى عدد من الأشخاص . اللاعب يطرح مشكلة ، فيبدأ الآخرون في تقديم الحلول كل حل يبدأ بقول « لماذا لا » ، ويرد اللاعب في كل مرة « نعم ولكن »
المارس الماهر لهذه اللعبة يستطيع أن يستمر فيها لأطول مدى ، وحتى يستسلم جميع الموجهدين مما يعنى انتصاره عليهم وفي كثير من الأحيان ، تحتاج اللعبة إلى عشرة اقتراحات أو أكثر قبل الوصول إلى لحظة الصمت المطلوبة ، والتي تعنى انتصار ممارس اللعبة
ومارس اللعبة يرفض ، فما عدا حالات نادرة ، كل الحلول والاقتراحات المطروحة عليه من الآخرين ويحاول أن يفندها . وهذا يوضح ماهذه اللعبة من أهداف خبيثة

تحليل اللعبة :

هذه اللعبة لاتتم سعيًا وراء الأغراض الظاهرة لها ، « طلب (البالغ) حلا لمشكلة ، أو معلومات حول موضوع » ولكنها تتم بهدف تأمين وامتاع (الطفل) في اللاعب .

النص الصريح للعبة . قد يوحي بأنها تتم من موقف (البالغ) ، ولكن المتأمل للنسيج الحى للعبة ، يمكنه ملاحظة أن الزوجة تلعبها من موقف (الطفل) القاصر عن مواجهة الموقف ، بينما تلعبها الأخريات من موقف

(الوالد) الذي لا يدخر جهداً ، في تقديم خبرته لممارسة اللعبة
 فاللعبه على المستوى الاجتماعي المعلن تم من موقف (بالغ - بالغ) وعلى
 المستوى السيكولوجي الخفي تم من موقف (طفل - والد) - وعادة مايكون
 المستوى السيكولوجي للعبة خافيا على الذين يمارسوها ، فتمضى حركاتها
 بطريقة لاشعورية (انظر شكل ٨) .



”لماذا لا ، نعم ولكن“
 شكل (٨)

ظة التحول الشعوري للأطراف الداخلة في اللعبة (البالغ في الروجة إلى طفل ، والبالغ في الآخرين يتحول إلى والد) ، لحظة التحول هذه ، يمكن للملاحظ المدق أن يكشفها ، عن طريق التغير الذي يحدث في الإيماءات والحركات والطبقات الصوتية ، والمفردات المستخدمة في الحديث .

من أجل كشف الوجه الخفي لهذه اللعبة ، يسأل الطبيب الزوجة الطبيب : هل طرحت إحدى الحاضرات اقتراحا لم تفكرى فيه من قبل ؟

الزوجة : لا لم يحدث ، بل واقع الأمر أنني جرت تقريبا كافة الاقتراحات التي طرحوها فاشترت له أدوات نجارة حديثة ، ودفعته إلى أخذ دروس في النجارة

رد الروجة يعطى سببين لعدم أخذ اللعبة على وجهها الظاهر . أولها ، كون اللاعب على نفس مستوى ذكاء المشاركين في اللعبة ، ومن ثم يصبح بعيدا عن الاحتمال أن يقترح واحد منهم حلا لم يصل إليه ممارس اللعبة من قبل وهذا لا يمنع أنه يحدث في بعض الأحيان أن يتقدم أحد المشاركين في اللعبة باقتراح جديد مبتكر للمشكلة ، فإذا كان ممارس اللعبة يمارسها بأمانة (وهذا ما لا يحدث في أغلب الأحيان) ، سيجد نفسه مضطرا لقبول هذا الحل ، بمعنى أن (الطفل) العاجز في الزوجة ، سيتخلى عن تحكمه في الموقف ، مخليا السبيل (للبالغ) ، بعد ظهور الفكرة المبتكرة .

ومن ناحية أخرى ، يكون القبول العاجل للاقتراحات من جانب الزوجة ، تبرا للتساؤل فيما إذا كانت تخفى عزمها بالانتقال إلى لعبة أخرى اسمها « العبي » . سيأتي ذكرها فيما بعد . والمثال المذكور للحوار بين الطبيب والزوجة ، بصور بوضوح الجانب الخفي الثاني للعبة . لقد حاولت الزوجة بالفعل بعض الاقتراحات التي طرحتها النساء عليها ، لكنها ما زالت تعترض

على هذه الاقتراحات وترفضها فالهدف من اللعبة إذا ، ليس الحصول على اقتراحات ، بقدر ماهو الاعتراض على هذه الاقتراحات
بينما يكون من المحتمل أن يلعب أى واحد ما هذه اللعبة ، فى ظروف مناسبة ، وكوسيلة لشغل الوقت . فالدراسة المتأنية للأشخاص الذين يفضلون هذه اللعبة ويمارسونها دائما ، تكشف عدة ملامح متيرة للانتباه .
أولا ، قدرتهم على لعب الأدوار المختلفة للعبة ، بنفس السهولة واليسر وهذا التنقل بين الأدوار المختلفة سمة عامة من سمات الألعاب . قد يفضل اللاعب دورا حصينا على باقى الأدوار بحكم العادة لكنه يكون قادرا - إذا اقتضى الأمر - أن ينتقل من دور إلى آخر فى نفس اللعبة .

ثانيا ، لوحظ فى عيادات الطب النفسى ، أن الذين يمارسون لعبة « لماذا لا .. نعم ولكن .. » يتسبون إلى فئة من المرضى النفسيين ، تتطلب حالتهم فى أغلب الأحيان التنويم المغناطيسى أو التنويم بالحقن ، كوسيلة للاسراع بالعلاج فجوهر لعبتهم هو التأكد من عدم قدرة الآخرين على الوصول إلى حلول تقنعهم ، الذى يعنى بدوره رفضهم الخضوع إلا أنهم عندما يتعاملون مع الطبيب النفسى ، يطالبون بإجراء يجعلهم فى حالة خضوع كامل
هذا يعنى أن اللعبة تمثل حلا اجتماعيا ظاهرا ، لصراع خفى حول الرغبة فى عدم الخضوع والخوف المرضى من الخجل والمواقف المحجلة هو الدافع غالبا إلى هذه اللعبة ، وهو ما يؤكد هذا الحوار الذى جرى بين الطبيب النفسى والزوجة أثناء العلاج .

الطبيب : لماذا تلعبين لعبة « لماذا لا .. نعم ولكن .. » ، إذا كنت تعرفين حقيقتها ؟ .

الزوجة : عندما أتحدث مع إنسان ، أظل أفكر فى الأشياء التى سأقولها . وإذا لم أنجح فى العثور على موضوع للحديث ، يصيبى الخجل . أنا لا أتحمل

فترات السكوت . أنا أعرف هذا ، وروحي يعرفه ، وطالما كاشفني بهذه الحقيقة .

الطيب : معنى هذا أن (البالغ) عندك إذا لم يكن في حالة نشاط ، فإنه يفتح السبيل أمام (الطفل) كي يقفز إلى السطح ، وبسبب لك الارتباك الزوجية : الأمر كذلك فعلا عندما أوصل تقديم الاقتراحات للإنسان ما ، أو عندما أدعه إلى أن يقدم لي اقتراحاته ، أكون بخير . وأشعر بالحماية . وكلما تمكنت من ابقاء (البالغ) داخلي في عالم تحكم . أمكنني أن أوجل فترة الارتباك ..

مكاسب اللعبة :

أظهرت الزوجة في حوارها هذا أنها تخاف الوقت الخالي ، غير المشغول . لأن (الطفل) داخلها يحال بينه وبين الاعلان عن نفسه وممارسة ألامعيه ، طالما أن (البالغ) يظل منشغلا بموقف اجتماعي . واللعبة تقدم شغلا مناسباً لوظيفة (البالغ) . وهذه اللعبة لا تحقق مكسبها إلا إذا أديرت بشكل مناسب . واختيار الزوجة لهذه اللعبة قد تم وفق قاعدة اقتصادية : الحصول على أكبر مكاسب داخلية وخارجية من صراع (الطفل) الذي بداخلها .

وهي قادرة أن تلعب بحماس متكافئ ، إما دور (الطفل) المشاغب الذي يصعب اخضاعه ، أو (الوالد) العاقل الذي يحاول أن يتحكم في (الطفل) عند الآخرين ، والذي يفشل في هذا دائما فالمبدأ الأساسي في هذه اللعبة أن جميع الاقتراحات مرفوضة ، بمعنى أن (الوالد) لا ينجح أبداً ومنطوق اللعبة يقول « لا تجعل الفزع يستولى عليك . (الوالد) لن ينجح أبداً ! » .

وباختصار ، بينما توفر كل حركة من حركات هذه اللعبة لممارستها التسلية ، والمباهج الصغيرة من خلال رفضه الاقتراحات فإن المكسب الحقيقي للعبة هو الصمت ، أو الصمت الصمني ، الذي تنتهي به اللعبة عن ما يجهد الآخرون

عقولهم ، ويصيبهم التعب ، من فرط محاولاتهم للبحث عن حل معقول هذا الصمت ، هو الدليل على أن اللاعب قد كسب المعركة ، وأن الفشل كان من نصيب الآخرين ، الذين لم يوقفوا إلى حل مقنع للمشكلة والطريف في هذه اللعبة ، ما يحدث في بعض الأحيان ، عندما ينقض أحد المشاركين على مكاسب بطل اللعبة ، محاولا إفساد لحظة الصمت التي كسبها بطل اللعبة ، بالدخول في لعبة جديدة لصالحه ، وعادة ماتبدأ معركة بين الطرفين في أعقاب هذا

ومن الخصائص الغربية للعبة « لماذا لا... نعم ولكن . » ، هو أنها تمارس على وجهها الخاص والعام ، بنفس الأسلوب ، مع قلب الأدوار ، ففي الشكل العام (الاجتماعي الخارجي الظاهر) ، وعند مراقبة السيدة التي تمارس اللعبة في عيادة العلاج النفسي ، وجدوا أن (الطفل) فيها يتقدم ليلعب دور الباحث عن الحل ، عند تكتشف المجموعة المناسبة ، من مجموعات العلاج الجماعي ، المستعدة للمشاركة في البحث عن حل لمشكلتها ، وفي الشكل الخاص (الاجتماعي الداخلي) ، عندما تكون مع زوجها في البيت ، يتصدر (الوالد) فيها ، ليقدم الاقتراحات العاقلة الحكيمة للزوج .

هذا الوضع المقلوب للعبة ، يعتبر مظهرا ثانويا لها . وعند الاستقصاء ، وجد أن الزوجة ، أثناء مرحلة تبادل العواطف الساخنة والغزل السابقة للزواج ، كانت تلعب دور (الطفل) قليل الحيلة ، الباحث عن حل لمشاكله . ولكن بعد انقضاء شهر العسل ، تحرك (الوالد) المسيطر فيها ، وتضخمت مكانته . وقد يكتشف الزوج بعض ملامح هذا الموقف مع اقتراب موعد الزواج ، لكنه يتعاضى عنها ولا يلتفت إليها ، في غمرة شوقه إلى إتمام مراحل القران بزوجة المستقبل التي اختارها .

في الحالات التي لا يتعاضى فيها الزوج عن هذه السقطات التي تكشف

ممارسة الزوجة للعبة ، قد يؤدي هذا إلى الانفصال وتبدأ الفتاة ، بشكل أكثر حزبا وليس أكثر حكمة ، الحث عن الرفيق المستجيب للعبة علاج اللعبة .

علاج هذه اللعبة يقتضى التنبه إلى أن الذين يستجيبون لحركة اللاعب الأولى في هذه اللعبة ، عند استعراضه (لمشكلته) ، هم أيضا يلعبون إحدى تويجات لعبة «أنا لأسعى إلا لمساعدتك» وهو الشكل المقلوب للعبة «لماذا لا . نعم ولكن» ، في هذه اللعبة الأخيرة يوجد مريض واحد وعدة أطباء . أما اللعبة الأولى فيها طبيب واحد وعده مريض

والعلاج النصي للعبة «لماذا لا نعم ولكن .» ، هو عدم الاستجابة لمحاولات ممارس اللعبة ، وعدم ممارسة لعبة «أنا لأسعى إلا لمساعدتك» . إذا كانت الخطوة الأولى من ممارس اللعبة على شكل «ماذا تفعل إذا...» ، فالإجابة السليمة هي «هذه مشكلة صعبة ، ماذا تنوى أن تفعل في مواجهتها؟» وإذا كانت الحركة الأولى على صورة «(فلان) لا يؤدي عمله بشكل سليم ، ماذا أفعل معه؟» ، تكون الإجابة ببساطة «هذا أمر سيئ؟!...» ونحب أن تكون الاستجابة في الحالتين على درجة من التأدب ، بما يترك اللاعب غير قادر على مواصلة اللعبة . وعندما يتخذ الطبيب المعالج هذه الخطوة ، خطوة التعامل المقطوع ، سيبدو الاحباط على ممارس اللعبة ، ومن هذا الموقف تتضح جذور اللعبة له .

على المستوى الاجتماعي ، وإذا كانت اللعبة ودية وغير مؤذية ، ليس هناك أى مبرر لعدم المشاركة فيها

ولعبة «لماذا لا نعم ولكن» تكون في درجتها الثانية أكثر قسوة ، تظهر في شكل نداء حار «افعل شيئا من أجلى» . تمتنع الزوجة عن تأدية الأعمال المنزلية مثلا ، بحيث يصبح بإمكانها كل مساء أن تمارس اللعبة مع

زواجها بعد عودته من عمله وجميع الحلول التي يقدمها الزوج . ترفضها
الزوجة ، مواصلة عبوسها واكتئابها . مثل هذه الحالة قد تؤدي إلى أن يصبح
الاكتئاب ضارا بصحة الزوجة - مما يستدعي علاجاً نفسياً سريعاً

الفصل السابع

الألعاب الجنسية

الألعاب الجنسية

بعض الألعاب تتم ممارستها بهدف اساءة استغلال الدوافع الجنسية ومحاربتها وهذه الألعاب جميعا تتضمن انحرافا في العريضة الجنسية ، يحل فيه الاستمتاع الناشئ عن التعاملات الحرجة التي تشكل مكسب اللعبة ، محل الاستمتاع الناشئ عن الاتصال الجنسي

هذه الألعاب لايسهل تصويرها دائما بشكل مقنع . لأنها تجرى في إطار خصوصية العلاقات الجنسية . ولهذا يستمد الطب النفسي معلوماته عنها بطريق غير مباشر . أو عن طريق رواية أحد الداخلين في اللعبة ، وهي رواية يصعب تقييم مدى صدقها وموضوعيتها

في معظم الحالات التي نطرحها ، تكون المرأة هي التي تمارس اللعبة فهناك أشكال قاسية من الألعاب الجنسية ، بطلها الرجل ، وغالبا ماتميل إلى الجريمة ، ومن ثم فقد أوردناها في قسم ألعاب عالم الجريمة . ومن ناحية أخرى ، غالبا ماتتداخل الألعاب الجنسية مع ألعاب الحياة الزوجية ، إلا أن ألعاب هذا القسم تنفرد بأنها من الممكن أن تتم بين غير المتزوجين أيضا والألعاب هي :

- فلتنتارك أنت ، وهو .
- الجورب
- الانحراف .
- الصراخ
- الاغتصاب

« فلنتعارك .. أنت وهو ! »

هذا النوع من الألعاب قد يختلط على غير المدقق ، فهو ليس « لعبا » في كل حالة ، قد يكون مناورة ، مجرد مناورة . أو طقس من الطقوس . أو لعبة فعلية . وفي جميع الحالات يكون الأساس السيكولوجي أنثوي ، ولعل مرجع هذا إلى الخصائص المساوية لهذه اللعبة وهي ، كما ستلاحظ ، نمبر المعين الذي يهل منه الأدب العالمي ، الجيد منه والردىء .

كمناورة :

تكون رومانتيكية المرأة تناور ، أو تتحدى رجلين ، دافعة إياهما إلى العراك ، مع وعد ضمنى غير صريح بأنها ستكون من نصيب الفائز بعد أن ترجح كفة الفائز ، نراها تفي بوعداها .
التعامل في هذه الحالة يعتبر تعاملًا أمينًا ومن المفترض أنها ستعتس مع الرجل الفائز في سعادة وهناء بعد ذلك .

كطقس :

تكون مساوية التقاليد تتطلب أن يتحارب الرجال من أجلها ، حتى ولو لم تكن راغبة في هذا العراك ، وحتى لو كانت تميل مبدئيا إلى أحد المتعاركين . فإذا فاز الرجل الآخر ، تكون مرغمة على قبوله في هذه الحالة يكون المجتمع - وليس المرأة - هو الذى يمارس لعبة « فلنتعارك . أنت وهو ! » .

إذا كانت المرأة راغبة في هذا الطقس أو التقليد ، يكون التعامل هنا أميناً .
أما إذا كانت رافضة له ، أو مستاءة منه . فالحائمة تعطيها الحق في اختيار واسع
بين عدد من الألعاب !

كلعبة

تكون كوميدية . تبدأ المرأة بأن تقيم المنافسة ، فتتم المباراة بين الرجلين .
وعندما يصل العراك بينها إلى ذروته ، تهرب هي مع رجل ثالث !

مكسب اللعبة :

مكسب المرأة ورفيقها الذي هربت معه في هذه اللعبة ، ينبع من الموقف
الذي يقول إن المنافسة الآمنة لا تجرى إلا بين المغفلين ، هذا من الناحية
السيكولوجية الخفية . أما المكسب الاجتماعي المعلن فتستمده المرأة ورفيقها من
القصة الكوميدية التي عاشاها .

« الانحراف .. »

الانحرافات فى العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة ، كالاهتمام المرضى بالجنس ، أو السادية (التلذذ بتعذيب الغير) ، أو الماسوشية (التلذذ بتعذيب الذات) ، هى جميعا أعراض (طفل) مرتبك داخل الشخصية ، ويجرى علاجها على هذا الأساس

ومظاهر مثل هذه التعاملات ، كما تبدو فى المواقف الجنسية الحقيقية ، يمكن تناولها من خلال تحليل الألعاب ، وهذا يؤدى إلى بعض التحكم الاجتماعى فيها . فحتى إذا بقيت الدوافع الجنسية الخبيثة على حالها دون تغيير ، فيمكن على الأقل معادلتها بالقدر الذى يسمح به المجتمع . الأشخاص الذين يعانون من الانحرافات السادية والماسوشية الحقيقية ، يميلون إلى ممارسة لعبة « الطبيب النفسى » بشكل بدائى .

الأشخاص الذين يعانون من التشوهات السادية أو الماسوشية الخفيفة ، يميلون إلى اتخاذ وضع بدائى للعبة « الصحة العقلية » التى ستحدث عنها فيما بعد . إنهم يشعرون أنهم يتمتعون بقوة جنسية هائلة ، وأن فترات العفة والزهد الطويلة ستقودهم إلى عواقب وخيمة . وبالطبع لا يكون أى من استخلاصاتهم هذه حقيقياً ، لكن هذه الاستخلاصات تشكل الأساس الذى يمكن بموجبه ممارسة لعبة أخرى تسمى « الساق الخشبية » ، التى يقول فيها لسان حال الشخص

ماذا تتوقع من شخص مثلي . على هذه الدرجة من القوة الجنسية ؟ »

علاج اللعبة .

يكون العلاج حصص الطرفين على اطالة فترة الملاحظة العادية . أى تخف
أى شكل من أشكال الضرر بالسوط . معنويا أم حرفيا . وإلغى الفحص على
الاتصال العادية في الاتصال الجنسي

إذا كان ممارس اللعبة مسحرف ، حقيق . فسيفقد هذا التصرف إلى تعرية
العصر الثاني من اللعبة . والذي يتم التعبير عنه بوضوح في الأحلام غالبا .
وهو أن العملية الجنسية في حد ذاتها لا تحظى من ممارسي اللعبة إلا بأقل
اهتمام . وأن استمتاعه الحقيقي ينبع من مرحلة الملاعبة الساقطة والتي تتسم
بتحقير الذات . وهذا شيء لم يكن يعرؤ على الاعتراف به لنفسه وتصبح
شكواؤ الآن « بعد كل هذا الجهد الذى بذلته في ضغط النفس . أما زال مطلوبوا
مى أن أمارس الاتصال الجنسي ؟ ! » .

عند هذه النقطة يكون الموقف مواتيا للتحليل النفسى الدقيق . بعد أن تم
إبطال كل جهود المراوغة . هذا التحليل والعلاج ينسحب فقط على « العصائين
حنسيا » . ولا يمتد إلى حالات الذين يعانون من انفصام الشخصية الصار . أو
الاحراف الاجرامى . ولا يمتد أيضا إلى أولئك الذين يمحصرن نشاطهم الجنسى
على أحلام اليقظة .

« الاغتصاب »

تجرى هذه اللعبة بين رجل وامرأة ، ويمكن أن نطلق على أشكالها الخفيفة ، وعلى سبيل التأدب ، اسم « القبلة عن بعد » أو « المكايده » . ويتم ممارسة هذه اللعبة على درجات مختلفة من الشدة .

« الاغتصاب » من الدرجة الأولى :

وهي الدرجة التي نَحْتَمَلُ أن نطلق عليها « القبلة عن بعد » .. وهذه لعبة شائعة في اللقاءات الاجتماعية وتعتمد أساسا على الغزل الخفيف توحى المرأة بتصرفاتها ، أثناء الحفل ، إلى أنها ممن يمكن الوصول إليهن . ثم تستمد مسراتها من ملاحقة الرجال لها . وبمجرد أن تثبت تهمة الملاحقة على الرجل ، تنتهى اللعبة بالنسبة لها

إذا كانت امرأة مؤدبة ، فهي قد تقول للرجل بصراحة تامة « إني أقدر مجاملاتك ، وأسكرك عليها » ، ثم تنصرف إلى المتبارى التالى .

أما إذا كانت أقل كرمًا ، فهي قد تتركه ببساطة دون أى تعليق .

واللاعب الماهرة تستطيع أن تطيل أمد هذه اللعبة لزمان طويل ، في اللقاءات الاجتماعية الموسعة . وذلك بالتحرك حول الرجل من حين لآخر ، بحيث يصبح عليه أن يقوم بمناورات معقدة لتابعها ، حتى لا تبدو مناوراته مفضوحة

« الاغتصاب » من الدرجة الثانية .

وهنا ، يمكن أن نطلق عليها اسم « المكابدة »

المرأة في هذه الدرجة تحصل من ملاحقة الرجل لها على مجرد متعة جانبية ، أما متعتها الحقيقية فتأتي من رفضها له . فهي تستدرج الرجل إلى تصرفات أكثر جدية من التي تجرى في الدرجة الأولى من اللعبة ، وتستمع أساسا بملاحظته وقد طهرت عليه خيبة الأمل عندما ترفضه والرجل ، على عكس ما يبدو عند النظرة الأولى ، لا يكون ضحية حقيقية في هذا اللعبة . ففي الأغلب يكون قد بذل جهدا ملحوظا حتى يتاح له الوصول إلى هذا اللعبة وهو في نفس الوقت يمارس لعبة « اضربني ! » .

« الاغتصاب » من الدرجة الثالثة

اللعبة على هذا المستوى تعتبر لعبة شريرة وتنتهي عادة بالقتل أو الانتحار أو القضاء .

في هذه الدرجة من اللعبة . تقود المرأة رجلها إلى مراحل محسوبة من الاتصال الجسدي ، ثم تهتمه بارتكاب اعتداء إجرامي عليها ، أو أنه تسبب لها في تلف لا يمكن اصلاحه . وفي الأشكال الأكثر شرا ، قد تسمح للرجل بإكمال الاتصال الجنسي ، بحيث تستمد متعتها الجانبية من هذا الاتصال ، قبل أن تبدأ متعتها الحقيقية بممارسة اللعبة ، ومواجهته بصيحة الاغتصاب والمواجهة قد تكون مباشرة ، كما في صرخة الاغتصاب ، وقد تتأخر المواجهة لوقت طويل ، كما في حالات الانتحار ، أو حالات القتل الذي يعقب علاقة جنسية طويلة .

وإذا اختارت المرأة أن توجه الاتهام بالاعتداء الاجرامي للرجل ، فلن تجد صعوبة في الحصول على العطف والاستجابة لدى الأوساط المختصة ،

كالصحافة والشرطة والأقارب وان كان الوضع ينقلب في بعض الأحيان ،
فيتجه الهجوم إلى المرأة ، فتفقد مبادرتها

وفي بعض الأحيان ، يكون محيط المرأة هو الأكثر تشبهاً بممارسة اللعبة .
ربما على غير ارادتها فيضع المجتمع المرأة في وضع يصطرها إلى اطلاق
صرخة الاغتصاب ، حتى تنفذ ماء وجهها وسمعتها ، ويحدث هذا عادة مع
الفتيات القاصرات ، اللاتي يكن في أعماقهن راغبات في استمرار العلاقة مع
الرجل ، ولكن نتيجة لانكشاف هذه العلاقة وما أثير حولها من ضجيج ،
يجبرن على تحويل علاقة الحب إلى لعبة « الاغتصاب » من الدرجة الثالثة
والخليط من لعبتي « الاغتصاب » . ولعبة « فلنتعارك ، أنت وهو! » ،
يتحول في لعبة ثالثة يطلق عليها اسم لعبة « البائع المتجول » ، وفيها تغرى المرأة
الرجل ، فما أن يستجيب حتى تطلق صرخة الاغتصاب وفي هذه اللحظة
يدخل الزوج المجروح ، ليلعب دوره ، مهددا الرجل بهدف ابتزاز أمواله
ولعل أسوأ أشكال ودرجات لعبة « الاغتصاب » من الدرجة الثالثة ،
ذلك الذي يجرى بين الأغراب المصابين بالشذوذ الجنسي ، ففي خلال ساعة
تقريبا من اللقاء لأول مرة ، يصلون إلى حالة القتل مثل هذه الأشكال
الشريرة من اللعبة ، هي التي تغذى العناوين الضخمة في الصحف ،
وصفحات الجرائم بالذات .

* * *

مقدرة الرجل على تجنب الانغماس في مثل هذه اللعبة ، أو مقدرته على
التحكم في سير حركاتها يعتمد على قدرته في التمييز بين التعبير الأصلي عن
المشاعر ، وبين حركات اللعبة . فإذا كان قادرا على التزام الضوابط

الاجتماعية ، فقد يتحقق له قدر كبير من المتعة ، الغرل الرفيق الذى يخرب
فى لعبة « القبلة عن بعد » .

ومن ناحية أخرى ، يكون من الصعب الوصول إلى تصور لامواجهه
الأمية . عندما تبدأ « الماورة » . كما يصعب تدارك الموقف هبل أن يستعمل
الأمر

ولعبة « الاغتصاب » لها تنوع رجالى . نجده كثيرا فى المعاملات
التجارية .

تحليل اللعبة .

الدرجة الثالثة من لعبة « الاعتصاب » تجرى على المستوى الاجتماعى المعلن
من موقف (بالغ - بالغ) ، كالتالى :

الرجل (بالغ) : آسف إذا كنت قد تجاوزت ما تطلبينه مى .

المرأة (بالغ) : لقد اغتصبته ! . ويجب أن تدفع الثمن كاملا .

أما على المستوى السيكولوجى الحقيقى ، فتجرى من موقف (طفل - طفل)

كالتالى :

الرجل (طفل) : أ رأيت ، إلى أى مدى لا أستطيع أن أقاوم .

المرأة (طفل) : هاقد أمسكت بك يا ابن الكلاب ! .

« الجورب »

هذه اللعبة تعتبر من تنويعات ألعاب « الاغتصاب » فيها يكون حب الاستعراض هو أكثر الخصائص وضوحا ، وتكون الرغبات الاستعراضية عند ممارسة اللعبة متصفا بالمستبرية

تقبل المرأة التي تمارس اللعبة على مجتمع الغرباء ، وبعد قليل من الوقت ، ترفع ساقتها عارضة نفسها بشكل مثير . فائلة بعد آهة ممطوطة « بالحسارة . إند ظهر قطع في جدرني الثمين »

والمفروض في مثل هذا الاستعراض أن يثير الرجال جسا . ويغضب النساء الحاصرات . وبصفة خاصة روجات الرجال الحاضرين

أى اتهام يوجه إلى هذه المرأة نتيجة لهذه الحركة التي تبدو عفوية ، يدفعها إلى الاحتجاج بالراء ، أو إلى س هجوم مضاد . ومن هنا يأتي التشابه بين هذه اللعبة ولعبة « الاغتصاب »

المرأة التي تمارس هذه اللعبة ، غالبا ماتكون قد فشلت في التكيف مع المجتمع الذي اقبلت عليه ، وتمارس فيه ألعابا وهي غالبا ما تبدأ لعبتها . فبل أن تتعرف على نوع المجتمع الذي تتعامل معه ، أو الوقت المناسب لممارسة ألعابها ، ولذا فغالبا ماترفض مثل هذه المجتمعات الصغيرة وجود مثل هذه المرأة ، مما يؤثر على علاقاتها البشرية

تحليل اللعبة :

المرأة التي تلعب هذه اللعبة ، بالرغم من التفسيرات السطحية التي تطرحها ، تفشل في فهم ذلك الذي يعبري بينها وبين الآخرين ، ومن هنا يكون مطلقها في الحكم على الطبيعة البشرية شريراً ، ويصبح هدفها دائماً هو اثبات أن عقول الناس وافكارهم شهوانية في حالتها هذه يلتحم (البالغ) مع (الطفل) و(الوالد) في كتلة واحدة تصر على تجاهل افعالها المثيرة ، والطبيعة السوية للناس الذين تلتقي بهم .
والدافع إلى هذه اللعبة يكون في الأغلب ، الرغبة في تحطيم الذات .

تنويعات اللعبة :

وهناك أشكال أخرى لهذه اللعبة ، من بينها اللعبة التي تقدم عليها المرأة التي تتمتع بصدر كبير مثير فهي تميل عادة إلى أن تجلس واضعة ذراعيها خلف رأسها ، حتى تبلغ في دفع صدرها إلى الأمام إذا نصح هذا الأسلوب ، كان بها ، وإلا فهي تعتمد إلى مزيد من لفت النظر إلى صدرها ، بأن تشير - بالقول - إلى حجم صدرها . أو بالحديث - البريء ظاهرياً - حول جراحة أجرتها في صدرها ، أو تتحدث - أيضاً بشكل برئ ظاهرياً - عن الناموسة التي لدغتها في صدرها .

ومضمون كل هذه المجهودات التي تقوم بها المرأة التي تمارس لعبة «الجورب» ، هو امكان الوصول إليها جنسياً ومن الأشكال الرمزية لهذه اللعبة ، تلك الحالة التي تحرص فيها المرأة على تأكيد كونها أرملة أو مطلقة ، في حديثها ، الذي يبدو بريئاً في ظاهره ، ولكنه يحمل الكثير من المعاني الخبيثة في جوهره .

علاج اللعبة :

أثناء العلاج ، تبنى المرأة التي تمارس هذه اللعبة أقل الصبر في دخولها إلى علاج حقيقى . وقد يتم علاج هذه اللعبة بأن يتجاهل المجتمع الذى تجرى فيه ، أمر المرأة التي تمارسها نهائياً ، رغم كل الحركات والأقوال . مثل هذا التصرف ، قد يؤدي إلى توقف اللاعبة عن المضى فى محاولاتها .

والتصدى لعلاج هذه اللعبة يحتاج إلى حرص شديد ، وألا تتسم خطوات العلاج بأقل قدر من الانتقام أو الثأر أو التشقى . لأن ظهور مثل هذه المشاعر يعنى أن اللاعبة قد كسبت جولتها .

والنساء يكن عادة أقدر من الرجال على القيام بالحركة المضادة لهذه اللعبة ، فلهذه دأماً حافظهن الشخصى لإنهائها .

« الصراخ »

هذه اللعبة ، فى شكلها التقليدى ، تجرى بين أب متحكم مسيطر ، وابته الشابة ، فى ظروف تكون فيها الأم ممتعة جنسيا على الأب .
يصل الأب إلى بيته بعد انتهاء ساعات عمله ، فيكتشف غلطة ما فى تصرف ابته ، ويلفت نظرها ، فتجيب بسلاطة لسان . أو تكون هى البادئة بالحركة الأولى من اللعبة ، مستعرضة سلاطة لسانها أثناء تعليقها على أمر ما ، مما يعتبره الأب نقيصة تستوجب المآخذة على المدى يتعالى صراخها ، ويصبح الصدام بينها أشد حدة .
والحركة الأخيرة من هذه اللعبة ، تتوقف على الذى يأخذ المبادرة من الطرفين ، وهناك ثلاثة احتمالات :

- ١ - يذهب الأب إلى حجرته ، ويصفق الباب خلفه
 - ٢ - تذهب الابنة إلى حجرتها ، وتصفق الباب خلفها .
 - ٣ - يذهب كل منهما إلى حجرته ، ويصفق بابها .
- فى جميع الأحوال ، تنتهى لعبة « الصراخ » بصوت الباب وهو يصفق .
هذه اللعبة تقدم حلا فعالا - وان كان مقبضا - للمشاعر الجنسية التى قد تنشأ بين الأب وابته المراهقة فى بعض العائلات . فتحت ضغط الدوافع الجنسية الغريزية ، غالبا ما يكون من الصعب عليها أن يعيشا تحت سقف

واحد ، مالم يكونا متخاصمين . وانصفاق الباب ، يؤكد لكل منهما ، ان كل
منها له حجرة نومه الخاصة

ولعبة «الصراخ» ، بشكل عام ، تجرى بين أى شخصين يحاولان تجنب
الألفة الجنسية بينهما وتعتبر لعبة «الصراخ» الحركة الأخيرة من لعبة «المرأة
الباردة»

تنوعات اللعبة :

نادرا ماتجربى لعبة «الصراخ» بشكل مقلوب ، أى بين الشاب والمحارم
من النساء اللاتى يعشن معه تحت سقف واحد ومرجع هذا إلى الصلاحيات
التي تعطى للشباب ، والتي تسمح لهم بالهروب من البيت فى أغلب
الأمسيات ، دون اعتراض من الأسرة .

التمزوج الطفولى للعبة «الصراخ» ، يتمثل فى العراك الجسدى بين الأولاد
والبنات الصغار ، حيث يودى هذا العراك الجسدى إلى إقامة الموانع
الجنسية ، كما فى حالة اللعبة بين الكبار ، إلا أن المتعاركان فى هذه الحالة
يحصلان على بعض الاستمتاع الجزئية . والعراك الجسدى له العديد من
الدوافع فى مختلف الأعمار .

فى أمريكا ، يعتبر العراك الجسدى بين الصغار ، شكل شبه طقسى للعبة
«الصراخ» ، وهو مجاز من المشرفين على التليفزيون ، ومن السلطات التربوية ،
أما فى الطبقات الإنجليزية العليا ، فيعتبر العراك الجسدى بين الصغار ، أو كان
يعتبر ، نشاطا سيئا ، يجب الحرص على سرعة تحويله إلى لعبة «الصراخ» ،
التي يجاد تنظيمها فى الملاعب الرياضية .

علاج اللعبة :

علاج هذه اللعبة يأتي بشكل طبيعى ، عندما تتزوج الابنة . وفى بعض
الحالات قد تلجأ الابنة إلى هذا الحل فى سن مبكرة ، مندفعة إلى زيجة غير

ناضجة وإذا كانت الأم في وضع سيكولوجى يسمح لها بالتدخل ، تكون قادرة على اتخاذ الخطوة الأولى نحو قطع اللعبة ، وذلك بتنازلها عن برودها الجنس النسبى أو المطلق كما يمكن لهذه اللعبة أن تنتهى ، إذا ما وجد الأب اهتماما جنسيا خارج البيت ، غير أن هذا الحل يقود إلى تعقيدات أخرى .
في حالة قيام لعبة « الصراخ » بين الزوجين ، يكون قطع اللعبة وإيقافها ، بنفس الخطوات التى اتبعناها في لعبة « المرأة الباردة »

الفصل الثامن
ألعاب عالم الجريمة

ألعاب عالم الجريمة

مع شيوع نشاطات علم النفس والخدمة الاجتماعية في المحاكم والسجون ومراكز رعاية الأحداث ، ومع تزايد حصيلة أبحاث علم الجريمة ، يجب على القائمين على هذا الجهات أن يكونوا متنبهين إلى الألعاب التي تدور في عالم الجريمة ، داخل السجون أو خارجها . سنستعرض لعبتين من ألعاب عالم الجريمة هما :

- عسكر وحرامية ..
- كيف تهرب من هنا ..

« عسكر وحرامية »

لأن أغلب المجرمين يكرهون الشرطة ، نراهم يستمدون متعتهم الكبرى من خديعة الشرطة ، أكثر من المكاسب التي يستهدفونها بنشاطهم الاجرامى . فالجرائم على مستوى (البالغ) هي ألعاب تستهدف المكسب المادى ، الغنيمة . لكنها على مستوى (الطفل) ، تستهدف الإثارة التي يحصل عليها ممارس اللعبة ، أثناء المطاردة ، ملاحقة الشرطة له ، ومراوغته لهم . والنمط الطفولى للعبة « عسكر وحرامية » ، ليس به عسكر ولاحرامية ، إنه يأخذ شكل « الاستغاية » أو « المسآكة » . وعنصر الاستمتاع الأساسى فى هذه اللعبة هو « التعبير عن التكدر » الذى يبديه الطفل المختبئ ، فى لحظة اكتشاف مكانه .

وصغار الأطفال يكشفون طواعية هذه الحقيقة . إذا استطاع الأب أن يعثر على ابنه المختبئ بسهولة شديدة وبسرعة ، تتحقق للطفل لرغبته فى « التعبير عن التكدر » . إلا أن اللعبة تفتقد فى هذه الحالة اثارها وطرافتها . أما إذا كان الأب فاهما لأصول اللعبة ، ماهرا فى ممارستها ، نراه يفهم بالتحديد مايجب عليه فعلة ، فهو يظهر الحيرة أثناء البحث ، ويبدو وكأنه يبذل محاولات جادة للعثور على مكان الابن . إذا طالت هذه الفترة ، نلاحظ أن الابن يصدر صوتا ، أو يسقط شيئا على الأرض محدثا صوتا ، ليساعد الأب فى العثور

عليه - إنه في الواقع يجبر الأب على العثور عليه ، ولكنه حتى في هذه الحالة ، لا يتخلى عن اظهار التكدر في لحظة العثور عليه بهذه الطريقة يحصل الابن على متعته كاملة الاثارة في مرحلة البحث عنه ، ثم التعبير عن التكدر والاستياء لحظة العثور عليه . أما إذا فشل الأب في العثور على الابن - وبرغم ما يحمله هذا من انتصار للابن على جهود الأب ، فإن الابن يشعر بالاستياء أكثر من شعوره بالانتصار

كذلك عندما يحل الدور على الأب كى يخفى هو ، يدرك أنه ليس من المفروض المبالغة في اختيار الخبأ ، بحيث يصعب على الطفل العثور عليه ، كما يدرك بحكمته ، أن أصول اللعبة تقتضى منه أن يظهر الضيق عندما يتم العثور عليه وفي هذا أيضا تأكيد للحقيقة السابقة ، وهى أن الاستمتاع الأساسى في هذه اللعبة يكون ساعة العثور على الشخص المختبئ ، وما يستتبع ذلك من تكدر واستياء وضيق .

لهذا ، لا يجب أن نعتبر لعبة « الاستغاية » نوعا من أنواع التسلية وتمضية الوقت ، إنها لعبة نفسية بكل معنى الكلمة .

* * *

على المستوى الاجتماعى الظاهر ، تعتبر اللعبة معركة حذق ومهارة ، وتحقق متعتها الكبرى عندما يذل (البالغ) فيمن يمارسونها أفضل ما عنده وعلى المستوى السيكولوجى الخفى ، يكون على (البالغ) في ممارسة اللعبة أن يخسر ، حتى يستطيع (الطفل) فيه أن يكسب .
وعلاج هذا اللعبة يكون بالامتناع عن إمساك المختبئ .

* * *

ومن الملاحظ أنه عندما تجرى اللعبة بين الأطفال الأكبر سنا ، يعتبر

اختيار الخبأ الصعب الذى لا يمكن العثور عليه ، انتقاصاً للروح الرياضية .
واقساداً لجوهر اللعبة وهو يعتبر نوعاً من استئصال لعنصر (الطفل) فى
اللعبة ، وتحويل الأمر بأكمله إلى نوع من الاجراءات الماهرة التى يقوم بها
(البالغ) اللعب هنا لا يكون من أجل متعة اللعبة فى حد ذاتها ، ويصبح
أشبه بنشاط صاحب كازينو القمار ، أو نشاط المجرم المحترف ، الذى يسعى إلى
الكسب المادى ، وليس إلى الاستمتاع باللعب .

ويبدو أن هناك نمطان متميزان من معتادى الإجرام ، أولئك الذين
يدخلون عالم الجريمة أساساً من أجل الكسب المادى ، وأولئك الذين يدخلونه
أساساً من أجل اللعب . وهذا لا يمنع من وجود مجموعة ضخمة تتردد بين
النمطين . النمط الأول يضم «الفائز حتماً» ، ذلك الذى ينجح فى جمع المال
نتيجة لنشاطه الاجرامى ، وموقف (الطفل) داخله لا يريد للشرطة أن تعثر
عليه . وهذا النمط - وفقاً للتقارير - يعتبر نموذجاً نادراً ، يصعب على الشرطة
أن تصل إليه ، أو تمس مصالحه . والنمط الثانى يضم «الخاسر حتماً» ، ذلك
الذى يلعب لعبة «عسكر وحرامية» وهذا ، غالباً ما تكون أحواله المالية
سيئة ، أما الذين يخرجون عن قاعدة الافلاس هذه ، فيكون مرجع ذلك إلى
الحظ ، أكثر من أى شىء آخر . وحتى هؤلاء المحظوظين ، غالباً ما ينتهون -
على المدى البعيد - إلى أن يستجيبوا لمطالب (الطفل) فيهم ، الذى يطالبهم ،
مصرّاً ، بالوقوع فى يد الشرطة .

* * *

ممارس لعبة «عسكر وحرامية» ، يشبه فى بعض جوانبه ممارس لعبة
«المدمن» . فهو قادر على تغيير الدور الذى يلعبه ، من شرطى إلى لص ، أو
من لص إلى شرطى . وفى بعض الأحيان ، نراه يلعب الشرطى (الوالد)

نهارا ، واللص (الطفل) ليلا والمثل الشائع يقول : هناك شرطى داخل كل لص ، ولص داخل الكثير من رجال الشرطة
المجرم الذى يشقى من ممارسة هذه اللعبة ، قد يتحول إلى دور المنقذ ،
فيعمل فى حقل الخدمة الاجتماعية أو الدينية . إلا أن دور المنقذ فى هذه
اللعبة ، يتضاءل كثيرا إذا قيس بدور المنقذ فى لعبة (المدمن) . وعادة يكون
دور اللاعب (كلص) هو قدره ، وتكون داخله الدوافع الخفية التى تتيح
للشرطة أن تمسك به . ومحاوراته ومداوراته مع الشرطة ، تكون عنيفة فى
بعض الأحيان ، سهلة يسيرة فى أحيان أخرى .

* * *

نفس الوضع ينسحب على المقامرين . على المستوى الاجتماعى الظاهر
للجميع ، يكون الهدف الأول فى حياة المقامر المحترف هو المقامرة . أما على
المستوى السيكولوجى ، فإننا نجد نوعين من المقامرين المحترفين : أفراد النوع
الأول يمضون أوقاتهم فى اللعب ، اللعب مع القدر ، وتكون رغبة (البالغ)
فى الكسب عندهم ، أقل من الصياح القوى الصادر من (الطفل) داخلهم
والذى يطالبهم بالخسارة . أما أفراد النوع الثانى ، فهم أولئك الذين يديرون
بيوت القمار غالبا ، ويعيشون من إيراد هذا العمل ، فيحققون أرباحا كبيرة ،
من إتاحة فرصة المقامرة للمقامرين . وهم فى حد ذاتهم لا يقامرون ، ويحاولون
بقدر الامكان أن يتجنبوا اللعب . إلا أنه تحت ظروف خاصة ، يمارسون
المقامرة - من حين لآخر - ويستمتعون بها . تماما كما يجنح المجرم المحترف فى
بعض الأحيان إلى ممارسة لعبة «عسكر وحرامية» .

* * *

وهذا ، يلقى الضوء على سر تخلف الدراسات الاجتماعية والسيكولوجية فى

عالم الجريمة ، . وعدم نمو هذه الدراسات أو تقدمها بشكل عام
يرجع السرفى ذلك إلى أن الدارسين والباحثين لا ينتبهون إلى أنهم يتعاملون
مع نوعين مختلفين من الناس ، يصعب وضعها داخل نفس الإطار ، أو
اخضاعها لنفس الأفكار والنظريات

ونفس الشيء ينسحب على دراسة المقامرین
ولا يمكن الوصول إلى حل مباشر لهذه المشكلة ، دون الاعتماد على علم
تحليل التعاملات وتحليل الألعاب عن هذا الطريق ، يمكننا كشف غوامض
الموضوع ، بالتفريق بين ما هو ظاهر وما هو مستتر تحت المستوى الاجتماعى ، بين
ممارس اللعبة والمحترف .

لكى نفهم هذا بشكل أوضح ، نعطى بعض الأمثلة .
بعض اللصوص يؤدون عملهم ، بدون جهد ضائع ، وبكفاءة كاملة .
والبعض الآخر الذى يمارس لعبة « عسكر وحرامية » ، يترك غالبا بطاقته فى
مكان الجريمة ، على شكل عمل تخريبى لامبرر له مثل إفساد توب ثمين ، أو
تخطيم آنية غالية .

سارق البنك المحترف - وفقا للتقارير - يتخذ كافة الاحتياطات ليتجنب
العنف ، وسارق البنك الذى يمارس « عسكر وحرامية » ، ينغمس فى البحث
عن مبرر للتعبير عن غضبه . ومثل كل محترف ، يحب سارق البنك المحترف
لعمله أن يكون على أكبر درجة من النظافة والدقة ، تسمح بهما الظروف . أما
السارق الذى يمارس اللعبة ، نراه يحرص على إثارة الغبار حول عمله المجرم
الحقيقى لا يقدم على عمل ما ، إلا إذا تأكد من أن ضمانات الأمن كاملة ، أما
المجرم اللاعب ، فيعمل كل ما من شأنه أن يجعله فى آخر الأمر يقف أمام
القانون مكبل اليدين .

المجرم المحترف يدرك تماما - بطريقته الخاصة - خصائص وطبيعة لعبة

«عسكر وحرامية» ، فإذا أحس بأن أحد أعضاء عصابته يبدى ميلا إلى اللعبة ، فإنه سرعان مايتخذ الإجراءات العنيفة لاستئصال هذا الانحراف من عمله ولعل السبب في أن أغلب المجرمين المحترفين لايقعون في أيدي الشرطة ، هو أنهم لايمارسون لعبة «عسكر وحرامية» ونتيجة لهذا ، قلما يخضعون للدراسة الاجتماعية أو السيكولوجية ، ويندر أن يتاح للطب النفسى أن يدرس حالتهم . ونفس الشيء ينسحب على المقامرین . ومن هنا ، فإن أغلب معلوماتنا عن المجرمين والمقامرين نستمدھا من ممارسی لعبة «عسكر وحرامية» ، أكثر ما نستمدھا من المجرمين المحترفين .

تنوعات اللعبة :

يتزايد عدد ممارسی لعبة «عسكر وحرامية» ، بانتشار المصابين بجنون السرقة (وهم غير لصوص الخال العامة من المحترفين) هذا بالإضافة إلى أن نسبة عالية من الناس تمارس اللعبة بالخيال . وهذا هو ما تعتمد عليه الكثير من المجالات الرخيصة . ويقوم هذا الخيال على حلم (الجريمة الكاملة) ، والتي تعنى ممارسة لعبة «عسكر وحرامية» في أعنف وأصعب أشكالها ، متضمنة محاولة تضليل الشرطة تضليلا كاملا

ولعبة «عسكر وحرامية» لها تنوعات عديدة ، مثل لعبة «المحاسب واللص» ، والتي يمارسها المختلسون ، بنفس القواعد والمكاسب والأهداف . كذلك لعبة «مأمور الجمرک واللص» ، والتي يمارسها المهربون .. إلى آخر ذلك .

ومن الأشكال المثيرة للألعاب ، ذلك التنوع الاجرامى للعبة « المحكمة » فبرغم الاحتياطات الكبيرة التي يتخذها المجرم المحترف ، يحدث - بين الحين والآخر- أن يتم القبض على أحدهم ، ليجد نفسه ماثلا أمام المحكمة . وهو هنا يعتبر المحكمة مجرد اجراء من الاجراءات وليس لعبة ، وهو يسير في

الخطوات وفقا لتعليمات محامين. وإذا كان المحامي نفسه من الفئز « الفائز حتما » ، تصبح « المحكمة » لعبة أساسية ، يجربها المحامي مع الخلفين ، ويكون هدفه منها الانتصار عليهم وكسب القضية الأمر الذي تعتبره قطاعات واسعة من المجتمع عملا مشروعاً ومستحبا

علاج اللعبة :

وعلاج هذه اللعبة يجب أن يكون على يد علماء الجريمة المؤهلين ، وليس على يد الطبيب النفسى فى هذه الحالة لاتدخل السلطات القضائية أو الشرطة كعنصر من عناصر العلاج ، لأنها تمتل أدواراى اللعبة ، وفقا للقوانين التى تحكم المجتمع .

بعض الباحثين والعاملين فى حقل الجريمة ، يتفكهن حول تصرف بعض المجرمين ، بقولهم إن أولئك المجرمين يتصرفون وكأنهم يستمتعون بالمطاردة ، ويرغبون فى أن يتم الامساك بهم فى النهاية أو قد يقرأون ما يكتب حول الألعاب ويوافقون عليه ، ولكن من منطلق مختلف عن المنطلق الحقيقى . إنهم يبدون أقل الميل لاعتبار ظاهرة الألعاب ، ظاهرة أكاديمية ، يمكن أن يكون لها تأثيرها الفعلى على عملهم (الجاد) .

وهذه اللعبة من الصعب الكشف عن عناصرها ، من خلال المقاييس والممارسات التقليدية للبحث النفسى . فالباحث يجد نفسه مضطرا إلى القفز فوق النقاط شديدة الغموض التى تعترض طريقه ، بعد أن يعجز عن معالجتها بأدواته الراهنة ، أو يجد صعوبة فى تغيير الأدوات التى يعمل بها .

سيظل علم الجريمة يدور فى حلقة مفرغة من البحوث السطحية والجانبية ، مالم ينظر إلى لعبة « عسكر وحرامية » ، نظرة جديدة ، ليس على سبيل أنها فكرة مثيرة ، بل باعتبارها الحل الحقيقى الذى يمكن أن نصل عن طريقه إلى فهم كامل لكثير من مشاكل علم الجريمة .

« كيف تهرب من هنا .. »

تؤكد الشواهد التاريخية أن المسجون الذى يشغل وقته بنشاط ما ، أو بنوع من أنواع التسلية أو الألعاب ، هو الذى يتمتع بحالة أفضل من غيره . ويدرك رجال الشرطة السياسية هذه الحقيقة ، وعندما يهدفون إلى القضاء على سجين ما ، يتركونه دون عمل أو نشاط من أى نوع ، وفى حالة عزلة اجتماعية كاملة .

« النشاط » المفضل فى حالات السجن الانفرادى هو القراءة والكتابة .

أما « التسلية » المفضلة فهى الهروب من السجن .

أما « اللعبة » المفضلة فهى ممارسة « كيف تهرب من هنا . » ، التى قد نعثر على من يمارسها فى المستشفيات العامة أيضا .

السجين الذى يرغب حقا فى الخروج إلى عالم الحرية ، يستطيع بتجاوبه مع سلطات السجن ، أن يحصل على الإفراج فى أقرب فرصة أما ممارسة لعبة « كيف تهرب من هنا .. » فىكون من نصيب المرضى ، الذين لا يرغب (الطفل) داخلهم فى الخروج من السجن أو المستشفى .. نراهم يحرصون على السلوك الطيب ، لكن ما أن نحل النقطة الحرجة ، حتى يعمدون إلى تخريب وضعهم ، بحيث ينشأ المبرر القوى لعدم خروجهم .

يقتضى السلوك الحميد ، كإجراء وليس كلعبة ، ان يتكاتف (الوالد) مع

(البالغ) مع (الطفل) لتحقيق هدف الافراج . أما في لعبة «كيف تهرب من هنا ..» ، فليترمز كل من (الوالد) و(البالغ) بالخطى المرسومة ، التي تستهدف الخروج من السجن ، ثم تحمل اللحظة الحرجة ، عندما يتدخل (الطفل) لإفساد كل شيء . والسبب في ذلك هو أن (الطفل) داخل السجن يكون خائفاً من .خوض المغامرة ، مغامرة الخروج إلى عالم الحرية الذي لا يثق فيه .

وفي المستشفيات أو عيادات العلاج النفسى ، يلج كثير من المرضى الذين يمارسون اللعبة على طلب السماح لهم بالخروج من المستشفى ، ويظهرون تحسنا في حالتهم وامتنالا كاملا للعلاج . وما أن يصبحوا على وشك الخروج ، حتى تفاجأ المستشفى بانتكاسهم الكامل ، وعودتهم إلى الحالة التي دخلوا بها المستشفى .

ولعبة «كيف تهرب من هنا ..» تحتاج إلى علاج نفسى فعال ، حتى يتوقف الشخص عن ممارستها

تنوعات اللعبة :

هناك بعض التنوعات لهذه اللعبة ، منها « عليك أن تسمع » . في هذا التنوع يطالب الشخص ، عضو المؤسسة الاصلاحية ، أو المريض بالمستشفى ، بحقه في الشكوى . وتكون الشكوى عادة حول ظواهر وهمية غير حقيقية . ويكون الهدف الحقيقي لممارسة اللعبة في هذه الحالة ، هو أن يتأكد من قدرته على أن يفرض على السلطة الانصات لكلامه . فإذا ارتكبت السلطة غلطة البحث في شكواه ، والنظر فيها بشكل جدى لإثبات عدم سلامتها ، ساءت حالته النفسية . وإذا استجابت السلطة لطلبه ، تزايدت الطلبات وتصاعدت . أما إذا اكتفت السلطة بمجرد الاستماع ، بصبر وأناة مع إبداء نوع من الاهتمام ، يكون ممارسة اللعبة قد حققت هدفه ، ويصبح بعد

ذلك متعاوناً مع السلطة ، ولا يعود إلى الشكوى .
على المدير أو رئيس العمل أن يميز جيداً بين ممارسة لعبة « عليك أن
تسمع » ، وبين أصحاب المطالب الحقيقية من العاملين ، والتي تحتاج إلى
تصرف عملي فيها .

الفصل التاسع
ألعاب حَجَرَة الاستشارة

ألعاب حجرة الاستشارة

على محلل الألعاب المحترف أن يستثمر مايجرى في حجرة الاستشارة النفسية من ألعاب نفسية ، أثناء العملية العلاجية . ذلك لأن علاقته بهذه الألعاب تكون مباشرة . وهناك ثلاثة أنواع من هذه الألعاب ، وفقا لتباين الممارس الأساسى فيها :

- (١) ألعاب يمارسها المعالجون النفسيون والذين يتولون بحث الحالات مثل لعبتي « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ولعبة « الطب النفسى » .
- (٢) ألعاب يمارسها المرضى الخاضعون للعلاج الجماعى ، والذين تدربوا عليها تدريجيا عاليا يضعهم فى مصاف المحترفين ، كما فى لعبة « بيت النباتات » .
- (٣) ألعاب يمارسها المرضى العاديين ، مثل لعبة « العاجز » ، ولعبة « الساق الخشبية » .

والألعاب التى نطرحها فى هذا القسم هى :

- بيت النباتات .
- أنا لا أسعى إلا لمساعدتك
- العاجز .
- الفلاحة .
- الطب النفسى
- الغي .
- الساق الخشبية .

« بيت النباتات »

في مجال البحث العلمي ، وليكن على سبيل المثال علم النفس التجريبي ، يشيع بين المبتدئين عند الالتقاء ببعضهم البعض ، استخدام الاصطلاحات العلمية في الحديث اليومي العادي . فيقول أحدهم للآخر « أنت تستعرض نوازعك العدوانية » ، أو « انظر إلى أى مدى تتحقق لديك الآلية ، في نظام الدفاع النفسى الآلى » .. إلى آخر هذه التعبيرات وهذا في حد ذاته تسلية غير ضارة ، وأحد مظاهر الخبرة الأكاديمية . أو فائض الدراسة . والاصلاء من بين شباب العلماء يمكنهم أن يستبطنوا من هذا الحوار المتبادل متعة وتسلية

وهذا يختلف عن جوهر لعبة « بيت النباتات » فهناك ميل شديد بين المستجدين في الدراسات النفسية إلى المبالغة في احترام ما يطلقون عليه أسم (المشاعر الفريدة والأصيلة) التى يمرون بها . قبل أن يصف الواحد منهم هذه المشاعر ، يبدأ بالإعلان عن فرح حلوها . بعد هذا الإعلان ، يبدأ في وصف هذه المشاعر ، ويستعرضها أمام زملائه ، كما لو كانت زهرة ثمينة نادرة ، نمت في (الصويا) أو (بيت النباتات) ، يجب أن نلقاها بحرص ورهبة . ومن ناحية أخرى ، يتلقى الزملاء هذه الكلمات باهتمام شديد وتوقير ، وينهمكون في الحديث عنها ، كأنهم خبراء نبات في حديقة لدراسات النبات

العلمية . وهم يثيرون التساؤلات الهامة حول هذه الزهرة النادرة ، وهل تستحق أن تعرض في « المتحف العام للمشاعر البشرية » ! .
عندما يحاول الطبيب النفسى المتمرس أن يقاطع هذه الطقوس المقدسة ، سائلا بعض الأسئلة العلمية ، يقابل منه هذا بالاحتجاج والرفض ، وكأنه قد مد أصابعه الفضة الباردة ، ليزق الأوراق الهشة لهذه الزهرة التى لا تتكرر . والطبيب النفسى يشعر - عن حق - أن فهم هذه الزهرة ومعرفة تركيبها وتشریحها وطبيعتها ، يقتضى تقطيع أوصال هذه الزهرة .
هذه اللعبة يمكن أن تعوق تقدم العلاج النفسى . وعلى الطبيب النفسى أن يعتمد فى علاجه لهذه اللعبة ، على نفس السخرية والتهمك الواردين فى وصف اللعبة .

* * *

إذا سمحنا لمثل هذه اللعبة أن تستمر ، فقد تتواصل ممارستها بلا تغيير لعدة سنوات ، يشعر بعدها المريض أنه أصبح يتمتع (بنجربة علاجية) ، وأنه أصبح يعرف كيف (يعبر عن نوازه العذوانية) ، وأنه قد تعلم (مواجهة مشاعره) بطريقة تضعه فى موقع أفضل من زملائه الذين لم يصادفهم نفس التوفيق . وإذا كانت ممارسة هذه اللعبة تتضمن بعض المزايا ، إلا أن ممارستها تعوق جهد التوصل إلى نتائج علاجية أفضل .

والمضحك ، أن هذه التعبيرات ، التى لاتصدر إلا من مبتدئى الدراسة ، لاتوجه إلى الزملاء من ممارسى اللعبة ، بل يتم استعراضها أمام الأساتذة والوسط الثقافى المحيط بهم ، والذى يشجع مثل هذه الخلدقة .

ومن المناسب فى مثل هذه الحالات توجيه بعض الملاحظات التى تتضمن التشكيك فى جدوى هذا النوع من الحوار . فقد تفيد هذه الملاحظات فى انتزاع المريض بنجاح من تأثيرات (الوالد) الزائفة ، وتخفيف حدة التركيز

على الذات في تعامل المرضى مع بعضهم البعض .. وبدلا من أن يزرعوا مشاعرهم وينموها في (بيت النباتات) الدافئ ، يكون عليهم أن يكتفوا بترك مشاعرهم لكي تنمو بشكل طبيعي ، وعلى أن يتم تشجيع هذه المشاعر ، فقط عند ما تكون قد نضجت تماما .

أكثر مزايا هذه اللعبة وضوحا ، هي المزايا السيكلوجية العامة أو الخارجية ، فاللعبة توفر لممارستها تجنب الألفة عن طريق عرض المشاعر بالطريقة التي تضمن عدم استجابة الآخرين لها

« أنا لا أسعى إلا لمساعدتك »

تجرى هذه اللعبة في أى مجال من مجالات العمل ، ولانقتصر على أفراد جماعات العلاج النفسى ، أو العاملين فى حقل الخدمة العامة . إلا أنها تشيع بشكل ملحوظ بين العاملين فى حقل الخدمة الاجتماعية ، حيث تظهر اللعبة فى أكثر أشكالها وضوحا .

وقد تم اكتشاف هذه اللعبة على يد دكتور إريك بيرن فى ظروف خاصة جدا .

كان يراقب مجموعة من الرجال تلعب (البوكر) ، وفى أحد الأدوار انسحب الجميع ماعدا باحث سيكولوجى ، ورجل من رجال الأعمال . كانت أوراق رجل الأعمال عالية ، فرفع رهانه ، ولما كانت أوراق الباحث السيكولوجى قوية جدا ، وتصعب هزيمتها ، فقد رفع بدوره الرهان . أخذ رجل الأعمال يتطلع إلى خصمه حائرا ، فعلق الباحث بممازجا « لاتتحير.. أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » . تردد رجل الأعمال قليلا ، ثم اعتمد زيادة الرهان التى أعلنها الباحث . كشف الباحث أوراقه الراجعة ، بينما ألقى الآخر أوراقه على المنضدة فى اشمئزاز ، وتعالى ضحك الحاضرين على التعليق الذى قاله الباحث ، فقال رجل الأعمال بأسى « لقد ساعدتني حقا ... » .

رمى الباحث دكتور بيرن بنظرة ذات مغزى ، تعنى أن النكتة جاءت على

حساب مهنة البحث النفسى وبدأت تتضح معالم هذه اللعبة .

* * *

تم اللعبة بالتتابع التالى :

يقدم أحد المسئولين فى عمل ما ، أو أحد المعالجين فى عيادة أو مستشفى ،
النصيحة لممرض أو عميل أو مريض . بعد قليل يعود المريض (مثلا) ليبلغ
المعالج أن النصيحة لم تفد فى تحسين حالته يغصّ المعالج بفشله ، ويحاول
مستسلما - أن يقدم بصيحة أخرى

إذا كان المعالج دقيق الملاحظة لنفسه ، فيكتشف داخله وخزءة إحباط ،
إلا أنه سيواصل محاولاته مع المريض وهو غالبا ما لا يشعر بالحاجة إلى مناقشة
وفحص دوافعه الذاتية فى مثل هذا الموقف ، لأنه يعلم أنه يفعل مثل مايفعل
غيره من الزملاء المدربين ، وأنه فى عمله يتبع الاجراءات (السليمة) ، وانه
سيضمن مساندة كاملة من رؤسائه .

إذا تم هذا الموقف فى مواجهة مريض أكثر قسوة ، كأن يكون مشبعا
بنوازع العدوان ، فيسجد المعالج أن تجنب الشعور بالقصور سيصبح أكثر
صعوبة . هنا تبدأ متاعب المعالج ، ويبدأ التدهور البطيء للموقف .

فى أسوأ الحالات يواجه المعالج غضب مريض مصاب بجنون
الاضطهاد ، يندفع ذات يوم إلى حجرته صائحا فى غضب « انظر ، ماذا
جعلتنى أفعل .. » . ينضعف احساس المعالج بالاحباط ويصل إلى الجملة
المنطوقة أو الضمنية « ولكن . أنا لم أكن أسعى إلا لمساعدتك » . وحريرة
المعالج نتيجة لإحساسه بانعدام الوفاء ، تسبب له قدرا واضحا من المعاناة .
وهذا يشير إلى الدوافع المركبة الكامنة خلف سلوكه . فهذه الحريرة هى مكسب
لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ، وعائدها الأساسى .

* * *

ويجب التمييز بين الذين يساعدون حقيقة ، وبين الذين يمارسون اللعبة .
يجب أن تميز بين من يقولون «أعتقد أن بإمكاننا أن نفعل شيئا بهذا
الخصوص» ، أو «أنا أعرف مايجب فعله في هذه الحالة» ، أو «لقد
تخصصت في حل هذه المشكلة» ، أو «سأتكفل بمساعدتك مقابل أجر
قدره . . .» ، وبين الذين يمارسون اللعبة ، فيقول كل منهم «أنا لا أسعى إلا
لمساعدتك» .

الحالات الأربع الأول ، تمثل عروضاً من (البالغ) لوضع المؤهلات
والخبرات الحرفية في خدمة العميل أو المريض أما في حالة اللعبة ، فتكون
الدوافع خفية ، وتكون هذه الدوافع أكثر أهمية من المهارات الحرفية ، في
تحديد العائد أو المكسب

من أهم دوافع اللعبة ، تأكيد وجهة النظر القائلة بأن الناس يتصرفون
بنكران الجميل ، لهذا فهم مخبئون للآمال . وهذا يعنى أن الهدف الأساسي
لمحترف اللعبة الذى يقدم المساعدة هو أن يصل في النهاية إلى اثبات خيبة أمله
في الناس ووصفهم بالجحود ونكران الجميل . صورة النجاح في المهمة تشكل
انذارا موجها إلى (الوالد) عند المحترف ، وهذا الإنذار يكون بمثابة دعوة إلى
التخريب . النجاح في المهمة يعتبر تهديدا للموقف بأكمله .

* * *

من المهم أن يتأكد ممارس اللعبة من أن مساعده لن تكون مقبولة آخر
الأمر ، بصرف النظر عن حماسه في تقديم المساعدة . والعميل أو المريض
يستجيب للعبة «أنا لأسعى إلا لمساعدتك» ، بلعبة أخرى يمارسها تسمى
«انظر ، كم أحاول بجد» ، أو «مع كل ما تفعل ، لن تنجح في
مساعدتى» . وممارس اللعبة الذى يتسم بالمرونة يستطيع أن يركن إلى نوع من
التوفيق ، منطلقا من شعار «لابأس على الناس من أن تكون مساعدتى لهم

ناجحة ، شرط أن تستغرق هذه العملية وقتاً طويلاً .
وبالطبع نجد على الجانب الآخر من اللعبة العنيفة ، الحالات السوية بين
الحامين الناجحين الذين يساعدون عملاءهم فعلاً ، من غير تدخل للمتاعر
الشخصية

وبعض مدارس الخدمة الاجتماعية تكون بمثابة أكاديميات أولية ،
لتدريب اللاعبين المحترفين على ممارسة لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ،
ويكون من الصعب على زملائهم مقاومة اشراكهم في اللعبة
تنويعات اللعبة :

يساعد على تصور الأفكار السابقة بشكل أوضح ، الوصف الذى سنورده
عند استعراضنا للعبة المكملة لهذه اللعبة ، وهى لعبة « العاجز » .
ولعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » تشبع بتنوعاتها المختلفة فى حياتنا
اليومية . وتجربى ممارستها فى الأسرة مع الأقارب والأصدقاء على صورة
« أستطيع أن اشترى لك بسعر الجملة » ، وبين البالغين الذين يقومون بأعمال
الخدمة الاجتماعية للأطفال ، وهى من الألعاب المستحبة بين الآباء
والأمهات . واللعبة المكملة التى يلجأ إليها الأطفال فى هذه الحالة هى لعبة
« انظر ماذا جعلتني أفعل » . ومن الناحية الاجتماعية يمكن أن نعتبرها تنوعاً
للعبة « المكأر » ، التى سنتحدث عنها فيما يلى .

علاج اللعبة :

فى مجال علاج هذه اللعبة . أو محاولة إيقافها ، تكون لدى المحترف أو
المختص عدة حيل ، يلجأ إلى أى منها عندما يدعى إلى المشاركة فى هذه
اللعبة . واختيار الأسلوب المناسب لإيقاف اللعبة وقطع حركاتها يتوقف على
نوع العلاقة بين الطبيب والمريض . كما يتوقف بشكل خاص على طبيعة موقف

(الطفل) عبد المريض . وتنوع أساليب العلاج كالتالى :

(١) إيقاف اللعبة عن طريق التحليل النفسى التقليدى ، وهو أكثر الوسائل نجاحا ، وأشقها على ممارس اللعبة . والعلاج يبدأ برفض قطعى لممارسة اللعبة فيبدأ المريض محاولات أكثر تكثيفا وقوة لممارسة اللعبة . وأخيرا ، يصل ممارس اللعبة إلى حالة (الأس) التى تنعكس على شكل حالة من الغضب والاكتئاب ، مما يعنى أن اللعبة قد تم إحباطها بنجاح . ويقود هذا النوع من العلاج إلى مواجهة مفيدة .

(٢) وهناك أسلوب آخر ، يكون أكثر رفقا بممارس اللعبة (وإن لم يتصف باللطف) . وفيه تم المواجهة عند أول دعوة لممارسة اللعبة . ما أن يطرح اللاعب مشكلة ، حتى يقول الطبيب بجسم ، أنه موجود للعلاج فقط ، وليس لإدارة أعمال المريض .

(٣) وأكثر الأساليب لطفا هو تقديم المريض إلى مجموعة علاج نفسى جماعى ، وترك فرصة المحاولة لأحد أعضاء المجموعة .

(٤) فى حالة اللاعب الذى يعانى اضطرابا حادا ، يصبح من الضرورى الاشتراك معه فى ممارسة اللعبة عند مراحل العلاج الأولى وهذا النوع من المرض لايجوز أن يتم علاجه إلا على يد طبيب مختص فى العلاج النفسى . ينصح الطبيب بنظام علاجى خاص ، قد يتضمن الحمامات والتمرينات وفترات الراحة والاسترخاء ، وانتظام الوجبات بالاضافة إلى بعض العقاقير . هنا ، يتطور موقف المريض ، كاشفا عن أحد احتمالات ثلاثة :

(أ) أن يتبع العلاج ، فتنحسن حالته .

(ب) أن يسير على خطى العلاج ، دون نظام ، ثم يشكو من أن العلاج لا يحقق أى نتيجة إيجابية .

(ج) أن يقول ، وكأنه يتكلم عفو الخاطر ، إنه نسى أن يلتزم ببعض جوانب

العلاج ، أو يقول إنه أهمل العلاج ، بعد أن تبين عدم جدواه .
في الحالتين ب ، ج يكون على الطبيب أن يقرر إذا ما كان المريض
مستعدا لعملية تحليل الألعاب في هذه المرحلة ، أما أنه يحتاج إلى علاج
خاص ، قبل أن يمر بالعلاج النفسى .

تحليل اللعبة :

الهدف الحقيقى من هذه اللعبة ، هو التخلص من الإحساس بالذنب .
تم اللعبة على المستوى الاجتماعى المعلى من موقف (طفل - والد)
كالتالى :

الأول (طفل) : ماذا أفعل الآن ؟ .

الثانى (والد) : هذا هو مايجب أن تفعله

أما على المستوى السيكولوجى الخفى ، فتم من موقف (والد - طفل)

كالتالى :

الأول (والد) انظر كم أنا ماهر .

الثانى (طفل) : سأقنعك بعدم مهارتك ا

« العاجز »

وصف هذه اللعبة ، جاء على لسان الكاتب هنرى ميللر فى إحدى رواياته ، عندما قال « لقد حدث خلال العام الماضى أن كنت أبحث عن وظيفة ، دون أن أقصد بالمرّة الارتباط بواحدة . ورغم حالة اليأس التى كنت أعانيها ، فلم أحاول مرة واحدة أن أبحث فى باب الوظائف الخالية بالجراند .

تعتبر هذه اللعبة من الألعاب المكتملة للعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ، التى تشيع بين العاملين فى حقل العمل الاجتماعى والعام ، وهم يكتسبون عيشهم من ممارستها . ولعبة « العاجز » يمارسها البعض باحتراف ، ويكتسبون عيشهم منها أيضا . والقصة التالية تبين طبيعة اللعبة :

الآنسة (س) تعمل فى حقل الخدمة الاجتماعية ، وبالتحديد فى مؤسسة اجتماعية تعينها الدولة ، تتخصص فى الرعاية المالية للمعوزين ، وذلك عن طريق البحث عن أعمال مجزية لهم . وفقا للتقارير الرسمية للمؤسسة كان العملاء « يبدون تقدما ملموسا .. » . لكن ، واقع الأمر كان يقول إن من تم توظيفهم بنجاح هى القلة القليلة منهم .

أصبح هذا الوضع مثارا للتساؤل ، وقيل فى تفسيره إن أغلب المتعاملين مع المؤسسة ، كانوا من الحالات المزمّنة ، دائمة التعامل مع المؤسسات الاجتماعية ، يتقلّون من واحدة إلى أخرى على مدى سنوات طويلة . بل كان

بعضهم يتعامل مع خمس أو ست مؤسسات في وقت واحد ، ولذا فهم يعتبرون من فئة «الحالات الصعبة» .

كانت الآتسة (س) بحكم دراستها ، قد تدرت على تحليل الألعاب وساعدها في اكتشاف أن المشولين في هذه المؤسسة كانوا يمارسون لعبة «أنا لا أسعى إلا لمساعدتك» ، بشكل دائم فتساءلت عن نوع استجابة العملاء لهذه اللعبة ورغبة منها في اختبار هذه الاستجابة ، عمدت إلى سؤال عملائها الذين تختك بهم ، من أسبوع لآخر ، عن عدد فرص التوظف التي عرضت لهم فاكشفت أنه رغم الفرض النظرى ، الذى يقول إنهم يبحثون عن وظائف لهم بالخاص من يوم لآخر ، كانوا في واقع الأمر ، يعطون أقل الجهد لهذا الغرض . كما كانوا في أحيان أخرى يتكلمون عن جهودهم هذه بشيء من التهمك والسخرية .

قال أحدهم - على سبيل المثال - إنه يرسل طلبات التوظف كل يوم على الأقل من واقع إعلانات الوظائف الحالية التي يقرأها في الصحف . وعندما سألته (س) «ومانوع العمل الذى تبحث عنه؟» ، قال «بائع في محل تجارى» . سألته (س) وهل هذا هو النوع الوحيد من العمل الذى ترسل طلباتك باحثا عن فرصة العمل ، فرد بالإيجاب . الملفت في الموضوع أن هذا الرجل كان (يتهمته) في حديثه ، فاختر بالتحديد الوظيفة التي لا يمكن أن تصلح له ! .

في ذلك الوقت ، اكتشف رؤساء الآتسة (س) ماتقوم به من استفسارات ، فقاموا بلفت نظرها ، وطلبوا منها عدم العودة إلى هذا «الضغط الذى ليس في محله» ، والذى تمارسه على عملاء المؤسسة .

إلا أن (س) قررت ، رغم هذا ، أن تواصل محاولاتها لتوظيف بعضهم واخترت من بينهم أصحابهم بدنيا ، والذين ليس لديهم أى مبرر

للاقتصار في حياتهم على إعانة البطالة فتكلمت مع هذه المجموعة حول لعبتي «أنا لا أسعى إلا لمساعدتك»، و«العاجز». وعندما أحست أنهم قد تفهموا الموضوع، أكدت لهم أنه إذا لم يستقروا في عمل ما، فستضطر إلى قطع إعانة البطالة عنهم، وتحويلهم إلى مؤسسة أخرى. وكانت النتيجة أن ارتبط أغلبهم بوظائف على التو، وكان من بينهم من لم يرتبط بعمل لعدة سنوات. إلا أن هذا لم يمنع سخطهم على تصرفها، فأرسل بعضهم خطابات إلى رؤسائها، يشكون من تصرفها. استدعاها رئيسها، ولامها بشكل أكثر قسوة، وأفهمها أنه بالرغم من أنها نجحت في تدبير وظائف لعمالها، وأنهم أصبحوا يمارسون عملا يوميا، إلا أن ما حدث لا يمكن اعتباره «توظيفا حقيقيا»!

وتتابع الصراع بعد ذلك بين الآنسة (س) وقيادة المؤسسة، إلى أن قال لها رئيسها إن وضعها في المؤسسة قد أصبح مزعزا، يعرضها للفصل في أي لحظة. فحاولت الآنسة (س)، متجنبة مغامرة فقد وظيفتها، أن تشرح بحرص ولباقة فكرتها عن موقف المؤسسة والعاملين فيها من معنى «التوظيف الحقيقي»، لكنها فشلت، ووصفت جهودها بأنها نوع من ممارسة «الضغط غير اللائق» على عمالها، وأن كون هؤلاء العمال أصبحوا يعملون أسرهم من عملهم لأول مرة منذ سنوات طويلة، يحسب عليها وليس لها.

أصبحن الآنسة (س) الآن مهددة بالفصل، ولما كانت تحتاج إلى وظيفتها في المؤسسة، فقد حاول بعض اصدقائها من مجال الدراسات النفسية مساعدتها، فأرسل مدير وحدة العلاج النفسي خطابا إلى رئيسها، قائلا إنه سمع بالدراسات التي تقوم بها مع عمالها، ويستأذن في أن يسمح لها بمناقشة نتائج دراستها في مؤتمر يعقد بوحدة العلاج النفسي. فرفض الرئيس منحها الإذن بذلك.

تحليل اللعبة :

في هذه القصة ، وضعت المؤسسة قواعد لعبة « العاجز » ، لتكامل بها قواعد لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » وكأن اتفاقا تكتيكيا قد تم بين المؤسسة وعملاتها على النحو التالي :

المؤسسة : سأحاول أن أساعدك (بشرط ألا يتحسن وضعك)

العميل : سأبحث عن عمل (بشرط ألا أرتبط به) .

فإذا أدخل أحد العملاء بالاتفاقية ، فسمح لحالته بأن تتحسن فعلا ، ستفقد المؤسسة عميلا ، وسيخسر العميل إعانة البطالة ، فيشعر الطرفان أنها قد عوقبا . وعندما يمزق أحد العاملين في المؤسسة بنود هذه الاتفاقية ، كما في حالة الآنسة (س) ، ويوجد عملاً فعلياً للعميل تشعر المؤسسة أنها عوقبت عن طريق شكوى العملاء التي قد تتوجه إلى سلطات أعلى ، بينما يشعر العميل أنه خسر إعانة البطالة

وطالما التزم الطرفان بالقواعد الضمنية ، حصل كل منهما على مايريد . يقبض العميل إعاناته ، ويتعلم على الفور ماطلبه منه المؤسسة في مقابل هذا ، وهو « أن يتظاهر بسعيه لحل المشكلة ، ولكن دون أن يصل فعلا إلى حل حقيقى » . وهو بذلك ، يسمح للمؤسسة أن تجمع المادة الضرورية لتقديمها إلى مؤتمرات العاملين ، التي تبحث في البطالة ووسائل التوظيف ، من واقع خبراتها مع العملاء . لكن موقف الآنسة (س) كان مختلفا ، فهي تريد « ان تحل المشكلة فعلا » ، بدلا من « التظاهر بالعمل لحلها » . وهى قد اقترحت مؤتمرا يناقش أوضاع « العاملين » ، بدلا من مناقشة أوضاع « العملاء » . وهذا هو ما أزعج كافة الأطراف المشاركة في الألعاب .

من هذا تتضح ملاحظتان : الأولى هي أن « العاجز » كلعبة ، وليس كحالة ناتجة عن العجز البدنى أو العقلى أو الاقتصادى ، تمارسها نسبة معينة

من عملاء مؤسسات الخدمة الاجتماعية . والثانية . أنها لا تحقق إلا بوجود العاملين في المؤسسة الذين يمارسون لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك »

تنوعات اللعبة :

من نظائر هذه اللعبة ، لعبتي «المسرحون» و«العبادة» ، ولعبة «المسرحون» الذين عادوا من الحرب وأهوا خدمتهم العسكرية ، تحمل نفس العلاقات الرمزية للعبة «العاجز» . وتجري هذه المرة ، بين إدارة المسرحين بالجيش أو غير ذلك من المؤسسات الشبيهة ، وبين عدد من المسرحين المحترفين ، الذين يطمعون في مقاسمة ضحايا الحرب العاجزين حقوقهم الشرعية .

أما لعبة «العبادة» ، فتمارسها نسبة معينة من المترددين على العيادات الخارجية للمستشفيات العامة ، وفي هذه الحالة لا يحصل ممارس اللعبة على تعويضات أو اعانات مالية ، ولكنه يحصل على بعض المزايا الأخرى .

علاج اللعبة :

يكون علاج هذه اللعبة بسحب مكاسبها . وهنا ، لا يأتي الخطر من المريض نفسه ، كما في أغلب الألعاب ، ولكن من الجهات المستولة التي تقدم المساندة الثقافية لمن يمارسون اللعبة ، وبمعنى أدق ، تلك الجهات التي تمارس لعبة «أنا لا أسعى إلا لمساعدتك» . وهذا يمكن أن يتوفر في الأساتذة والجمهور المثقف ومؤسسات الخدمة والرعاية الحكومية ، والاتحادات والنقابات التي تحمل على حياية الفئات المختلفة .

« الفلّاحة »

النموذج النمطي لهذه اللعبة يتضمن واقعة فريدة بطلتها فلّاحة بلغارية مصابة بداء التهاب المفاصل وقد باعت بقرتها الوحيدة ، ليتوفر لها المال اللازم للسفر إلى العاصمة صوفيا ، وزيارة العيادة الجامعية بها اختبر الطبيب الأستاذ حالتها ، فوجد أنه بصدد حالة مثيرة من الناحية الطبية ، تستوجب تقديمها في عرض علاجي أمام طلبته في الجامعة لم يكتف الأستاذ بتحديد طبيعة المرض ، وأعراضه ، وكيفية تشخيصه ، بل حدد لها العلاج الكامل الذي يؤدي إلى الشفاء نتيجة لهذا الاهتمام غير العادي من جانب الأستاذ ، افعمت فلّاحتنا بعرفان الجميل والامتنان وقبل أن تغادر العيادة ، سلمها الأستاذ (الروشته) ، وشرح لها في تفصيل دقيق طريقة إتمام العلاج

هنا ، تملكها الإعجاب المتزايد بالأستاذ ، لعلمه ومعرفته واخلاصة لعمله ، فصاحت « بالله .. كم أنت عظيم أيها الأستاذ . »

على أي حال ، عندما عادت الفلّاحة إلى قريتها ، لم تبذل أي جهد لتنفيذ العلاج الذي أشار به الأستاذ . لقد عادت إلى قريتها دون أن تشتري الدواء ، مع علمها بعدم وجود صيدلية في القرية ، وحتى إذا وجدت الصيدلية ، فهي ليست مستعدة لأن تفقد الوثيقة الثمينة التي تعتر بوجودها في حوزتها (الروشته) بالإضافة إلى أنها - لظروفها المالية - لا تستطيع الالتزام

يبقى العلاج ، من نظام غذائي خاص ، إلى علاج بالمياه المعدنية ، إلى غير هذا من المسائل المكافئة

استمرت حياة الفلاحة كما كانت من قبل ، تعرج في مشيتها ، إلا أنها الآن أكثر سعادة من أى وقت مضى ، فيمكنها أن تحكى لكل من يصادفها ، عن العلاج العظيم الذى وصفه لها الأستاذ الكبير فى صوفيا ، الذى تكن له كل تقدير وعرفان بالجميل ، ونذكره فى صلاتها كل مساء قبل النوم .

تمر عدة سنوات ، ويكون الأستاذ فى طريقه لعيادة عميل ثرى خارج صوفيا ، فيتوقف عند قرية فلاحتنا . تندفع الفلاحة نحو الطبيب ، تذكره بالعلاج العظيم الذى وصفه لها ، فيتذكرها ، ويتقبل اعترافها بفضله شاكرًا . وتتضاعف سعادته عندما تخبره بأن تشخيصه والعلاج الذى وصفه كان فعالا للغاية . وكان الأستاذ على درجة من الأنفعال ، لم تتح له أن يلاحظ مشية الفلاحة ، التى كانت على نفس القدر من السوء الذى كانت عليه منذ سنوات .

* * *

وتجربى ممارسة لعبة « الفلاحة » اجتماعيا بشكلين ، أحدهما برىء والآخر مخادع . وفى الحالتين تم من منطلق « يا لله كم أنت عظيم يا استاذ » . فى الشكل البرىء ، يكون الأستاذ عظيمًا فعلا . من صنّاع الخير ، أو من رجال العلم ، أو من كبار كتّاب القصة . تتدافع إلى لقائه النساء الساذجات ، يقطنن المسافات الطويلة ، بأمل لقائه ، والجلوس عند قدميه ، فى حالة من الإعجاب الشديد . وهن يسعين دائما إلى تزيين وتجميل نواقصه بشكل رومانتيكى . والنساء الأكثر ثقافة ، يعجبن به ويقدرنه ، ويحاولن إنشاء علاقات

معه ، أو الزواج منه إذا أمكن ، رغم أنهم يكن واعيات بنقط ضعفه . وهن يلجأن إلى تسخير نقط الضعف هذه لتحقيق مآربهن . أساس اللعبة عند هذين النوعين من النساء ، هو تزيين النواقص ثم استغلالها .

وفى الشكل المخادع من اللعبة ، قد يكون الأستاذ عطيًا وقد لا يكون ، ويقع بين يدي امرأة لعوب ، تعجز عن تقدير مزاياه الفعلية ، ولكنها تلعب معه « يا لله .. كم أنت عظيم أيها الأستاذ » ، كنوع من النفاق ، والمديح الكاذب ، بهدف تحقيق أغراضها . وسواء كانت منبهة به ، أو ساخرة منه ، فهي فى الحالتين لا تهتم بشخصه ، قدراتها بما بالمكاسب التى تتحقق لها من صحبته .

* * *

وتجرى لعبة « الفلاحة » فى مجالات العلاج النفسى والبدنى ، بشكلىن بهما بعض أوجه الشبه من الشكلىن السابقين ، من منطلق « يا لله . كم أنت عظيم يا أستاذ » .

فى الشكل البرىء ، تمضى المريضة متطورة إلى الأفضل ، طالما كانت تمارس اللعبة ، وتؤمن بها . وهذا يفرض على الطبيب المعالج أن يكون حسن التعامل مع الناس فى حياته الخاصة والعامة ، حتى تستمد المريضة من هذا التفوق دليلا على « عظمة الأستاذ » .

وفى الشكل المخادع ، تقبل المريضة على الطبيب ، وقد اعترمت أن تدفعه إلى أن يتقبل ممارسة لعبتها « يا لله . كم أنت عظيم يا أستاذ » ، ومن ثم يفكر فيها باعتبارها إنسانة (ذكية ومتفهمة للأمور بشكل غير عادى) ومتى تم لها ذلك ، تقوم بما يجعله يبدو أحمقا ، ثم تنصرف بناء على هذه الحماقة التى بدرت منه إلى طبيب آخر للتمارس معه نفس التابع . فإذا تنبه الطبيب إلى لعبتها ، وفشلت فى خداعه ، ربما أصبح قادرا على مساعدتها فى التخلص من

ممارسة اللعبة . وأسهل طريقة تتيح للمريضة أن تستمر في ممارسة لعبتها ، هي أن تحتفظ بمحالتها دون تحسن ملموس

إذا كانت المريضة أكثر خشا ، فقد تتخذ خطوات أكثر إيجابية ، حتى تجعل الطبيب يبدو أكثر حمقا . وفي إحدى الحالات كانت المرأة تلعب « يا الله .. كم أنت عظيم يا استاذ » مع طبيبها النفسى ، دون تحسن فى حالتها ، ودون أن تبدى أى استعداد لتخفيف تمسكها باللعبة . وعندما استفذت مراحل لعبتها مع الطبيب ، تركته دون سابق انذار ، لم تنس أن تؤكد شكرها الشديد على ما بذله نحوها من جهد ثم ذهبت إلى قسيس العائلة تطلب معونته ، ومارست معه نفس اللعبة . وبعد عدة أسابيع بدأت تحاول غوائته ، ممارسة لعبة « الاغتصاب » من الدرجة الثانية ، تركته منصرفا إلى بينها ، لكي تجتمع بمحاراتها ، وتحكى لمن هامسة كيف أنها تكدرت جدا . لأن رجلا لطيفا مثل قسيس العائلة ، يمكن فى لحظة ضعف أى يحاول مغالبة امرأة بريئة غير جذابة مثلها . ثم تقول إنها قد عفت عنه ، من أجل زوجته التى تصادقها ، وحتى لا ... إلى آخر هذا الكلام . هذه المرأة كسبت مع الطبيب بعدم تحسن حالتها ، ومع القسيس بإغوائه . وفى الحالتين ترفض أن تعترف لنفسها بالدوافع الخفية لتصرفاتها

إلا أنها وصلت فى نهاية الأمر إلى طبيب نفسى ، قدمها إلى مجموعة علاج نفسى جماعى ، فأصبح من الصعب عليها أن تقوم بمناوراتها السابقة ، وحرمها من ممارسة « يا الله .. كم أنت عظيم يا استاذ » و « الاغتصاب » ، حتى لا تشغل بها وقت العلاج . هنا فقط ، بدأت تمتحن سلوكها بشكل أدق ، وأقلعت عن لعبتها بمساعدة المجموعة العلاجية .

علاج اللعبة :

عند علاج هذه اللعبة ، يجب على الطبيب أن يتثبت فى بداية الأمر من

نوع اللعبة التي تمارسها المريضة إذا كانت من النوع البريء ، يتركها تمارس لعبتها لبعض الوقت ، إلى أن ينتهى من دعم (البالغ) فيها بشكل سليم ، حتى يتجنب مخاطر إيقاف اللعبة بشكل باثر فإذا لم تكن اللعبة بريئة ، وجب على الطبيب أن يسارع بإيقافها عند أول فرصة متاحة ، بعد أن يكون قد أعد مريضته ، حتى تتمكن من فهم مايجرى معها الخطوة التالية يرفض فيها الطبيب تقديم أى نصائح للمريضة ، رغم كل وسائل الاحتجاج التي قد تبديها . وتتوقف الخطوات التالية من العلاج على نتائج الخطوة السابقة وبشكل عام يكون هدف الطبيب في حالة اللعبة غير البريئة ، هو الفصل بين (البالغ) و(الطفل) المنافق داخل المريضة ، حتى يتمكن من اجراء تحليل اللعبة

« الطب النفسى »

يجب أن نفرق بين الطب النفسى كإجراء علاجى ، وبين « الطب النفسى » كلعبة

ويعتمد الطب النفسى فى علاج المرضى على عدة أساليب ، مثل العلاج بالصدمة ، والتنويم ، والعقاقير والتحليل النفسى ، والتقوم النفسى العلاجى ، والعلاج الجماعى بالإضافة إلى بعض الأساليب الأخرى الأقل استخداما ، جميع هذه الأساليب ، تسلل إليها لعبة « الطب النفسى » . ويسعى الطبيب ممارس هذه اللعبة إلى أن يلوح بشهاداته ، رافعا شعار « أنا المعالج الشافى » ، فهو يرى أن شهاداته تثبت أنه الشافى فى الأحوال العادية ، يمكن أن تنظر إلى هذه اللعبة باعتبارها من الألعاب البناءة ، التى تعمق نوازع الكرم والرغبة فى تقديم الخدمات . وإذا كان ممارس اللعبة على درجة مناسبة من الإعداد الفنى الحرفى فى تخصصه ، يمكنه أن يحقق من ممارسة اللعبة ، الكثير من النتائج الطيبة .

إلا أن الممارسة المنحرفة لهذه اللعبة ، قد تضر بمصلحة المريض . فهناك قول مأثور يشيع بين طلبة الطب ، يقول « أنا أعالجهم ، لكن الله هو الذى يشفيهم » ، وهو قول يجعل العملية العلاجية أقرب إلى الاعتدال . إلا أن العاملين فى حقل العلاج النفسى من غير الأطباء ، قلما يؤمنون بمثل هذا القول

المأثور . ويكون شعارهم هو « أنا الشافي ، لأن هذه الشهادة تقول إنني الشافي » ، وهذا الموقف يتسبب في بعض الأضرار . ولتلافي هذه الأضرار يجب أن يتحول شعارهم « سأحاول تطبيق كل المعارف التي استوعبتها عن إجراءات العلاج النفسي ، على أمل أن تكون ذات نفع لك » ومثل هذا الموقف المعدّل يحمي الطبيب من الدخول في الألعاب المبينة على فكرة « طالما أنتي الشافي ، إذا لم تتحسن حالتك فهذه غلطتك أنت » ، أو التي يلعبها المريض ويقول « طالما أنك الشافي ، فحالتى ستتحسن لأجل خاطرِكَ » ، وهو جوهر لعبة « الفلاحة » .

هذا الموضوع ، يدركه بوضوح كل صاحب ضمير يقظ في مجال العلاج النفسي ، وبخاصة من مارسوا العمل في العيادات النفسية ذات السمعة الطيبة .

* * *

ومن ناحية أخرى ، تشيع لعبة « الطب النفسى » بشكل أوسع ، بين المرضى الذين أدمنوا التردد على الفاشلين من المعالجين النفسيين ، الذين لا يتسمون باللياقة أو الكفاءة . وبعض هؤلاء المرضى يبذلون جهدا كبيرا في انتقاء أقل المحللين النفسيين من حيث المستوى والكفاءة ، مبررين تصرفهم هذا ، بأنهم يبحثون بدقة عن المحلل النفسى القادر على علاجهم . وهم من خلال هذه المحاولات يتعلمون أكثر فأكثر ، كيف يمارسون لعبة « الطب النفسى » بجدق وإجادة .

نتيجة لهذا تسوء حالة المريض ، وتعامله المزدوج يتضمن موقفين :
(البالغ) الذى يقول ، أنا قادم لكى أشفى من مرضى .
و(الطفل) الذى يقول ، لن تستطيع شفائى ، لكنك ستعلمنى كيف

أكون أكثر مرضا (أو بمعنى آخر، أكثر مهارة في ممارسة لعبة « الطب النفسى »)

تنوعات اللعبة :

كذلك يجرى أداء لعبة « الصحة العقلية » بنفس الطريقة في هذه اللعبة يقول (البالغ) في المريض ، « كل شيء سيتحسن ، إذا ما أنا طبقت مبادئ الصحة العقلية التى قرأت وسمعت عنها » ، وقد يتعلم المريض قواعد لعبة « الطب النفسى » من طيب ما ، ثم يتعلم « الصحة العقلية » من طيب آخر في إحدى الحالات التى ينطبق عليها الوصف السابق ، عندما قام الطبيب بمناقشة الموضوع مع المريضة بصراحة كاملة ، وافقت على عدم ممارسة لعبة « الصحة العقلية » ، لكنها طلبت السماح لها ، بمواصلة ممارستها للعبة « الطب النفسى » ، لما توهره لها من إحساس بالراحة . وافق الطبيب . فاستمرت في ممارسة اللعبة لعدة شهور مع جلسات علاجية تستعيد فيها احلامها وتشرحها ، وتكلم عن تفسيراتها مرة كل أسبوع في النهاية - وربما بدافع العرفان بالجميل - طلبت أن تعرف بالضبط ماهى حقيقة أمرها . وهكذا ، أصبحت مهتمة بمساندة الطبيب في إتمام العلاج ، فحققت نتائج طيبة .

ومن تنوعات لعبة « الطب النفسى » ، لعبة أخرى تعرف باسم « عالم الآثار » وتعتمد هذه اللعبة على الاجترار لأحداث الطفولة وكذلك لعبة « التعبير عن النفس » ، التى تشيع في كثير من جلسات العلاج النفسى الجماعى ، والتى ترفع شعار « كل المشاعر طيبة .. » ، وكلما وصف المريض مشاعره بطريقة أكثر إباحية ، كلما قوبل بالمزيد من التصفيق والاستحسان . ومجموعات العلاج المدربة تكون قادرة على اكتشاف مثل هذه اللعبة بسرعة . ومجموعات العلاج النفسى الجماعى تكون في كثير من الأحيان على درجة عالية من التدرج على اكتشاف ألعاب « الطب النفسى » ، ويمكن لأفراد

هذه الجماعات أن يحددوا لكل مريض ، في أقل وقت ، نوع اللعبة التي يمارسها سواء كانت « الطب النفسى » أو « تحليل التعاملات » ، والتي يسعى إلى ممارستها لكي يتجنب الاستجابة لإجراءات العلاج الجماعى .

وقد حدث أن انتقلت امرأة من مجموعة للتعبير عن الذات في مدينة ما ، إلى مجموعة أخرى أكثر خبرة وتدريباً في مدينة أخرى ، فشرعت تحكى عن قصة علاقة آئمة فاحشة في طفولتها ، متطلعة إلى عيون الآخرين . وبدلاً من أن تقابل بالانبهار الذى تعودته في مدينتها كلما حكّت مثل هذه القصة ، لقيت عدم الاهتمام بقصتها من المجموعة الجديدة ، مما أثار غضبها . وقد أدهش هذه المرأة اكتشافها أن المجموعة الجديدة ، كانت أكثر اهتماماً بغضبها ، من اهتمامها بالفاحشة التى روتها . فأعلنت بصوت غاضب ، رأيها فيهم ، والذى يمثل في منطقتها منتهى الإهانة ، والذى يفيد أنهم ليسوا من « الفرويديين » ! وحديثاً تم الكشف عن تنويع جديد للعبة « الطب النفسى » ، يطلق عليه اسم « قل لى هذا . » ، وهو شيء أقرب إلى برامج مسابقات (عشرون سؤالاً) . يحكى المريض عن حلم أو واقعة حدثت له ، ويحاول باقى المجموعة - فى حضور الطبيب المعالج غالباً - أن يفسروا الحلم أو الواقعة عن طريق توجيه الأسئلة المناسبة . وكلما أجاب المريض عن سؤال ، وجهت إليه مجموعة أسئلة جديدة ، حتى يتوقف المريض عند سؤال معين فلا يجيب . هنا ، يفتح صاحب السؤال ، ويوجه للمريض نظرة ذات مغزى ، تقول رغم الصمت . آه .. إذا استطعت الإجابة عن (هذا) السؤال ، ستتحسن حالتك بكل تأكيد ، وهكذا أكون قد أديت الواجب الذى (يخصنى) .. . ويمكننا أن نلتصق فى هذه اللعبة قرابة بعيدة مع لعبة « لماذا لا نعم ولكن ... » .

بعض المجموعات العلاجية تقوم نشاطها أساساً على مثل هذه اللعبة ، وقد

يمتد هذا النشاط لعدة سنوات ، دون أقل تقدم . ولعبة « قل لى هذا .. » ، تقدم فرصا أوسع للمريض بمارس فيها ألعابه . وهو إما أن يستمتع بممارسة هذه اللعبة ، رغم أنه فى داخله يؤمن بعدم جدواها ، أو يقاومها بأن يجب عن جميع الأسئلة المطروحة عليه ، فتغضب المجموعة ، إذ أن تصرفه. هذا يحمل معنى قوله لهم « لقد أجبت على جميع أسئلتكم ، ولكنكم فشلتم فى علاجى .. فأى أناس أنتم؟! .. » .

ولعبة « قل لى هذا .. » تجرى ممارستها أيضا فى الفصول الدراسية بالمدارس . وهنا ، يدرك التلاميذ أن الإجابة على السؤال الذى يطرحه المدرس لا يجب أن تكون كاملة وقاطعة وسليمة تماما ، بل لا بد من الالتجاء إلى التخمين الذى يتيح تعدد الإجابات ، مع مدى قربها أو بعدها عن الإجابة الصحيحة الكاملة ، وأنه بهذه الطريقة تكون سعادة المدرس أوفر .

« الغبي »

تجرى لعبة « الغبي » ، في أخف أشكالها على صورة « فلنضحك معا ، على غلاطى وغبائى » . أما المرضى الذين يعانون من اضطراب حقيقى ، فلعبونها بطريقة متشائمة على صورة « أنا غبي ، هذه هى حقيقة أمرى . فهلا فعلت لى شيئا . » . وفى الحالتين تم اللعبة من منطلق الأكتئاب ويجب التفريق بين لعبى « الغبي » و « المكّار » ، والتي تكون دوافعها أكثر عدوانا ، وحيث تكون الغلاظة أو الجلافة وسيلة للحصول على الغفران .

الموقف الحرج فى لعبة « الغبي » ، نصل إليه عندما يطلب المريض من الطرف الآخر فى اللعبة أن يصفه قولا وتصريحا بالغباء ، وإن يتصرف معه على هذا الأساس . وهنا يتفق تصرف المريض مع تصرف الذى يمارس لعبة « المكّار » ، لكن بدون طلب الغفران . والعكس هو الصحيح ، فالغفران يسبب للمارس لعبة « الغبي » قلقا وضيقا ، لما فيه من تهديد بتوقف اللعبة .

يوجد فى هذه اللعبة مكسب خارجى ملحوظ ، فكلمة قصّر ممارس اللعبة فى تعليمه أو فى فهمه للأمر ، كلما استطاع أن يواصل اللعبة بشكل أفضل . إنه بهذا يقنع نفسه أن تعلمه فى المدرسة ، أو اكتسابه خبرة جديدة فى العمل ، ليس أمرا حتميا ، لقد تعلم - منذ صغره - أن الجميع يصبحون أكثر سعادة ، طالما بقى هو على حالة من الغباء . والغريب أنه فى الحالات التى يضطر فيها أن يظهر على حقيقته ، يفاجئ الجميع بأنه ليس غبيا بالمرة .

علاج اللعبة .

علاج الحالات الخفيفة من ممارسى هذه اللعبة يكون بسيطا ويتم بالامتناع عن ممارسة اللعبة ، وبعدم السخرية من غلاظته وغبائه وممارس لعبة « الغبي » الذى يشفى من ممارسة اللعبة نتيجة لمثل هذا التصرف من الطرف الآخر ، يصبح - فى أغلب الأحيان - من أخلص أصدقاء الطرف الآخر ، على مدى الحياة .

وفى الحالات الأشد ، يصعب على الطرف الآخر أن يكتشف خديعة المريض ، عندما يطلب منه المريض أن يسخر من غبائه ويصعب أن يمتنع الطرف الآخر عن المشاركة فى السخرية . فالمريض يعطى إحساسا بأنه يستنكر أى امتناع عن السخرية وهو يفعل ذلك لأن الامتناع معناه التهديد بتوقف ممارسة اللعبة .

وعندما يصل المريض إلى حالة الاكتئاب ، نراه يصب هجومة على كل الذين سخروا من غبائه بشكل مكشوف . هنا فقط ، يدرك الممتنعون أنهم كانوا يتخذون أسلم المواقف . والذى يمتنع عن الاستجابة للمريض ، ويتجاهل نداء الملح بالسخرية منه ، قد يصبح الشخص الوحيد الذى يلجأ إليه المريض عندما يشفى من ممارسة لعبته ، لينشئ معه صداقة حقيقية بينما ينظر إلى (الأصدقاء) القدامى ، الذين شاركوا فى السخرية من غبائه ، باعتبارهم من ألد الأعداء ! .

وتصور امكان علاج المريض ، بإقناعه أنه ليس غبيا بالمرة ، يعتبر تصورا خاطئا قد يكون المريض بالفعل على شىء من الذكاء ، وقد يدرك هو هذه الحقيقة ، لكن حالته النفسية تدفعه دفعا إلى ممارسة اللعبة . وعادة ماتكون لدى ممارس لعبة « الغبي » بعض جوانب التفوق ، بأن يكون مثلا صاحب بصيرة سيكلوجية . وليس ضارا أن يحاول البعض ابداء تقديرهم لجوانب

تفوقه ، ولكن الأمر هنا يختلف عن المحاولة الفجة ، التي تستهدف (تأمينه) ،
بإفهامه أنه ليس غيبا بالمرّة . فمثل هذه المحاولة تؤدي إلى سعادة المريض ، عند
تحققه من أن الآخرين لا يقلون عنه غباء ! والمعالج الذي يعتمد إلى « تأمين »
المريض كخطوة علاجية ، لا يمكن أن يوصف بالذكاء ، بل يكون عادة
ممارسا للعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » .

وكذلك ، لا يكون إيقاف لعبة « الغبي » ، بأن تستبدل بلعبة أخرى
جديدة ، إنما يكون بالامتناع عن المشاركة في اللعبة .

أما علاج اللعبة في شكلها الخبيث ، فيكون أكثر تعقيدا . لأن المريض ،
في هذه الحالة ، لا يكتفي باستدرار الضحك والاستهزاء به ، لكنه يحرص على
إشعار الآخرين بالضيايق والغضب . وهو عادة ما يستثمر هذا الموقف ليعرض
تحمديه قائلا « إذا كان الأمر كذلك . فافعل شيئا في حالي » محققا مكسبه في
الحالتين .

إذا عجز الآخرون عن فعل أى شيء فذلك لأنهم يشعرون حياله
بالضيايق ، وإذا عجزوا عن فعل أى شيء ، فهذا يعنى احساسهم بالغضب .
ويميل الآخرون في مثل هذه الحالة إلى ممارسة لعبة « لماذا لا .. نعم ،
ولكن .. » ، والتي يحصلون فيها على نفس مكاسب اللعبة وبشكل أخف .
والحل الحقيقي لممارسة اللعبة بهذا الشكل ، لا يمكن أن يتم دون دراسة عميقة
للآليات السيكولوجية لهذه اللعبة .

« الساق الخشبية »

يقول منطوق لعبة « الساق الخشبية » ، ماذا تتوقع من رجل يسير على ساق خشبية؟! .. وعندما توضع اللعبة على هذه الصورة ، يصبح الحل الوحيد هو وضع الشخص في مقعد متحرك ، على أن يقوده بنفسه ، وبدون مساعدة . ونحن نرى في حياتنا اليومية الكثير من أصحاب العاهات الفعلية ، والذين يتجاوزونها ، طامحين إلى ممارسة كافة أوجه النشاط البشرى الطبيعية . لقد كان من بين ضحايا الحرب العالمية الثانية جنديا فقد إحدى ساقيه ، وكانت له بالفعل ساقا خشبية . لكنه اعتاد أن يقدم عرضا مثيرا للرقص العنيف ، يتفوق فيه على الأصحاء . كما أن هناك الكثيرين ممن فقدوا بصرهم ، وصمموا على النجاح في كثير من المهن ، كالمحاماة أو النشاط السياسي أو العزف الموسيقى .

وأكثر أشكال اللعبة مأساوية يتحقق في تنويع من تنوعات هذه اللعبة ، يطلق عليه اسم « ادعاء الجنون » ، ويمارسى هذه اللعبة يقول لسان حاله : ماذا تتوقعون من شخص على هذه الدرجة من الاضطراب العاطفي؟! .. ماذا تتوقعون غير قتله للناس؟! . ويكون مطلوبا من المحكمين أو المحلفين أن يقولوا : بالتأكيد لاشيء ، يبدو أنه من الصعب أن نمنعك من هذا .. ولعبة « ادعاء الجنون » كلعبة قانونية ، تشيع في أوساط المثقفين الأمريكيين وهي

تختلف طبعا عن المبدأ المقبول عالميا ، والذي يقول بعدم مسئولية المصاب بأمراض نفسية حادة عن تصرفاته .

وفي حالة لعبة « الساق الخشبية » ، يحسن ألا نتدخل ، طالما أن الشخص يبدى قبولاً لعاهته ، سواء كانت حقيقية أم وهمية . أما إذا تقدم للعلاج النفسى ، لا بد أن نبدأ فى التساؤل عما إذا كان يستخدم عاهته على حساب فرص التقدم فى حياته ، أم أنه يحاول الارتفاع فوق مستوى عاهته أو قصوره .

وفي بلد مثل أمريكا ، يكون على الطبيب أن يقوم بعمله فى مواجهة ، رأى عام متفلسف واسع . فحتى أقارب المريض ، وأقرب الناس إليه ، الذين يداومون الشكوى من المضايقات التى يصادفونها نتيجة لعاهته ، حتى هؤلاء نراهم يتقبلون على الطبيب إذا تحسنت حالة المريض وهذا التناقض يفهمه جيدا محلل الألعاب ، لكن هذا الفهم لا يخفف ما يصادفه من مضايقات . أما فى حالة الأطباء الذين يمارسون هم لعبة « أنا لا أسعى إلا لمساعدتك » ، فنراهم يظهرون انزعاجا عندما تتوقف اللعبة ، وتتحسن حالة المريض . وفى بعض الأحيان يعمدون إلى اتخاذ إجراءات لا يمكن تصديقها ، لإعاقه العلاج .

وقد سبق أن صورنا أطراف هذه اللعبة ، عند حديثنا عن الأنسة (س) ، والعميل المصاب بقصور فى النطق ، فى لعبة « العاجز » . لقد لجأ هذا الرجل إلى لعبة « الساق الخشبية » ، بشكلها التقليدى . كان فى مكانه العثور على وظيفة تناسب عاهته ، إلا أن الوظيفة الوحيدة التى سعى إليها بجماس هى وظيفة بائع ، يكون الكلام عنصرا أساسيا فيها . هو كمواطن حر ، يكون من حقه أن يبحث عن العمل الذى يعجبه ، لكن تعمده اختيار وظيفة البائع رغم اعتلال نطقه ، تثير الشك فى براءة دوافعه .

أما إذا وقع المريض - لسوء حظه - في طيبب نفسى يمارس نفس اللعبة ،
وينفس ادعاء العجز ، فالعلاج يصبح هنا مستحيلا .

ومن الحالات التى يسهل علاجها ، حالة المريض الذى يعانى « ادعاء
ايدولوجى » ، مثل قوله : ماذا تتوقع من رجل يعيش فى مجتمع مثل
مجتمعنا؟ . وقد مزج أحد المرضى بين هذه الحالة ، وحالة « ادعاء المرض
الجسدى النفسى » ، فيقول لسان حاله : ماذا تتوقع من رجل تظهر عليه
أعراض المرض الجسدى النفسى ؟ وهو فى تروده على عيادات العلاج
النفسى ، يجرد من الأطباء من يقرونه على أحد الادعائين ، وربما مع رفض
الادعاء الآخر . وهو يستغل عدم عثوره على الطيبب الذى يقبل الادعائين
معا ، فى تنمية القلق الذى يشعر به ، بحيث يخرج آخر الأمر بالحقيقة التى
يسعى إليها وهى أن : العلاج النفسى لايساعد الناس .

من بين الادعاءات التى يطرحها المرضى لتبرير سلوكهم العارض ،
الإصابة بالبرد ، أو الصداع ، أو مواجهة ضغوط الحياة اليومية المعاصرة .
والمريض المتعلم لايجد صعوبة فى الوصول إلى السلطات التى تحميه ، وتتيح له
مواصلة لعبته . وهو قد يقول : « أنا أدمن الخمر لأننى ايرلندى يعيش فى
أمريكا » ، أو يقول : « لم يكن يحدث لى هذا لو أننى أعيش فى تاهيتى » .
وهناك بعض الادعاءات الأقل بساطة فى تكوينها مثل : ماذا تتوقع من
رجل : (١) نشأ فى عائلة مفككة ، (٢) مريض بالاختلال العصبى ،
(٣) يخضع للتحليل النفسى ، (٤) يعانى من مرض يسمونه إدمان الخمر .
وعلى رأس هذه الادعاءات المتحدقة قول المريض : إذا لم أواصل ممارسة
اللعبة ، سيصبح من المستحيل الوصول إلى تحليل دوافعها ، ومن ثم يصبح
علاجى مستحيلا !

والوجه الآخر للعبة « الساق الحشبية » يسمى لعبة « الريكشو » ، وهى

العربة التي تستخدم في نقل الأشخاص باليابان . وتعتمد اللعبة على فرض اشتراطات مستحيلة لتبرير مواصلة المرض ويقول لسان حال المريض « لو أنى وجدت عربة ريكشو (أو فتاة شقراء تتكلم اللغة الهيروغليفية ، أو نسيج مصنوع من سيقان النمل) ، لو أنى وجدت هذا في مدينتي ، لما وصلت حالتي إلى ما هي عليه » .

علاج اللعبة :

وقف لعبة « الساق الحشبية » ليس صعبا ، إذا استطاع الطبيب أن يميز بوضوح بين (الوالد) و (البالغ) فيه هو شخصا ، وإذا كانت الأهداف العلاجية واضحة للطرفين . وهناك احتمالان للعلاج من موقف (الوالد) ، إما بتقمص دور الأب الطيب ، أو الأب العنيف الحشن الطيب من موقف الأب الطيب ، قد يقبل ادعاء المرض ، خاصة إذا كانت ادعاءات المريض تتفق مع وجهة نظره الشخصية ، أو تتفق مع نظرية يعتنقها تقول إن المرضى غير مسئولين عن تصرفاتهم حتى يتم علاجهم أما الطبيب من موقف الأب الحشن ، فهو يرفض ادعاء المريض ، ويدخل معه في سباق عزيمة وقوة إرادة . وممارس لعبة « الساق الحشبية » ، يعرف كيف يستنبط أقصى متعة ، في كل من الحالتين

أما إذا اتخذ الطبيب موقف (البالغ) ، فسيصبح بإمكانه إحباط هاتين الفرصتين . إذا قال المريض « بماذا تتوقع من شخص مصاب بمرض عصبي ؟ » ، أو أى ادعاء آخر ، يكون جوابه «أنا لا أتوقع شيئا ، المهم هو ماتوقعه أنت شخصا ؟ » . وهدفه من هذا أن يحصل من المريض على إجابة محددة عن هذا السؤال . وهو يتيح فرصة للمريض ، تسمح له بالوصول إلى الإجابة المطلوبة ، وهي تمتد من ستة أسابيع إلى ستة أشهر ، وفقا لمدى فعالية الإعداد الذي خضع له المريض .

الفصل العاشر
الألعاب الطيبة

الألعاب الطيبة

الطيبب النفسى ، بحكم طبيعة الجمهور الذى يلجأ إليه ، لايتعامل - لسوء الحظ - إلا مع الأشخاص الذين قادتهم ممارسة ألعابهم إلى أوضاع معينة . وهذا يعنى أن الألعاب التى تتوفر للبحث العلمى المعملى هى فى مجملها من الألعاب (الردئية) بشكل أو بآخر ولما كانت الألعاب ، بحكم تعريفها ، تتضمن تعاملات خفية غير معلنة ، فإنها لابد أن تتضمن عنصرا من عناصر الاستغلال . لهذين السببين يصعب عمليا ونظريا البحث فى الألعاب الطيبة .

يمكن أن نطلق تعبير اللعبة « الطيبة » على اللعبة التى تفوق مزاياها الاجتماعية بالنسبة للطرف الآخر مافى دوافعها من تعقيدات . فاللعبة الطيبة تحقق وضعا طيبا بالنسبة للطرف الآخر ، وإمتاعا لممارستها . لهذا ، يبق عدد الألعاب الطيبة التى تم حصرها علميا ، محدودا فى العدد وفى حجم الدراسات التى جرت عليه . والألعاب الطيبة التى سنطرحها هى :

- الفارس .
- تسعدنى خدمتك .
- سيسرهم أنهم كانوا يعرفونى .

« الفارس »

لعبة « الفارس » ، باعتبارها لعبة طيبة ، يكون ماتقدمه من عطاء اجتماعي ، اثقل وزنا من تعقيدات دوافعها .

هذه اللعبة يقوم بها الرجال الذين لا يعيشون تحت ضغوط جنسية ، رجال في مقتبل العمر يرتبطون بزواج ناجح ، أو حتى علاقة نسائية ناجحة ، أو رجال كبار في السن يعيشون في ظل علاقة نسائية وحيدة مشبعة في وقار ، أو يعيشون في حالة عزوية باختيارهم .

عند مقابلة الرجل للأُنثى المناسبة ، يبدأ في استغلال كل فرصة للتعليق على خصالها الطيبة وصفاتها الحميدة . وهو لا يتجاوز بتاتا الحدود اللائقة ، والمناسبة لوضعها في المجتمع ، والمتفقة مع مقتضيات الذوق السليم . إلا أنه داخل هذه الحدود ، يكون مسموحا له أن يطلق أقصى طاقات ابتكاره ، وحاسه ، وأصالته . والرجل بهذا الجهد لا يسعى إلى إغواء الأُنثى موضوع نشاطه ، لكنه يسعى إلى استعراض قدراته في فن المحاملة .

المكسب الاجتماعي الداخلي ، يكمن في السعادة التي تنعم بها الأُنثى نتيجة لمهاراته الفنية البريئة واستجابتها التي تعبر عن تقديرها لمهارته . وفي بعض الظروف المناسبة ، عندما يكون الطرفان واعيان بطبيعة اللعبة ، قد تمتد مع تصاعد سعادتهما ، إلى حد الإفراط . وممارس اللعبة المحنك ، يعلم بالطبع متى

يتوقف ، فلا يستمر متجاوزا النقطة التي تفقد فيها اللعبة طرفتها أو التي يتدهور فيها مستوى المجاملات التي يقوم بها . والشعراء غالبا ما يشاركون في لعبة « الفارس » لمكسبها الاجتماعي الخارجي ، حيث يتمتعهم تقدير النقاد الثقات والجمهور .

تحتاج المرأة في تأدية دورها في هذه اللعبة إلى قدر من الخدلفة ، إلا أنها تكون على قدر كبير من الغباء إذا رفضت أن تلعبها . واللعبة المكتملة لهذه اللعبة ، تعتبر أحد تنويعات لعبة « يا لله .. كم أنت عظيم أيها الأستاذ » ، وبهذا يكون اسم هذه اللعبة « يا لله .. كم أنا معجبة بأقوالك وأفعالك يا أستاذ » . وإذا لم يتوفر لدى المرأة الفهم المناسب فقد تستجيب للعبة « الفارس » ، بلعبة « يا لله .. كم أنت عظيم أيها الأستاذ » . وهذه استجابة خاطئة ، فالذي يقدمه ممارس اللعبة ليكون موضع الإعجاب ، ليس شخصه ، ولكن أقواله وأفعاله ونتاجه .

والاستجابة المتوحشة لهذه اللعبة ، تأتي من المرأة المتجهمة ، على شكل لعبة « الاغتصاب » من الدرجة الثانية . وإذا كانت المرأة على درجة عالية من الغباء ، فهي تستجيب لهذه اللعبة بلعبة « الاغتصاب » من الدرجة الأولى ، مسخرة بمجاملات ممارس اللعبة في تغذية غرورها متناسية أن ممارس اللعبة يتوقع منها إبداء التقرير لجهوده الخلاقة . وفي جميع الأحوال ، تفسد اللعبة إذا ماتصورت المرأة بمجاملات الرجل على أنها محاولة للاغواء ، وليست استعراضا لمواهبه .

تحليل اللعبة :

هدف هذه اللعبة هو الإعجاب المتبادل . وعلى المستوى الاجتماعي المكشوف تجرى اللعبة من موقف (بالغ - بالغ) ، على صورة :
الرجل (بالغ) : انظرى مدى قدرتي على إمدادك بالمشاعر الطيبة ..

المرأة (بالغ) ، حقا .. لقد أسعدتني .
وعلى المستوى السيكلوجى الخفى تكون العلاقة من موقف (طفل - طفل)
على صورة :
الرجل (طفل) : انظرى ، أى تعبيرات بليغة أستطيع أن أصيغ .
المرأة (طفل) : حقا . أنت خلأق

« تسعدنى خدمتك »

لاعب هذه اللعبة ، يكون فى خدمة الآخرين بصفة مستمرة ، مع وجود بعض الدوافع الخفية لديه .
قد يكون بهذا مكفرا عن بعض الآثام التى ارتكبها فى الماضى ، أو لتغطية بعض الآثام التى يرتكبها فى الحاضر ، مكونا الصداقات ، ليستغلها مستقبلا ، أو باحثا عن مكانة له بين الناس وأيا كانت دوافعه ، فلا بد أن نحفظ له فضل تصرفاته وسلوكه مع الناس . فبعض الناس يغطون آثام الماضى ، بأن يكونوا أكثر إثما فى الحاضر ، ويستغلون الناس بالتخويف والإرهاب ، وليس بالتصرف الكرم .

بعض الناس ينصب اهتمامهم على المناسبة أكثر من اهتمامهم بفعل الخير فى حد ذاته . فترى الواحد منهم يقول لصاحبه « إن ماقدمته أنا ، يتجاوز بكثير ماقدمته أنت (من مال أو فن أو هبة أو تبرع) » . وإذا أردت أن تناقش دوافع هؤلاء ، فلا بد أن تسجل لهم فضل التنافس على الأعمال البناءة ، فى الوقت الذى يتنافس فيه غيرهم على الشر والتخريب .

وجميع الذين يمارسون لعبة « تسعدنى خدمتك » ، لهم أصدقاء وأعداء ، وكل من الجانبين له مايبرر موقفه . الأعداء يهاجمون الدوافع ويقللون من شأن العطايا ، والأصدقاء يضحمون فضل العطايا ، ويهملون شأن الدوافع ، وكلها نجد

في مثل هذه الحالة ، ذلك الموقف الذي يتسم بالموضوعية . وحتى الذين يدعون أنهم يتوسطون في أحكامهم ، عاجلا ما يظهرن ميلا إلى أحد الجانبين . هذه اللعبة ، كمتاوررة استغلالية ، تعتبر الأساس لقسط كبير من النشاط المعروف باسم «العلاقات العامة» وخاصة في بلد كأمريكا . والعلاء ، يسعدهم عادة الدخول في هذه اللعبة . ولعلها أكثر الألعاب التجارية ايجابية .

ومن تنويعات هذه اللعبة ، لعبة أخرى تجرى بين ثلاثة أطراف ، وتعتبر من ألعاب الأسرة أو الألعاب العائلية ، حيث يتنافس الأب والأم حول أيهما أكثر حظوة عند الابن أو الابنة . وهنا أيضا ، يجدر بنا أن نسجل ماى ممارسة لعبة « تسعدنى خدمتك » من جوانب ايجابية . تقلل من شأن دوافعها الخفية ، فالمنافسة حول حب الأولاد تتخذ في كثير من الأحيان ، صورا أكثر إيلا ما للأطراف المعنية .

« سيسرهم أنهم كانوا يعرفوننى .. »

في هذه اللعبة يبذل الشخص كل جهد للنجاح ، وتحقيق الإنجازات الكبيرة ، ليس لمجرد النجاح ولمجرد إثبات القدرة على تحقيق الإنجازات ، ولكن ليستطيع أن يردد ممارس اللعبة بينه وبين نفسه بعد ذلك « سيسرهم أنهم كانوا يعرفوننى . » . والضمير هنا يعود إلى أصدقائه القدامى وزملاء الدراسة ، والهدف هو أن يثبت لهم أنهم كانوا على حق في معاملته بود واحترام ، وأن رأيهم فيه كان صائبا . ولكى ينجح في تأمين مكاسبه من هذه اللعبة ، عليه أن يلتزم في وسائله وإنجازاته بالشرف

وهذا هو بالتحديد ما يجعل هذه اللعبة تفضل تنوعا لها باسم « ساريهم ا » . وهذا التنوع من اللعبة ، يتفرغ إلى اتجاهين ، واحد من النوع الهدام ، وفيه (بريهم) ممارس اللعبة بأن يتسبب لهم في أضرار بالغة . وهو يسعى إلى الصعود إلى مكانة عالية ، ليس بدافع اعتزازه بهذه المكانة ، أو استمتاعه بالعائد المالى الذى يتحقق منها ، ولكن لأن هذه المكانة العالية التى وصل إليها تتيح له القوة اللازمة للانتقام من أعدائه القدامى .

أما الاتجاه الآخر الذى يتفرغ من لعبة « ساريهم ا » ، فهو من النوع البناء . يعمل ممارس اللعبة بكل جهد ومشقة ساعيا إلى أن يحقق مكانة محترمة عالية ، ليس من أجل تحسين وضعه المهني (وإن كانت هذه غاية ثانية من غاياته) ، ولا

ليتسبب في إيذاء من ناصبوه العداة قديما ، ولكن ليعث في نفوسهم أحاسيس
الحسد ، والأسف لعدم معاملته معاملة أفضل ، فيما سبق من الزمان .
ولا يمكن دائما النظر إلى هاتين اللعبتين باعتبارهما من الألعاب الخفية ، فن
الممكن أن نعتبرهما نواتج ثانوية للنجاح ، أكثر منها ألعاب . ولا يتحولان إلى
لعبتين ، إلا عندما يصبح اهتمام اللاعب بتأثيره على اصدقائه أو أعدائه القدامى ،
أكبر من اهتمامه بالنجاح نفسه .

الفصل الحادى عشر

العبّ يمارسها الأطفال

ألعاب يمارسها الأطفال

شخصية الطفل ، ووظائفه العاطفية ، هي نتاج تعاملاته مع الأشخاص المهمين في حياته . فهو يمكن أن يشب واثقا من نفسه أو خائفا ، إيجابيا أو سلبيا ، متوازنا في عواطفه أو مضطربا ... يكون هذا أو ذاك وفقا لما يجرى بينه وبين والديه ، وباقي أفراد أسرته ، والقريين منها ، من تعاملات وعلاقات متبادلة . ومن الثابت أن ماضى الطفل وحاضره ، يصنعان مستقبله . وإنماط الشعور والتفكير والسلوك التي زرعت فيه خلال سنوات تشكله الأولى ، تظل باقية معه ، ممتدة من طفولته إلى مراهقته إلى بلوغه . ومن الممكن أن تبقى معه ، وتنعكس على تربيته لأبنائه .

ويحدد دكتور تشابمان ، في كتابه « ألعاب يمارسها الأطفال » ، سبعة عناصر أساسية ، يجب أن ننتبه إليها في تعاملاتنا مع الطفل ، وتعاملاتنا في وجوده ، حتى لا ننزلق إلى أخطاء تؤثر تأثيرا ضارا ودائما على الصحة النفسية للطفل وهي : الوعي والادراك ، وتكوين صورة الذات ، والتعبير عن المشاعر ، ووضوح الهوية ، والضيق أو القلق ، وإشباع الحاجات ، والميل نحو الموقف الصحي .

الادراك الواعي :

كلما جرت تعاملات الشخص مع الآخرين خارج نطاق الإدراك الواعي ، كلما زاد احتمال ظهور المزيد من أنماط التعامل الضارة ، والتي تتحول إلى ألعاب خطيرة ، إذا ما تكرر الالتجاء إليها .

لكى نفهم هذا ، سنطرح مثالا لتبادل التعامل بين الأم وابها مجدى ، البالغ من العمر أربعة أعوام .

الأم : هل أنت الذى ألقىت السكين داخل مهد أختك الصغيرة ؟
مجدى : لا ..

الأم : بل فعلت ذلك .. إذا لم يكن أنت ، فمن غيرك ؟ ، ألا تعلم أنك قد تؤذيها بهذه الطريقة ؟ .

مجدى : أنا لم أفعل ذلك .

الأم : من الذى فعله إذا ؟ .. كان من الممكن أن تقتل أختك ، ماذا يكون شعورك لوحدث هذا ؟ .

مجدى : ربما ألقى السكين فى سريرها شخص آخر

الأم : من ؟ . قل لى من ؟ . أنت تكذب

مجدى : لكنها لم تصب بسوء ..

الأم : إذا ، فأنت تعترف بأنك ألقىت السكين فى مهدها .

مجدى : لا . لم أفعل ذلك

الأم : انتظر حتى يحضر والدك سأخبره ، وستنال عقابك عندما يعلم بما فعلته . وسأخبره عن اصرارك على الكذب .

مجدى : لقد ضربتني ا ..

الأم : كيف يمكن لرضيع أن يضربك ؟ ها أنت تكذب مرة ثانية

مجدى : لا .. أنا لا أكذب ..

فى هذا التعامل ، لا الأم ولا الابن ، يدركان إدراكا واعيا ، الموضوع الأساسى .

الأم تؤنب مجدى وتهده ، وهو يكذب ويصبح خائفا مهتر الشخصية ، لكن المشكلة الأصلية لم تجد حلاً لها . وإذا تكرر هذا التعامل بين الأم ومجدى

كثيرا ، فقد يتطور إلى نمط خطري في التعامل ، وتتأسس اللعبة .
أما إذا كان قد توفر للأم الإدراك الواعي بالموضوع الحقيقي الذى يحرك
مجدى ، فإن الحوار بينهما كان سيأخذ شكلا مختلفا ، أكثر سلامة وصحة . مثل :
الأم : لقد رمى أحدهم سكيننا فى سرير أختك ، ولما كنت أنا وأنت
وحدنا فى البيت ، ولما كان السكين غير موجود منذ عشر دقائق ، فلا بد أنك
فعلت هذا

مجدى : لقد ضربتني

الأم : هذا مجرد لغو ، وأنت تعلم ذلك ، لكننا لن نُمضى فى هذا الآن .
الموضوع الأساسى هو أنك تخشى أن تفقد حبي وحب والدك ، بعد مجيء أختك
الصغيرة ، لذلك فأنت غاضب عليها .

مجدى : أريد أن أعرف ، ماهى حاجتكما إليها ؟ .

الأم : نحتاج أن نحبا . أنت الآن من الأشخاص الكبار فى الأسرة . وكما
نحبك أنا ووالدك ، وكما أن حبنا لك لم يقل عن ذى قبل ، فعلينا نحن الثلاثة أن
نحب الطفلة الصغيرة . ولأنك أصبحت من الكبار ، فلا بد أن تساعدنا فى رعايتها
والعناية بها .

مجدى كيف ؟ .

الأم : احضر هذه الدبة التى أهدتها إليها عممتك ، وضعها إلى جوارها فى
السريير . قد لاتعرف فى سنها الصغيرة هذه ماهى الدبة ، لكنى اعتقد أنها ستعجب
بالفراء وبالعينين الزجاجيتين اللامعتين .

مجدى : سأضع الدبة فى سريرها .

الأم : شكرا يا مجدى

فى هذا التعامل ، كانت الأم مدركة إدراكا واعيا ، السبب فى قلق مجدى ..
لقد شرحت له بوضوح وصراحة ، مما جعله هو الآخر مدركا لحقيقة دوافعه .

فالأغلب أن مجدى لم يكن يدرك بطريقة واعية ، مشاعر فقدان الأمان ، التى أثارها مولد الأخت الجديدة

لقد حرصت الأم على طمأنة مجدى ، وتبديد مخاوفه ، وحددت له دورا ازاء الطفلة بعيدا عن مشاعر التنافس . باعتباره (أبا آخر لها) ، وهكذا حولت التعامل الخفى لمجدى إلى نشاط صحى

تكوين « صورة الذات » :

العنصر الثانى هو تكوين « صورة الذات » فكل واحد منا ، يحمل داخله صورة عن نفسه ، يؤمن بأنها واقعية . وهو قد يتصور نفسه قادرا أو غير قادر ، مفيدا أو بلا نفع ، محبوبا أو مكروها ، وسيا أو قبيحا . يطلق علماء النفس على هذه الصورة تعبير « صورة الذات » ، ويكون لها تأثير كبير على تعامل الشخص مع الآخرين .

صورة الذات الزائفة ، يمكن أن تجلب الكثير من المتاعب على الشخص . وأهم عامل فى تكوين صورة الذات ، هو المواقف التى يتخذها الوالدان والقريبون من الأسرة ، تجاه الطفل ، خلال سنوات تكونه الأولى . للتدليل على ذلك ، دعنا نطرح نموذجا للحوار الذى يمكن أن يدور بين أم وابنتها (نادية) التى تناهز الخامسة من عمرها .

الأم : من الذى سكب مسحوق صابون الغسيل فى انحاء المطبخ ؟
نادية : لا أعلم ..

الأم : بل أنت التى فعلت ذلك . انظرى ، مازال المسحوق لاصقا بأصابعك .

نادية : يبدو أنى فعلت ذلك ..

الأم : أنا أعلم لساعة كاملة فى تنظيف المطبخ ، ثم تأتى أنت لتفسدى كل

شيء ، وتضعي نتيجة عملي .

نادية : آنا آسفة

الأم : ومافائدة هذا ١٩ .. أنت بنت سيئة ، لاتهتمين إلا بعبتك ولعبك .

نادية : لن أفعل هذا ثانية .

الأم : نفس ماتقولينه دائما ، وأنت تقولينه ولكنك لاتعنين تنفيذه ستظلين هكذا بلا فائدة ، وستبقين طوال حياتك مبعثا للفوضى ، في أى مكان تحلين فيه .

نادية : سأبذل جهدى لتجنب هذا ...

الأم : أنت أنانية وناكرة للجميل . أنا ووالدك نعمل من مطلع الشمس حتى غروبها ، لكى نجعل هذا البيت يبدو جذابا . وتجيئين أنت لتفسدى كل شيء . في هذا الحوار . نسيت الأم بسرعة موضوع الحديث ، وهو مسحوق الغسيل المشور في انحاء المطبخ ، وانصرفت إلى تعديل النواقص التى تراها فى شخصية الطفلة ، مخربة أنانية غير نافعة .

والآن ، دعنا نستعرض النموذج الصحى ، البديل للتعامل السابق ، والذي لايشوه لدى الابنة « صورة الذات » .

الأم : انظرى إلى المسحوق المشور فى انحاء المطبخ ، علبة المسحوق ليست لعبة ، وليس المفروض أن تلعبى بها .. وأنت تعرفين هذا .

نادية : آنا آسفة .

الأم : وأنا غاضبة .. ومن حقى أن أغضب ، فقد أمضيت ساعة داملة فى تنظيف المطبخ .

نادية : لن أفعل ذلك ثانية .

الأم : أنت يانادية بنت طيبة ، لكنك فعلت شيئا خاطئا ، عندما عبثت بصندوق مسحوق الصابون ، ونثرته على الأرض .

نادية : سأقوم بتنظيف المطبخ من هذا المسحوق
الأم : عظيم . وأرجو أن تنجحى فى ذلك سأعود بعد خمس دقائق لأرى
ماذا تم .

فى هذا الحوار تلتزم الأم بالموضوع الأساسى . قامت بتوضيح سوء تصرف
نادية ، ثم أوكلت إليها إصلاح غلطتها . إنها هنا تتقد التصرف ، وليس الطفلة ،
وبذلك تتعامل مع المشكلة دون أن تفسد « صورة الذات » عند نادية .

الأصل هو النمو السليم :

ننتقل من هذا إلى عنصر التعبير عن المشاعر .

المفروض أن يكون الطفل قادرا على التعبير عن مشاعره ، رغباته وغضبه
وخوفه ، إلى آخر ذلك ، بطريقة يقبلها مجتمعه . وإذا دفع الوالدان طفلها إلى
كبت غضبه دائما ، أصبح الطفل قلقا مكتئبا ، وقد ينعكس هذا على صحته
البدنية .

ومن العناصر الهامة فى تكوين الطفل ، قدرته على الانتماء إلى نموذج والديه
عندما تكون العلاقة بين الابن والاب طيبة ، فإن هذا يتيح للابن أن يتبنى
نموذج الأب ، ويجد نفسه فيه . ولكن عندما تسوء هنا العلاقة ، فالأغلب أن
يتبنى الطفل سيئات الأب .

والقلق من الظواهر الشائعة عند الأطفال ، قد يتسبب فيه سلوك خشن من
أحد الوالدين ، أو قيام أحد الوالدين بحجب مشاعر الود والحب عن الابن .
ومشاعر القلق هذه ، يمكن أن تلاحق الطفل فى مراحل عمره التالية ، فتفقده
القدرة على التعامل مع الآخرين .

والأمان ، هو البديل الصحى للقلق . وهو يتوفر من خلال التعاملات
الصحية الحالية من التوتر ، ومن خلال وضع الحدود المعقولة لما هو مسموح ،
وما هو ممنوع .

وتلبية الاحتياجات الخاصة للطفل ، من العناصر الهامة في تكوينه ففي مجال الطعام مثلا، عندما يتزايد احساس الجوع عند الطفل فإنه يبكي فتتنبه الأم وتلبي حاجته . وحاجة الطفل إلى الطعام ، هي حاجة مزدوجة بطبيعتها ، فهو يحتاج إلى أكثر من مجرد السرعات التي يوفرها الطعام . إنه يحتاج إلى رقة ورعاية وعطف الأم . وبغير تلبية هذه الحاجة العاطفية ، ينمو الطفل شاعرا بالوحدة ، مما يؤثر على علاقته بالآخرين طوال حياته

ومن المعروف أن الإنسان في نموه ، يكون أميل إلى أن ينمو سليما صحيحا ، ما لم تقم في طريق ذلك عقبات مصنوعة ، أو يحدث تخريب في علاقاته البشرية التي يتبادلها مع الآخرين أي أن الأصل هو الصحة . ويعتبر هذا عنصرا إيجابيا في نمو الطفل ، يساعد الوالدين في مهمتها .

ومن القواعد الثابتة نفسيا ، أن الحادثة الوحيدة لا تحدث تخريبا في شخصية الطفل ، لكن الحطبات اليومية المتكررة ، الناتجة عن علاقات غير صحية ، هي التي تؤدي إلى تخريب شخصيته .

ظهور الألعاب الخفية :

عندما يفشل الوالدان في توفير العناصر السبعة التي أشرنا إليها ، وعندما تتكرر التعاملات الخاطئة ، تنشأ المناورات الضارة ، أو ما يطلق عليه خبراء تحليل التعامل اسم « الألعاب » . فالإنسان يلجأ إلى هذا الطراز الثابت من التعاملات ، بطريقة لاشعورية ، عند الفشل في تحقيق التعامل الصحي واللعبة التي يتعلمها الطفل في صغره ، تمضى معه في مراحل ومجالات حياته التالية ، مشيرة له المشاكل .

وسنقدم فيما يلي عدة نماذج من الألعاب التي يمارسها الأطفال ، نتيجة لأخطاء في تعامل الوالدين ، والتي يظل الطفل محتفظا بها باقى أيام حياته .

القفز على الحبلين

في هذه اللعبة يستغل الطفل أحد الوالدين في السيطرة على الآخر .
تم هذه اللعبة عندما يفتقد الطفل ، أى علاقة سليمة ، بأى من الوالدين
وفي النموذج الذى نقدمه لهذه اللعبة ، تكون البطلة هى الابنة « سهام » .
بدأت سهام ممارسة لعبتها ، بين الثانية والثالثة من عمرها رغم أن الآباء
والأمهات غالبا ما يقللون من قدرة الطفل على القيام بالناورات في هذه السن
الصغيرة . علما بأن الثابت ، هو أن الذكاء الأساسى للشخص يكون في الثالثة كما
هو في الحادية والعشرين . تزداد حصيلته من المعلومات ، وتنمو قدراته ، لكن
« معامل الذكاء » يبقى ثابتا .

والعديد من صغار الأطفال يبدون قوة ملاحظة حادة تجاه من حولهم من
اشخاص . قد لا يستطيعون صياغة ملاحظاتهم هذه في كلمات ، أو أن ينظموا
أفكارهم عنم حولهم في نسق منطقي ، لكن قدراتهم على استغلال ملاحظاتهم
حول « الألعاب » تبقى على مستواها ، في الثالثة كما في العاشرة ، كما في العشرين
من العمر .

متى تبدأ اللعبة :

ساعدت شخصية كل من الوالدين على ممارسة سهام للعبة « القفز على
الحبلين » . فقد كانت أمها سلبية ، تعانى من شعور مرضى بالذنب كلما ثار

غضبها ، حتى لو كانت محقة في غضبها ، بالإضافة إلى شعورها بالقلق ، إذا ما غضب منها الآخرون . ومرجع ذلك ، إلى ما لقيته من والديها المسيطرين ، في طفولتها .

كانت الأم في بداية الأمر حازمة مع سهام ، عندما لم يكن أبوها يتدخل . وكان والد سهام رجلا عدوانيا وحنونا في نفس الوقت . وكانت سيطرته تتسع لتحتل الأرض التي كانت الزوجة تتخلى عنها بسليبتها . وكان زواجهما سعيدا ، رغم ذلك ، حتى بدأت سهام تمارس لعبتها .

عرفت سهام منذ البداية أن حزم الأم في تقييد تصرفاتها ، يمكن التخلص منه ، بملاحظة حادة من الأب يوجهها إلى الأم . وهكذا أصبحت سهام ماهرة في تحريك حدة طبع الأب للسيطرة على الأم . إذا كانت سهام مع أمها فقط في البيت ، وضربتها على كفيها عندما فتحت الأدراج وأخرجت ما فيها ، رغم تحذير الأم السابق بالامتناع عن ذلك . بكت سهام لعدة دقائق ، ثم توقفت عن البكاء ، وعادت إلى الانشغال بشيء آخر .

لكن إذا ما حدث هذا في وجود الأب ، تعدو سهام باكية صارخة نحو أبيها ، وتتعلق بساقيه ثم يدور التعامل التالي بين الوالدين وسهام ، أو تنوع آخر من التنوعات العديدة لهذا التعامل

الأب : (لسهام) ماذا جرى يا حبيبتي ؟ . (للأم) منيرة .. ماذا جرى لسهام ؟ .

الأم : لقد فتحت الصوان الذي نحتفظ فيه بأطباق الصيني الغنية . وعندما منعنا من ذلك بدأت في البكاء .

(هنا تمد سهام يدها نحو أبيها ، وتبكي بحرقة) .

الأب : (يحندها برفقته نتيجة لبكاء سهام) لا بد أنك عدت إلى ضربها .

الأم : لطمتها برقة على كفيها .. هذا هو كل ما حدث .

الأب : (يشعر بالضيق ، وتثور حدة طبعه نتيجة لتردد الأم وسليتها) وهل تسبب اللطمة الرقيقة كل هذا البكاء ؟ يخيل إلى يامنيرة أن هناك طريقة أكثر تحضرا للنتييه على الطفلة بعدم فتح الصوان

الأم : أنا آسفة ، لكن الذى حدث هو .

الأب : (مقاطعا) ألاحظ أن هذا يتكرر كثيرا فى البيت لا أريد ابنة تخاف والديها ، أو يواجه فضولها الطبيعى بإجباط وقع ولطم كل هذا لأنها قامت بعمل عادى من أعمال الطفولة المعقولة .

الأم : أنا آسفة .

الأب : (لسهام) أرينى كفك يا حبيبتى .. هيا اذهبي مع والدتك إلى المطبخ ، لتقدم إليك شيئا من الحلوى .

(هنا .. تنصاعد صرخات سهام ، وتتشبث بساق والدها بشكل أشد) .

الأب : (للأم) انظرى كم هى خائفة . يجب أن تتوقى عن ضرب الطفلة يامنيرة (هنا يبدو الأب شديد الاستياء) لدى مايكفىنى من المشاكل فى عملى طوال اليوم . عندما أعود إلى البيت أحاول أن أستريح قليلا ، فأجد هذه المشاكل التى تثيرنيها فى وجهى .

حقيقة ماجرى :

عند هذا الحد ، تكون سهام قد أدركت (شعوريا أو لا شعوريا) أن أمها قد لقيت التقريع والتأنيب الكافين ، وأن الأب قد قام عنها بما كانت تحب أن تقوم به ، وأنها قد دفعت الأب إلى غاية ما يطيق .

إنها تعلم الآن أن اللعبة قد تمت بنجاح ، فيتوقف البكاء ، حتى تشعر الأب أنه « صانع السلام » فى البيت ، وتمسح دموعها ، وتنصرف متقافزة إلى المطبخ ، متأكدة من أنها تستطيع أن تفعل ماتشاء ، دون أن تقف أمها فى سبيلها

لقد دفعت أمها إلى حالة من الشلل ، وسيطرت على والدها . وان كان أى من الأطراف الثلاثة لم يفهم حقيقة ماجرى .. لقد نجحت لعبة « القفز على الحبلين » .

اللعبة مشروع للمستقبل :

عندما تكبر سهام ، يتغير أسلوب اللعبة ، وتتبدل تفاصيلها ، لكن النمط والتتابع الأساسى يبقى على حالة .

وعندما تبلغ سهام العاشرة من عمرها ، يكون هذا النمط من التعامل قد تأصل فيها .. تعتمد على انفجاراتها العصبية فى إرهاب أمها ، كما تعتمد على شهيقها وانكسارها المحسوسين فى السيطرة على أبيها .

وما أن تصل سهام إلى سن المراهقة ، حتى تكون طرقها فى التعامل مع الرجال والنساء قد تحددت . فتمضى فى ممارسة لعبة « القفز على الحبلين » بشكل أو بآخر ، وبتنوعات عديدة ، وفقا للمواقف ، وطبيعة المساهمين فى اللعبة . وهكذا تتحول سهام إلى فتاة متحدية للنساء مكروهة دائما منهن ، ساحرة خلاصة مع الرجال ، تستغلهم فى تحقيق أهدافها .

بهذا ، يستحيل على سهام الشابة أن تنشئ علاقة سوية مع الآخرين لأن « اللعبة » تتدخل دائما لإفساد أى علاقة . وعندما يكتشفها المحيطون بها ، ويرفض الجميع المساهمة فى لعبتها ، يصيبها الرعب والقلق ، فتميل إلى ممارسة اللعبة بشكل أشد عنفا ، حتى تتخلص من قلقها ، وحتى تحقق لنفسها الحد الأدنى من الأمان العاطفى .

« التلطيح بالوحل »

من بين المناورات الضارة التي قد تفرضها الأم - دون أن تدرى - على طفلها الصغير . فتصبح خطة ثابتة في تعامله مع أفراد العائلة ، ثم تصبح بعد ذلك خطة للتعامل في حياته المقبلة ، مناورة « التلطيح بالوحل » وهي تعتبر - شأنها شأن غيرها من المناورات الضارة - شكلاً فاشلاً من أشكال التعامل ، لا بد من الانتباه لها ، والاسراع بالتخلص منها .

والإحساس بالذنب يزرع في نفس الشخص إحساساً دائماً بالقلق ، وهو إحساس موحش مصحوب بمشاعر الفشل وفقدان أى قيمة للحياة والآلام الناشئة عن الاحساس بالذنب تؤثر على العديد من التصرفات البشرية .

وقد يستخدم الشخص إحساسه بالذنب كأداة للتحكم في الآخرين وتلجأ الأم في بعض الأحيان إلى استخدام الإحساس بالذنب لإفزع طفلها ، وارغامه على الخضوع لها ، والامتثال لأوامرها . وهكذا يشب الطفل وسط عاصفة من عبارات التأنيب .. «أعمالك هذه تصيبى بالصداع ..» ، أو «هل تريدن أن تهدمى هذا البيت بالمشاكل التي تثيرينها بينى وبين والدك؟ ..» ، أو «احترس .. انت ستصيب اختك بعاهة مستديمة إذا ما مضيت تضررها بهذه الطريقة » ، أو «أنت ولد شرير ، وسيعاقبك الله على ما تسببه لى من معاناة» .. إلى آخر هذه الاتهامات المؤلمة .

مناورة لتلطيف الطفل بالوحد واشعاره بالذنب عن طريق إلقاء اللوم عليه ، غالباً ما تحقق غرضها ، وترغم الطفل على أنماط السلوك التي تطلبها منه والدته . ومع ذلك ، فإن استخدام هذا التكتيك كل ساعة وكل يوم في تربية الطفل ، غالباً ما يصيبه بالقلق ، ويجعله رازحاً تحت أعباء الذنب ، مما يعرضه لأنواع متعددة من المصاعب العاطفية ، التي تلاحقه حتى بعد بلوغه .

ظاهرة تعاملية :

والإحساس بالذنب ، ظاهرة تعاملية ، أى أنه لا يحدث للشخص فيما بينه وبين نفسه ، لكن الشخص ينميه في نفسه لأن شخصاً آخرًا يفرضه عليه .

وبمجرد أن يتأسس الإحساس بالذنب في شخص ما ، فمن الممكن أن يصبح صفة لصيقة بشخصيته فالإحساس بالذنب الذي ينشأ نتيجة للتعامل مع شخص آخر أو مع أشخاص آخرين ، يمكن أن يتحول صفة خاصة ثابتة ، بحيث يحمل الشخص ذنبه هذا ، وهمومه من جراء ذلك الإحساس بالذنب ، إلى كل علاقة بشرية جديدة يمر بها . فالشخص الذي زرعت في نفسه مشاعر الإحساس بالذنب خلال سنوات طفولته ، يميل إلى الإحساس بالذنب عندما تنشأ مشاكل في حياته الزوجية ، أو في عمله ، أو بين أصدقائه ، أو غير ذلك من احتكاكاته بالآخرين .

وهو في كل مرة يسأل نفسه السؤال الخاطئ « ما هو يا ترى الخطأ الذي ارتكبته ؟ » ، بدلاً من أن يسأل نفسه « ما هو الخطأ في العلاقة التي بيني وبينه ؟ » والسؤال الأول خاطئ لأنه عادة ما يمنع الإنسان من حل مشاكل تعامله مع الآخرين ، باعتبار أنه هو مصدر الخطأ المجهول . فالمشاكل غالباً ما يكون مصدرها كل من طرفي العلاقة ، وربما يكون مصدرها الطرف الآخر بشكل أساسي .

أداة تحكم :

وقد يستخدم الطفل زرع الإحساس بالذنب كأداة للتحكم في والديه . ويغلب أن يحدث هذا عندما يكون الوالدان معرضين للإحساس بالذنب ، نتيجة خلل عاطفي يميلان جذوره منذ طفولتهما . يساعد على هذا أن الأب والأم في الوقت الحاضر ، على عكس الأب والأم في الجيل الأسبق ، يكون لديهما الاستعداد للإحساس بالذنب تجاه أطفالهما عندما تنشأ أى مشكلة ثورة غضب لطفل في الثانية من عمره ، أو تصرف جنسى غير لائق من ابن في السابعة عشرة من عمره .. عادة ما يسأل الوالد نفسه هذه الأيام « ما هو الخطأ الذى ارتكبته ؟ .. كيف أسأت تربية ابني ؟ » أما الوالد ، منذ ثلاثين أو أربعين سنة ، فقد كان غالبًا ما يسأل نفسه « ماذا سأفعل لكى أعيد هذا الابن ثانية إلى سواء السبيل ؟ . كيف اقنعه بأن تصرفه هذا معيب ؟ .. » . وهذا التغيير في تفكير الآباء ، يكون له تأثيره الكبير على تكوين شخصية الطفل .

النجاة من المحاسبة :

وبصرف النظر عن سلامة هذا الموقف من الناحية النظرية ، فإن استعداد الآباء المعاصرين للإحساس بالذنب نحو مشاكل أبنائهم ، قد أشاع بين الأبناء ممارسة مناورة « التلطيح بالوحل » ما أسرع ما يتشمم الطفل قدرته على التحكم في والديه بإلقاء تبعة اخطائه عليها . ويتدرب على أعذار من قبيل « لقد فعلت ذلك لأنى كنت خائفًا منك » ، أو « انت الذى دفعتنى لفعل ذلك » .. تلك الأعذار التى غالبًا ما تشيع الشلل في إرادة الوالدين ، وتمنعها من اتخاذ الاجراء المناسب .

وهكذا يتحول انتباه الوالدين - قسرا - من التركيز على ذلك التصرف المعيب الذى ارتكبه الطفل ، إلى البحث في سلامة موقفها ، بوحى من

احساسها بالذنب ونتيجة لذلك ، ينجو الابن من محاسبتها على فعلته
وعندما يتكرر هذا الموقف في تربية الطفل ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم ،
يتأسس لديه بشكل ثابت في شخصيته استخدام الإحساس بالذنب كمنط في
تعامله مع الناس

أنت كذاب ! :

دعنا الآن نوضح طبيعة هذه الماورة من خلال المشهد التالى الذى يدور
بين الأب والأم وابنها سعيد الذى يبلغ الرابعة من عمره ، والذى أصبح
غالبًا ما يمارس مناورة « التلطيح بالوحل »

سعيد : (لأبيه) أنت كذاب ! .

الأم : سعيد ! لا يليق أن تقول مثل هذا لأبيك

سعيد : أنتما تقولان ذلك لبعضكما

الأم : إننا نادرًا ما نفعل ذلك .. لكنك أصبحت تردد مثل هذه

الأقوال طوال الوقت .

سعيد : إذا كنتم تقولان ذلك . لماذا لا أفعل مثلكما ؟ .

الأب : (للأم) لابد لنا أن نكون أكثر حرصًا فيما نقوله أمام الأولاد .

الأم : (للأب) فعلاً . لابد أن نكون نموذجًا طيبًا لهم

لاحظ في هذا المشهد ، كيف أنه سرعان ما غابت تمامًا المشكلة

الرئيسية ، وهى سب سعيد لأبيه ، عندما تمكن سعيد بمهارة من تحويل

الإحساس بالذنب إلى والديه ، ومن صرف انتباهها عن سلوكه السيئ

الأخير ، إلى سقطاتها العارضة القديمة . وفي أغلب الأمر ، سيواصل سعيد

ارتكاب نفس الخطأ في المستقبل ، ناجيًا من العقاب بنفس المناورة

الفاصوليا المؤلمة :

في المشهد التالي ، نرى كيف استطاع سعيد أن يقوم بمناورته ، على صورة أخرى

الأم : سعيد .. كل ما في طبقك من فاصوليا
سعيد : إنها تسبب لي ألمًا في بطني .. لماذا ترغميني على أكل أشياء تؤلم معدتي ؟.

الأم : الفاصوليا لا تؤلم المعدة
سعيد : لماذا إذا أذهب إلى دورة المياه كثيرًا إذا أكلتها بل إنني أتقيأها في بعض الأحيان

الأب : (للأم) أنواع الأكل على المائدة كثيرة يا عزيزتي ربما كان الولد لديه حساسية خاصة بالنسبة للفاصوليا
سعيد : (متصرًا) لا أفهم لماذا ترغميني على أكل الفاصوليا .
الأم : هل تحب أن تأخذ بعض السلطة الخضراء ؟.
سعيد : اعتقد ذلك ..

ليس عدلاً ! :

وتنوعات مناورة « التلطيح بالوحدل » تأخذ أشكالاً متنوعة ، أحدها يمضي هكذا :

الأم : سعيد .. كفاك تحطيمًا للأشياء .. آنية الزهور هي ثالث شيء تحطمه هذا الأسبوع .

سعيد : لم أقصد ذلك . لقد حدث رغماً عني .
الأم : على أي حال يجب أن تكون حذرًا .. وعقاباً لك ستحرم من مشاهدة التلفزيون هذا المساء ..

سعيد : هذا ظلم .. اتعاقبيني على شيء حدث رغماً عني ! .. أمن العدل أن

أعاقب على شيء لم أقصده؟! ..

الأب : (للأم) عزيزتي .. إنه مجرد طفل في الرابعة . من هم في عمره يكسرون الأشياء عادة .

سعيد : وأنا تعاقباني دائماً على أشياء صدرت رغماً عنى ..

الأم : (للأب) فعلاً ، ليس من المناسب أن نعاقبه على أشياء طبيعية لمن هم في عمره ..

سعيد : (منتصراً) هذا ليس عدلاً . لا يجوز أن أعاقب على شيء لم أقصده .

الأم : ربما تكون على حق

الأب : ولكن يجب أن تكون أكثر حرصاً يا سعيد .

سعيد : سأحاول يا أبي ..

الأم : لن نعاقبك هذه المرة .. لكن إذا كسرت شيئاً آخرًا ، فسأحرمك من مشاهدة التلفزيون لمدة يومين ..

ويعلم سعيد أن هذا مجرد تهديد فارغ .. لأنه تعود على ممارسة مناورة «التلطيح بالوحد» ، على مدى عامين ، بنجاح كبير .

نعم .. نتآمرا :

والآن ، سنطرح نفس المشهد ، بافتراض أن والدى سعيد قد أدركا المناورة التي يقوم بها .. سيمضى الحوار كما في المشهد السابق حتى يقول سعيد :

سعيد : هذا ظلم .. أتعاقبنى على شيء حدث رغماً عنى؟! .. أمن العدل أن أعاقب على شيء لم أقصده؟ .

الأم : اسمع يا سعيد .. هذه الطريقة التي تتبعها بإلقاء اللوم علينا كلما

ارتكبت خطأ ، لن تستمر بعد اليوم .

سعيد : (مبهوٲًا) هيه ؟ ! .

الأم : ألاحظ أنك تعودت على لومي ولوم والدك على ما تخطئ فيه .

لقد انتهى ذلك

سعيد : أنتما معًا تعاقبانى دائماً على أشياء لا أملك فيها شيئًا

الأم . لن يفيدك هذا بعد الآن . لن نسمح لك بأن تمضى فى إلقاء

الوحل علينا ، كلما ارتكبت خطأ .. حتى إذا حاولت ذلك ، فنن يجديك
نفعًا

سعيد : أنتما تظلمانى . أنتما تعاملاننى بقسوة . أنتما ..

الأم : (مقاطعة) ها أنت تعود ثانية إلى إلقاء الوحل أنا لست

كاملة ، ولا أحد يكون كاملاً .. بل ربما أكون مخطئة فى بعض الأحيان ،
لكن إلقاء تبعه كل خطأ ترتكبه على والدك لن يستمر بعد ذلك .. هذا لن

يفيدك ، ولن يفيدنا ..

سعيد : (وقد بدأ يبكى عاليًا) أبى

الأم : ولا فائدة من التجائلك إليه . لقد ناقشنا هذا الموضوع معًا ،

واتفقنا على ذلك .. لن نسمح لك بعد ذلك إلقاء اللوم علينا .

الأب : والآن .. اذهب إلى حجرتك لمدة نصف ساعة يا سعيد .. وفكر

جيدًا فيما قالته والدتك ..

سعيد : أنتما تتآمران على ..

الأم : نعم .. لكى نساعدك ..

وبهذا ، تصل أيام ممارسة سعيد للمناورة الضارة إلى نهايتها مما يعود

بالفائدة عليه وعلى والديه .

« توازن القوى »

فى الأسابيع والشهور الأولى من حياة الطفل ، لا يستطيع أن يميز بين «أنا» و «الآخرين» و «العالم من حولى» . إنه يعيش فى محيط متدفق من الأحاسيس المختلطة المتلاطمة ثم يبدأ - بالتدريج - فى اكتساب إدراك لنفسه كشخص منفصل عن بيئته . وأول شخصية تبرز له من وسط الضباب ، هى الأم ، أو الشخص الذى يحل محلها فى ذلك الوقت . وإدراك الطفل لأمه ، كمصدر راحة أو ألم ، يؤثر إلى حد ما فى علاقاته مع البشر الذين يتصل بهم فى حياته المقبلة .

وإذا كان الشائع أن عنصرى الغريزة والوراثة هما أكبر مؤثرين على كيان الطفل ، فالثابت أن أثر خبرات التعامل فى الطفولة يكون على درجة من القوة ، مما يتجاوز أثر الغريزة والوراثة .

وهناك بعض المناورات المقتضية التى تجرى بين الطفل ووالديه ، والتى لا تدوم لأكثر من عدة ساعات أو عدة أيام ، وهذه لا تكون ضارة ، وإن كانت تسبب قدرًا من التعاسة أثناء ممارستها . إلا أن ما نركز عليه هنا ، هو المناورات الضارة ، طويلة المدى ، التى تجرى بتصميم وإصرار وروح قتالية بين الأطراف المعنية ، وهى التى تصوغ شخصية الطفل على مدى حياته .

السيادة لمن ؟ :

في سن مبكرة ، يعلم الطفل أن لديه قدرًا معينًا من القوة وإمكانية السيطرة . وحتى وهو بعد في سنوات الطفولة المبكرة يشعر أن البكاء يجلب إليه الطعام ، أو يوفر له ما يحتاجه من ههددة ورت و تمسيد ، وأن الرفض والصراخ يرغمان الأم على تلبية حاجته . وهكذا ينمو - ببطء - نوع من توازن القوى بين الأم وطفلها ، ويتواصل خلال مرحلتى الطفولة والمراهقة المفروض في توازن القوى هذا ، ألا تكون السيادة المطلقة للأم أو للطفل . فالأم التي تهرب طفلها بالصباح أو العبوس عاليًا ما تحظى بطفل رعديد أو متمرّد . والطفل المنطلق العفوى الذي لا يشعر بأى قيد ، ويحظى بالسيادة الكاملة في توازن القوى هذا ، يفشل في التعامل مع المحاظير العديدة التي يضعها المجتمع للناس .

الأم تكون قادرة على إرضاء الطفل وتغذيته ، بإطعامه في الوقت المناسب ، وتكون قادرة على عدم القيام بذلك . وهذا يعكس بعد سنوات قليلة على الطفل ، الذي إمّا أن يحافظ على أثار البيت ، أو يعتمد إلى تحطيمه وتخريبه . المهم أن ذلك يحدث في أغلب الأحيان وليس لدى الطفل أو الوالدين ادراك واضح بسبب هذه التصرفات .

من نماذج المناورات الضارة التي تعلمها الأم لطفلها مناورة «توازن القوى» .

أين الخطأ ؟ :

بدأ الطفل هشام يمارس هذه المناورة قبل أن يبلغ الثالثة من عمره ، فقد شعر أن الصباح الموقوت من جانبه ، يربك أمه ويحيرها ، ويضعه في مركز قوة . ولأن الأم لا تدرك بشكل واع دخولها في هذه المناورة ، فعند كل ثورة

عذب بيديها هشام ، تطل تفكر مهمومة « ما هو الخطأ الذى ارتكبته يا ترى فى حق هذا الطفل؟ » ..

هذا السؤال - فى حد ذاته - خطأ ترنكبه الأم . وكان الأجدر بها أن تسأل نفسها « ما هو الخطأ فى العلاقة التى بينى وبين هذا الطفل؟ » .
التساؤل الأول يستهدف شخص الأم ويركز عليها ، رغم أن الإجابة عليه لا تكون فى يدها وحدها . والتساؤل الثانى ، ينصب على الهدف السليم ، أى العلاقة بين الأم وهشام ، حيث تكمن المشكلة .

إذا ما واصلت الأم ترديد السؤال الأول ، موجهة اللوم إلى نفسها ، شاعرة كل مرة بالفشل ، فسيقود هذا إلى استسلامها . وعندما يبلغ هشام الخامسة من عمره ، يكون قد اكتسب قدرًا كبيرًا من السيطرة على أمه ، وممارسة قوته عليها . وتعتمد مناورته المتكررة مع أمه على حركتين أساسيتين :
١ - سلوك عدوانى ، لفظى أو مادى ، عندما يسعى للحصول على شىء
٢ - التوقف عن هذا السلوك عندما يحصل على بغته

تهديد مع وقف التنفيذ :

عندما يصل هشام إلى سن الدراسة ، يتوقف عن الصراخ وعن تعظيم أثاث البيت ، وتتحول مناورته إلى مناورة كلامية خالصة .. وهى تجرى على مثل هذا النمط التالى :

الأم : هشام .. كفاك هُؤًا فى الحديقة ادخل واغسل وجهك ويديك .

هشام : إننى مازلت أريد أن أواصل لعب الكرة .

الأم : سيصل والدك بعد قليل . أرجوك ادخل

هشام : ليس الآن .. لم أنته من لعبى بعد .

الأم : (بصوت مرتفع) هيا يا هشام .
هشام : لماذا تصيحين ؟
الأم : أنا لا أصيح . أنا فقط أطلب منك أن تدخل
هشام . ها أنتى تصيحين مرة ثانية
الأم . الساعة تقترب من الثانية يا هشام ادخل
هشام : أنت دائماً تفسدين متعتى بما أفعله
الأم : (بتهديد ضعيف ، تعرف هى وهشام مقدماً أنه لن يوصع موضع
التفيزد) ادخل حالاً وإلا سأتى وادخلك قسراً ..
هشام : (مواجهاً التهديد الزائف) لن أدخل لارال هناك بعض الوقت
لكى ألعب بالكرة ..
الأم : أرجوك يا هشام استجب لكلامى
هشام : سأنتهى من اللعب بعد ربع ساعة
الأم : (وهى تعود منهزمة إلى داخل البيت) سيكون والدك قد حضر

ضوابط المجتمع :

هذه المناورة تكشف عن تشوه فى علاقة الأم بابنها .
فالأم ، بالإضافة إلى الحب والتفهم الذى تبديه نحو طفلها ، يجب أن
تكون قادرة على أن تضع له حدوداً معقولة ، وتصبر على التزامه بها . وبهذا
يشب الطفل قادراً على التكيف بسهولة مع الحدود والضوابط العديدة التى
يضعها له المجتمع .

فالمجتمع يطلب من الشخص ، مثلاً ، أن يقف بسيارته عندما تصبح
إشارة المرور حمراء ، وأن يدفع الضرائب التى تستحق عليه فى مواعيدها
المعينة ، وأن يتواجد فى عمله فى أوقات محددة . والشخص لن يتمكن من

الوفاء بذلك وبغيره ، إذا لم يتم داخل نفسه القدرة على فعل ذلك في علاقات التعامل مع الآخرين في سنوات طفولته ومراهقته .. في المرحلة التي تتشكل فيها شخصيته .

نحن نحبك .. ولكن :

دعنا الآن ننصوّر الطريقة المثلى التي تواجه بها الأم لعبة توازن القوى ، عندما يمارسها معها الابن

الأم : هشام . كفاك ههواً في الحديقة . ادخل واغسل وجهك ويديك .

هشام : إنني ما زلت أريد أن أواصل لعب الكرة .. (وحتى يقول) لماذا تصيحين ؟

(عند هذه النقطة ، يجب أن تسأل الأم نفسها السؤال الصحيح «ما الخطأ في العلاقة التي بيني وبين هشام؟» . ومن ثم تستطيع أن تصل إلى الإجابة الصحيحة «إنه يحاول أن يستعرض قوته علىّ ، وأنا بذلك أتعرض لإكراه تحت التهديد» .

الأم : اسمع يا هشام ، لقد حان وقت الغداء ، عليك أن تدخل لتغتسل قبل أن يصل والدك .. هيا ادخل . الآن

هشام : أنت دائماً تفسدين متعتي بما أفعله ..

الأم : (جادة هذه المرة) ادخل الآن ، وإلا ادخلتك قسراً ..

هشام : (متحدياً) لن أدخل . ليس الآن . أنا سأستمر في ...

(تجذبه الأم فوراً من ذراعه ، وتدخل به ، ثم تغسل له وجهه ويديه ،

فيبدأ هشام في البكاء والصراخ ..)

الأم : اذهب إلى حجرتك حتى تنتهي من هذا البكاء والصراخ ..

واغلق الباب خلفك جيداً ، حتى لا تزعج أحداً بصياحك هذا نحن نحبك يا هشام ، لكننا لا نفيدك إذا ما تركناك تفعل ما تريد . وتبكي وتصرخ عندما تفشل في ذلك .

هشام : انتظري حتى يأتي أبي ..

الأم : لن يفيدك هذا أيضاً لقد تحدثنا والدك وأنا في هذا الشأن ليلة البارحة ، ولن يستجيب أى منا لصياحك هذا ..

هشام : (حائراً لإفساد مناورته) - ماذا تقولين؟! .

الأم : (بجزم) لقد سمعت ما قلته . ادخل إلى حجرتك حتى استدعيك لتناول الغداء ..

«الابستراز» ..

بعد سنتين من مولد الطفل تنتهى فترة اعتماده الجسدى الكامل على أمه ،
وبهذا تتزايد أهمية دور الأب وعندما يصل الطفل إلى الثالثة أو الرابعة من
عمره ، يصبح دور الأب مساوياً لدور الأم فى التنمية العاطفية التى يحتاجها
الطفل .

فى السنة الأولى ، أو السنتين الأولتين ، يمارس الأب تأثيره على الطفل
بشكل غير مباشر ، من خلال الأم . فالأب إذا ما وفر لأم حياة زوجية دافئة
آمنة ، انعكس هذا على علاقتها بالطفل . أما بعد أول سنتين من حياة
الطفل ، فتصبح العلاقة المباشرة للأب بطفله عاملاً حاسماً فى تكوين أنماط
تعامل الطفل مع الآخرين ، وقد تدفعه إلى ممارسة نمط من الألعاب الضارة
بالذات .

الطفل الذى يواجه بأب بارد العاطفة ، رافض للتعامل ، قد لا يكون
فى مقدوره مواجهة هذا الوضع المؤلم ، فيهرب إلى عالم أحلام اليقظة
الزائفة ، التى تساعد برغم ذلك على تحقيق قدر من الراحة والتعويض ،
فيتصور والده شخصاً طيباً قوياً يجبه كل الحب ، لكن لا يجد الوقت الكافى
الذى يمضيه معه . إذا بقيت عادة الهرب إلى أحلام اليقظة مع الطفل فى
مراحل تالية ، ولم يستطع أن يلجمها ويوجهها وجهة نافعة ، فإن ذلك يعقد
علاقاته بالآخرين .

ومن الألعاب الضارة التي يفرسها الأب . لاشعورياً . في حياة الابن .
لعبة «الابتزاز»

الواجب أهم من الحب

والمد إلهام يعانى من حاجة ماسة إلى الإحساس بحب أنائه له وهم إذا لم
يؤكدوا له حبهم دائماً بالقول والفعل . يشعر بأنه قد فقدهم . وحطم
كباينهم

لقد نشأ الأب نفسه في أسرة تقيم اعتباراً للواجب . أكثر ما تقيم
للحب ، وهكذا خرج من سنوات تكويبه الأولى ساعراً بحاجة ماسة إلى أن
يحب ، وأن يكون محبوباً

ورغم أن الحب يعتبر بالفعل شرطاً أساسياً في التشبثة السليمة للطفل ،
فلا يجب أن تؤدي حاجة الأب إلى الحب ، إلى أضعاف موقفه في لعبة
«الابتزاز» على الأب أن يتحمل ، دون اهتزاز أو اضطراب . الشحرات
المحدودة ، ومواقف سوء التفاهم التي لا يمكن تفاديها ، في المشاكل اليومية
التي يصادفها كل الآباء مع أنائهم

عندما كانت إلهام في الثالثة من عمرها ، شعرت بعدم قدرة والدها على
تحمل البرود أو الفتور ، ولو لفترة قصيرة ، في علاقتها . ورغم أنها - بحكم
عمرها - لم تكن تستطيع أن تضع هذا الشعور أو تصوغه في كلمات ، إلا أنها
استطاعت اكتشاف أن تجهمها ورسم معالم الحزن على وجهها ، كفيلان بدفعه
إلى الخضوع لرعباتها . وعندما وصلت إلى الرابعة من عمرها ، كانت قد
تعلمت بعض المناورات الكلامية التي زادت من فعالية ممارستها للعبة الابتزاز
وعن طريق المحاولة والخطأ والتجريب ، وجدت أن «أنت لا تحبني .» و
«أنا أكرهك !» ، و «لو كنت تحبني ، ما كنت فعلت هذا .» ، وجدت

أن هذا يدفعه إلى تلبية مطالبا وكالت في كل مرة تنجح فيها ، تكامته
بإتسامة عريضة ، وإذا ما ألحّ وألحف تمنحه قبلة .

مسار اللعبة الضارة :

وفيما يلي نرى كيف يعرى حوار نمطى بين إلهام وأبيها :

إلهام : (مشرة إلى دمية كبيرة في محل لعب الأطفال) أريد هذه الدمية .
الأب : إن ثمنها ٢٥ جنيهًا يا حبيبتى . هذا كثير جدًا ، وأنت لديك في
البيت الكثير من الدمى .

إلهام : سميحة شكرى لديها دمية مثل هذه .. أريد أنا واحدة أيضًا .

الأب : لكن يا حبيبتى أنت لديك العديد من الدمى ، وهناك حد لما يجب
إنفاقه على مثل هذه الأشياء

إلهام : (تبدأ ممارسة لعبة الابتزاز) والد سميحة يشتري لها كل ما تريده . إنه
يجبها .

الأب : يا إلهام .. لا ترددى مثل هذا الكلام ، ولا تتجهى هكذا .. لا
يصح أن تصبى تعيسة لمثل هذه الأشياء البسيطة .

إلهام : إنها ليست شيئًا بسيطًا ! .

الأب : يا عزيزتى ، لا أحب أن أراك هكذا .. انصتى إلىّ .. سأشترى لك
شيئًا آخرًا ..

إلهام : انت لا تحبى ! .

الأب : إلهام ! .. أنا أحبك . كل ما فى الأمر أن هذه الدمية غالية جدًا ،
وأنا ..

إلهام : (مقاطعة) أنت لا تهتم إذا كنت سعيدة أم تعيسة .. أنت لا تهتم بى
أبدًا ..

الأب : (مستسلمًا) مهلاً . مهلاً يا حبيبتى ، سأشترىها لك .. هيا

ابتنسى ، ولا تظهرى كل هذا الحزن والتجهّم والدك يحبك .. إنه يحبك
جدًا .

إلهام : (منتصرة) أريد دميّ الآن .

الأب : إن البائعة تقوم بلفّها والآن والدك يريد ابتسامة كبيرة وقبله
حارّة ..

إلهام : (مبتسمة) موافقة .

عندما يتواصل استخدام لعبة «الابتزاز» هذه بشكل متكرر ، ويصبح
فيها الطفل قادرًا على التلاعب بأبيه ، يأتي وقت تقضى فيه هذه اللعبة على
الحب الذى يبحث عنه الأب . وغالبًا ما تمارس هذه اللعبة عدة مرات فى
اليوم ، فى الأمر المهم والتافه ، ويصبح الحب شيئًا يباع ويشترى ، سلعة
وليس رابطة عاطفية .

ولعبة «الابتزاز» تحوّب شخصية الطفل والأب معًا . تجعل الطفل يفشل
فى تنمية قدرته على تقديم الحب وتلقيه ، وتجعله لا يتعلم سوى المساومة
بالحب .. لا يتصور أن الحب غاية فى حد ذاته . كما أن وجه السخرية فى لعبة
«الابتزاز» هو أن السعى المستميت من جانب الوالد فى سبيل الوصول إلى
حب ابنته ، يخلق حالة من استحالة ممارسة الحب . أضف إلى ذلك أن الأب
الذى يفتقد الإحساس بالحب الحقيقى من جانب ابنته ، غالبًا ما يتكون لديه
إحساس باليأس والعدوانية تجاه الابنة ، الأمر الذى يثير لديه إحساس دائم
بالذنب .. وهكذا ، ما أن يصل الطفل إلى منتصف سن المراهقة ، حتى
تنهار العلاقة السوية بينه وبين الأب .

عندما تتطور اللعبة الضارة .

دعنا نرى الآن ، كيف يمكن لإلهام أن تمارس لعبة «الابتزاز» عندما
تصل إلى الخامسة عشرة من عمرها

الأب : إلهام يا حبيبتي ، لقد أخذت السيارة أمس مرة ثانية وأنت لم
تحصلي على رخصته قيادة بعد ، مما يتسبب لك في مشاكل
إلهام : أنت لا تفعل سوى أن تتقدي . أليس لديك أبدًا شيئًا طيبًا
تقول لي ؟.

الأب . يا عزيزتي ، لا تتكلمي هكذا أنا لا أريد سوى ما فيه
مصالحتك .. لقد عدت مساء قبلك ، وبقيت قلقًا عليك لا أعرف ماذا
حدث لك ، ومع من تركيبين السيارة في ذلك الوقت المتأخر
إلهام . أنت لا تثق بي . أنت لا تحبني . أنت لا تحب أي شيء أفعله
الأب . إلهام إلهام .. لا تقولي هذا ، لقد حرصنا دائمًا على أن نفعل
كل ما يجعلك سعيدة

إلهام : أنت نكروهي !
الأب : (متأثرًا) أنا آسف إذا كنت قد قلت شيئًا بدا لك قاسيًا . أريد
فقط أن تكوني سعيدة .

إلهام . أنا أستطيع أن أحمي نفسي لقد وصلت إلى سن يجعلني قادرة
على قيادة السيارة ، ولم يحدث قط أن أوقفني شرطي من المرور
الأب : (متراجعًا) وهو كذلك يا عزيزتي .. فقط كوني حريصة ،
وحاولي أن تختاري صحبة عاقلة .

إلهام : سأفعل .. ولكن أرجو أن تتوقف عن ترديد هذه الأقوال .
الأب : والآه .. أرجو أن أرى أسارك منبسطة .. أين الابتسامة
العريضة ؟ آه ، هذه هي ابنتي الحبيبة

الطفل الذى يتعود ممارسة لعبة «الابتزاز» مع والديه ، ينصب تركيزه على الحيل والمناورات التى يقوم بها لابتزاز أكبر قدر من المنافع ، أكثر ما ينصب على علاقته بالشخص الذى يحقق له هذه المنافع ، وإن كان عادة لا يدرك ذلك بشكل شعورى . والطفل الذى يتعود ممارسة اللعبة ، يحملها معه خلال مراحل حياته العاطفية والزوجية والعملية القادمة .

قطع مسار اللعبة :

دعنا الآن نستعرض ما كان يجب على والد إلهام أن يفعله ، إذا ما أراد أن يوقف ممارسة لعبة «الابتزاز» ذلك إذا كان الوالد قادراً على أن يفهم بشكل أفضل حاجاته ، وحاجات ابنته

إلهام : أريد هذه الدمية ، أرجو أن تشتريها لى .

الأب : إنها دمية جميلة ، لكن لديك ثمانى دمتى مثلها ، بالإضافة إلى أن ثمنها ٢٥ جنيهًا .. وهذا كثير

إلهام : سميحة شكرى لديها واحدة إن والدها يحبها .

الأب : أنا سعيد بسماع ذلك . وأنا كذلك أحبك جداً .

إلهام : لو كنت تحبني فعلاً ، لاشرت لى هذه الدمية .

الأب : أنا أحبك فعلاً ، لكن المسألة غير ما تقولين . الأب الذى يجب

ابنته ، لا يحتاج إلى أن يظهر لها ذلك الحب ، بشراء كل ما تطلبه .

إلهام : (متجهمه) أنت لا تهتم إذا ما كنت سعيدة أم تعيسة .

الأب : بل أهتم ، لكنى لأفيدك عندما اسلم برغباتك ، كلما ظهر

التجهّم على وجهك .

إلهام : أنت تكرهنى .. أنت لا تحبني ..

الأب : يا إلهام يا حبيبتي .. لن تجديك هذه الأقوال بعد اليوم .

إلهام : (مباغثة لقطع اللعبة) ماذا ؟ ..

الأب : أقول إن التجاؤك إلى قول «أنت لا تحبني» ، لن يفيدك في الحصول على أى شىء تريدينه .. أنا أحبك ، وعليك أن تتعلمى أن تحبى الآخرين ، دون أن تعلقى هذا على مساومات ومنافع ..
إلهام : (ثائرة) أنت أب فظيع . أنا أكرهك .
الأب : كل ما فى الأمر أنك غاضبة لعدم حصولك على الدمية .
الهام : (متجهمة) أرجوك .. أريدك أن تشتريها لى ..
الأب : لا تتجهمى .. هذا لن يجديك بعد الآن . هذا الأسلوب الذى تلجئين إليه ضار بك ولى ..

* * *

عندما جرى هذا الحوار كانت إلهام فى الرابعة من عمرها .. وإذا استمر الوالد فى إقامة التعامل على هذا الأساس ، ستكون إلهام قد تخلصت من ممارسة لعبة «الابتزاز» عندما تصل إلى الخامسة من عمرها .

« الإبن الضال .. »

بعض الألعاب الضارة يتعلمها الطفل من أمه ، ويتعلم البعض الآخر من أبيه ، وهناك مجموعة من هذه الألعاب يتقاسم أفراد العائلة مسئوليتها . وقد دأب علماء النفس والمجتمع ، في الماضي ، على القول بأن الطفل يغلب أن يواجه أنماطاً خاصة من المشاكل العاطفية ، بسبب ترتيبه بين أبناء الأسرة . فحددوا بعض أنواع المشاكل التي رأوا أنها أميل أن تشيع عند الطفل الأول ، أو الأوسط ، أو الوحيد ، أو الأصغر إلا أن معظم علماء النفس المتخصصين في شؤون الطفل ، يؤمنون حالياً بأن ذلك الاستخلاص لا يستند إلى رصيد واقعي . فواقف الآباء والأمهات تختلف اختلافاً كبيراً ، مما لا يسمح بإطلاق أحكام عامة ، عن المشاكل التي سيواجهها الطفل نتيجة لعمره بالنسبة لغيره من الإخوة والأخوات .

والدليل على ذلك أن الطفل الأول يمكن أن يكون التخطيط لهجيته قد جرى مسبقاً بواسطة الوالدين ، فانتظراه بشغف وشوق ، ومن الممكن أيضاً أن يكون مجيئه مخالفاً لرغبة والديه ، نتيجة لأنه يشكل عبئاً اقتصادياً على الأم العاملة التي مازال زوجها يواصل دراسته الجامعية . وأيضاً ، قد يكون الطفل الأخير مرغوباً فيه أو مرفوضاً . أضف إلى هذا أن جنس المولود ، ذكراً أم أنثى ، يؤثر أحياناً على موقف الوالدين . مثال ذلك ، إذا كان الطفل الثالث

بتأ في أعقاب ولدين ، فالأرجح أن تحظى هذه البنت بترحيب الوالدين وتشته الأسرة إلى حد ما البنية العامة للمجتمع يحتل الوالدان موقع القيادة والسلطة في سنوات التكون الأولى للأطفال ، بينما يأخذ هؤلاء موقع الرعاية المتساوية الحقوق والواجبات . وموقف الشخص من السلطة الاجتماعية يتأثر تأثيراً كبيراً بنوع العلاقة التي كانت بينه وبين والديه وإخوته الطفل الذي ينشأ بين أبوين عطفين ، يضعان حدوداً معقولة لسلوكه ، يكون أميل إلى التكيف مع السلطة الاجتماعية . بعكس الطفل الذي ينشأ وسط صراعات حادة بين والدين عدوانيين أو مهملين والطفل الذي يتعلم أن يوقع في سنواته الأولى بين والديه وإخوته لكي يحصل على ما يريد ، غالباً ما يحمل معه هذا النمط من التعامل في علاقاته بعد البلوغ ، ليطبقه على الرؤساء وزملاء العمل ..

وبشكل عام ، الألعاب الضارة التي تتعلمها في البيت ، هي نفسها التي تلعبها في الحياة .

الطيب . والمشكل :

في معظم العائلات يوجد قدر محدود من التنافس بين الإخوة والأخوات وعندما يحرص الوالدان على معاملة الأبناء بدرجة متساوية من الحب والعطف ، يبقى هذا التنافس في أضيق نطاق أما عندما يظهر الوالدان ميلاً إلى أحد الأبناء ، فإن هذا يقود إلى أن يصبح التنافس حاداً وقاسياً الطفل صاحب الامتيازات سرعان ما يستغل هذا في التلاعب بالديه كأداة ضد الأخوة الأقل حظاً . ومن هنا تنطلق الدائرة المفرغة ، والتي يحظى فيها الطفل المميز ، يوماً بعد يوم ، بمزيد من التقدير ، في الوقت الذي يتناقص فيه قدر الطفل الأقل تمييزاً . ويتحولان على لسان الجميع إلى «الطفل الطيب» و «الطفل المشكل» .

دعنا نستعرض الظروف المنطية للعبة «الابن الضال» :

حمل خارج الحطلة :

كانت سامية طفلة مرغوبة ، فنشأت في طقس من الحب والحنان وكانت خطلة والديها أن يتظفرا عدة سنوات قبل أن يجبا الطفل الثاني . لكنها شعرا بالاستياء عندما اكتشفت والدة سامية أنها حامل عد حسنة شهر . لقد أرغدهما المولود الثاني على الانتقال من شتبهما الصغيره إلى بيت أكبر في الضواحي ، قبل أن يكون لديها المال الكافي لشراء وتأسيس البيت الذي كانا يطمعان فيه . وقد تسبب ذلك الحمل في توتر حياتها الزوجية . وكثرت بينهما المشاحات . لكنها تعشما في أن يعوضها عن هذه الحالة التي وصلا إليها ، أن يجيء المولود ذكراً ، بحيث يكتمل تكوين الأسرة وعندما جاء المولود بنتاً كان واضحاً رفض الوالدين لها . حتى أنها لم يختارا لها اسماً إلا بعد أن ذكرتها الممرضة بذلك . قبل مغادرة الأم للمستشفى وهكذا بدأت راوية حياتها

ونتيجة لنفاذ صبر الأم في إرضاع راوية ورعاية شتونها ، تزايد حدة طبع الوالدين كانت راوية تبكي كثيراً ، وتستيقظ صارخة عدة مرات خلال الليل ، متعبة في تناول طعامها ، قلقة لا تستقر على حال وانفق الوالدا على أنها طفلة صعبة . وراحا يقارنان أحوالها بأحوال سامية . التي أصبح ينظر إليها دائماً باعتبارها الطفلة اللطيفة الطيبة

في الوقت الذي بلغت فيه سامية الرابعة ، وراوية الثالثة . بدأت ممارسة لعبة «الابن الضال» بحماس .

لقد شعرت سامية بوضعها المتفوق . وبضعف موقف راوية . فتعلمت كيف تتلاعب بموقف الوالدين ، لتحقيق مكاسبها الخاصة ومن كثرة ممارسة

هذه اللعبة ، تضاعفت من حدة طبع الوالدين تجاه راوية ، ومن كثافة
مشاعرهما الطيبة نحوها

الحلقة المفرغة :

عندما بلغت الطفلتان السابعة والسادسة من عمرهما ، كانت الحلقة
المفرغة قد أحكمت ، لتسيطر على كل مظهر من مظاهر العلاقات بين الطفلتين
والوالدين . وأصبح طبيعياً أن يتكرر مثل الحوار التالى :

الأم : لقد تحولت هذه الحجرة إلى فوضى .. هيا يا بنات .. نظفا الحجرة
واستعدا للغداء .

سامية : لقد نهت على راوية ألا تبعث اللعب فى أنحاء الحجرة ، وألا
تلقى بقصاصات الورق على الأرض ، لكنها لم تستجب لى .

راوية : لقد كنت تفعلين نفس الذى أفعله .

سامية : هذا غير صحيح .. أنا لم أفعل ذلك

الأم : راوية ا . توقفي عن إلقاء اللوم على أختك فى كل شىء .. لقد
كانت دائماً منظمة مرتبة ، بينما تبعثين أنت الفوضى فى كل مكان . هيا ،
رتبى الحجرة حتى تنتهى هذه الفوضى .

راوية : سامية هى التى وضعت هذه اللعب على .. .

الأم : (مقاطعة) أنت تكذبين .. تعلمين جيداً أنك تكذبين ..
وبالإضافة إلى أخطائك الأخرى أنت أيضاً تكذبين وتكذبين وتكذبين .

راوية : أنا لم أكذب الآن ا .

الأم : لماذا لا تكونين مثل أختك ؟ كيف يمكن لأختين أن تكونا
مختلفتين هكذا ؟ . واسمعى يا راوية ، لا أريد هذا التجهم وتعقيد الجبين .

راوية : أنا لم أتجهم ..

الأم : بل تجهمت . ها أنت تكذبين تاية .
سامية : كفى يا راوية لا تصايقي أمنا أكثر من هذا
راوية : أنا لم أضايقها
الأم . هيا . نظفا هذه الحجرة وربها فوراً
سامية . أنا دائماً أقوم بنصبي من العمل (تقول هذا بينما هي ترفع لعبتين
أو ثلاث من الأرض وتضعهما في الدولاب)
راوية : (تراقبها) هذا ليس كل نصيبك من العمل أنت لم ترفعي
سوى

الأم : كفى كلاماً .. سامية تفعل دائماً ما يطلب منها المشكلة دائماً
معك أنت ..
سامية : لقد فمت بنصبي من العمل ، وسأذهب لكى استعد للغذاء
الأم : (تاركة الحجرة) سأعود بعد خمس دقائق يا راوية . أريد أن
أرى كل شيء فى مكانه .

حتى الأقارب والمدرسة :

لقد انعكس موقف الوالدين ، ومهارة سامية فى ممارسة لعبتها ، على رأى
المحيطين بالأسرة فى راوية . الجدان والأعمام والأخوال ، كانت سامية بالنسبة
لهم البنت اللطيفة ، وراوية المشاكسة العنيدة . وساعد على ذلك ما تبديه
سامية من سعادة وسرور ، وما تلتزمه راوية من تجهم وانقباض
وانتقل توزيع الأدوار هذا إلى المدرسة أيضاً ، فأصبحت سامية قررة عين
المدرسة ، وراوية هى التلميذة التى لا تستجيب أو تطيع وتعودت راوية أن
تسمع المدرسات يقلن لها «لماذا لا تبدين الانتراخ والطاعة كما تفعل أختك
الكبيرة ؟»

وعندما تصل الأختان إلى سن المراهقة ، تصبح سامية فتاة أنيقة ، مستقلة بذاتها ، تحرز تنوعاً واسعاً من أساليب ومهارات التلاعب بالناس ، وتوجيههم لمنفعتها . أما راوية ، فتصبح فتاة متمردة ، يسودها شعور بالنقص ، تشعر بغربة نحو أسرتها ، وطريقة الأسرة و الحياة ، مما يشيع التعاسة بين أفراد الأسرة .

البصيرة الأعمق :

دعنا الآن نتصور كيف كان من الممكن لوالدة سامية وراوية أن تعالج الموقف السابق ، لو أنها كانت تتمتع ببصيرة أعمق بالنسبة لمشاعرها ، وللعبة الضارة التي تقوم بها سامية ..

الأم : لقد تحولت هذه الحجرة إلى فوضى .. هيا يا بنات نظفنا الحجرة واستعدا للغذاء ..

سامية : لقد نهبت على راوية ألا تبغثر اللعب في أنحاء الحجرة ، وألا تلتقى ...

الأم : (مقاطعة) سامية ، أنا لا أحب هذا الذى تقومين به دائماً إنه يضرك وبداوية وبالعائلة كلها.. لا بد أن تفهمي جيداً أنك لست المستولة عن تحديد ما تفعله ولا تفعله راوية . هذه مسئوليتي أنا ..

سامية : أفهم ذلك يا أمى ، ولكنها هى التى نثرت قصاصات الورق فى أنحاء المكان ، وكذلك قامت بـ ...

راوية : هذا غير صحيح ..

الأم : جميل .. ستقومان معاً بترتيب وتنظيف الحجرة .

سامية : لكن راوية هى التى تبعث الفوضى دائماً ..

الأم : إذا كانت كذلك فعلاً ، فرجعه إلى أنك تداومين ترديده على

مسامعها

راوية : فعلا . وبالناسبة ، سامية ليست هي ذلك الملاك الذى يتصوره الجميع .

سامية : ها هي ثانية تهامنى .

الأم : هذا يكتفى لقد جرى بينى وبين والدكما حديثاً مطولاً عنكما منذ الآن فصاعداً ، سنحرص على أن ينال كل منكما حقه العادل ..

سامية : أنا لا آخذ حقى ..

راوية : (مستكرة) ماذا؟!

الأم : أعنى أننا تعجلنا فى الحكم عليكما ، باعتبار أن سامية هي الطيبة وراوية هي السيئة ، كلما لاحت مشكلة .. ليست أى منكما ملائكاً ، ولا أيكما ابناً ضالاً . هيا ، تحركا معاً لتنظيف وترتيب الحجرة ، ولا تغادر أى منكما الحجرة قبل أن يتم هذا .

سامية : (مستميتة) لكن راوية هي دائماً التى .

الأم : (مقاطعة) سأعود بعد خمس دقائق ، وإذا لم أجد الحجرة مرتبة ونظيفة ، سأحرمكما من مشاهدة التلفزيون اليوم . أنتم تعلمان أن اليوم هو الموعد الأسبوعى لبرنامج أفلام الصور المتحركة .

سامية : هيا بنا نلظف الحجرة ..

راوية : هيا ..

الفصل الثاني عشر
موقفنا من الألعاب

موقفنا من الألعاب

بعد هذا الاستعراض للألعاب الحفية التي تسود حياتنا ، يبرز تساؤل هام . ما هو موقفنا من الألعاب ؟ وكيف تتواصل حياتنا ، وقد اعتمدت بشكل أقل على هذه المناورات الضارة ، التي تبدد طاقتنا ، وتوقعنا في محاذير لم يكن من الحتمى أن تقع فيها
في الفصل الختامي من هذا الكتاب ، سنتحدث عن الآتى :

- معنى الألعاب .
- طبيعة الألعاب .
- ممارسو الألعاب : العابس ، والمهزوز .
- الاستقلال الذاتى للفرد ، كبديل للممارسة الألعاب .

معنى الألعاب

يمكن أن ننظر إلى معنى الألعاب ، على مستويات مختلفة ، على المستوى التاريخي والمستوى الثقافي ، والمستوى الاجتماعي ، والمستوى الشخصي .

١ - المعنى التاريخي :

تنتقل الألعاب من جيل إلى جيل ، واللعبة المفضلة عند شخص ما ، يمكننا أن نتبعها عند آباءه وأجداده ، ثم عند أولاده وما لم يحدث اعتراض ناجح وإيقاف سليم لمجرى اللعبة ، فمن الممكن أن تصل إلى الأحفاد . لهذا ، ينسحب تحليل الألعاب على مسافات تاريخية ممتدة ، قد تصل إلى مائة سنة مضت ، وخمسين سنة قادمة . وقطع هذه السلسلة ، التي تكون قد امتدت على مدى خمسة أجيال ، تكون له نتائج الإيجابية . والألعاب في انتقالها من جيل إلى جيل ، تتحور ، وفي بعض الأحيان يتغير مسارها وشكلها تمامًا ، لكن الثابت أن هناك ميلًا شديدًا إلى توارث اللعبة الواحدة أو تنويعاتها ، في العائلة الواحدة .

٢ - المعنى الثقافي :

تنشئة الأطفال ، ينظر إليها علماء تحليل التعاملات باعتبارها ، تعلمهم الألعاب التي يمكنهم ممارستها . وباختلاف الثقافة والطبقة الاجتماعية تختلف الألعاب - كذلك يكون لكل عائلة تفضيلها لنوع مختلف من الألعاب .

٣- المعنى الاجتماعي :

تنحصر الألعاب بين حدين ، هما التسلية والتآلف التسلية ، مآلها السأم إذا ما تكررت ، وهو ما نلمسه في بعض الحفلات والمناسبات الروتينية .

والتآلف ، يتطلب حذرًا شديدًا ، ويتعرض للتحامل الدائم من مواقف (الوالد) و (البالغ) و (الطفل) داخل الشخص كما أن المجتمع يضيق بالملاطفات الأليفة إلا إذا كانت في خلوة . كما أن (الطفل) في الشخص يخشاها ، لما تتضمنه من كشف للأغطية ، ورفع للستائر .

لذا ، فأغلب الناس يلجأون إلى الألعاب ، كلما توفرت مقوماتها ، هربًا من ملل التسلية المتكررة المعادة ، وتفاديًا لمخاطر التآلف . وعلى هذا ، تشغل الألعاب جانبًا من أهم أوقات العملية الاجتماعية .

٤- المعنى الشخصي :

عند انتقاء الناس لأصدقائهم ، وعند ارتباطهم أو تعاطفهم مع الآخرين ، يعمدون إلى اختيار الذين يلعبون نفس الألعاب ، أو الألعاب المكلمة لها . وعلى هذا ، فالناس - في دوائر اجتماعية معينة - يبدو سلوكهم غريبًا بشدة ، على أفراد دائرة اجتماعية أخرى .

وإلى جانب هذا ، فأى عضو في دائرة اجتماعية ، يعمد إلى تغيير ألعابه التي يمارسها ، بحيث تختلف عن الألعاب المتداولة في دائرته الاجتماعية ، يتعرض للإبعاد والنبد . وإن كان في إمكانه أن يلقي ترحيبًا في بعض الدوائر الاجتماعية التي تمارس ألعابه الجديدة .

طبيعة الألعاب

قلنا من قبل ، إن الألعاب التي تزرع خلال الطفولة والمراهقة - لا تنتهي عادة بمجرد دخول الفرد إلى طور البلوغ قد تتغير مجموعة الأشخاص التي تمارس معه الأدوار الأخرى في اللعبة ، لكن اللعبة نفسها تظل على حاتها اللعبة التي توفر للطفل السيطرة على والديه وعلى الآخرين ، بالاعتماد على السلوك العدواني - وإظهار مشاعر الغضب - والتي ترغمهم حسيماً على الاستجابة لمطالبه . هذه اللعبة يظهر صداها في مراحل العمر التالية . يصبح هذا الطفل شاباً يسعى إلى الأخذ فقط في علاقته العاطفية - مستأسداً في زواجه - مسيطراً في تربيته لأولاده ، وفي العمل إذا لم تتم الأمور بطريقته الخاصة ، يظل دائماً في حالة شجار مع زملائه كيف يمكن لمتل هذا الشخص أن يتوافق مع مجتمعه ، كرجل بالغ - مع استمراره في ممارسة هذه اللعبة ؟ يتوقف هذا على عدة عوامل ، يوردها دكتور تشامان ، أستاذ العلاج النفسي :

مستوى ممارسة اللعبة :

أهم عامل يتصل بمستوى ممارسة اللعبة ، هل هو حاد أم معتدل إذا ما كانت الممارسة معتدلة . وإذا كان الشخص قادراً على أن يكون مرناً إلى حد ما ، فقد ينجح في أن يحقق بعض التوافق مع محيطه ، رغم

هذه العقبة ، عقبة ممارسته للعبة سيقول الناس « فلان يميل إلى أن يفرض رئاسته ، لكنه معقول إلى حد ما ، وبإمكاننا أن نعمل معه (أو نعيش معه) إنه يميل إلى الشجار ، كلما لم تسر الأمور على هواه وبطريقته ، لكنه يستطيع أن ينسى الموضوع ، ويمضى في حياته إنه يصبح كالأعرج الذى لا يعوقه عرجه عن السير»

أما إذا كانت ممارسته للعبة حادة وعنيفة ، فغالبًا ما يمر بسلسلة متواصلة من التصادمات مع أقرب الناس إليه ، ومع من يتعاملون معه تعاملًا طويل الأمد ، مما يؤدي في بعض الحالات إلى حالة من العجز الاجتماعي إنه يسعى إلى السيطرة على زوجته ، وإلا تحولت حياتها إلى شجار دائم . ويسعى للسيطرة على أطفاله والتحكم فيهم ، ويدفعهم إما إلى اذعان مصحوب بالخوف ، أو إلى تمرد صريح .

نوع العمل الذى يمارسه :

واستقراره في عمله يعتمد على نوع العمل الذى يمارسه . إذا كان يعمل في مكتب أو مصنع ، حيث يمتك عن قرب احتكاكًا دائمًا بنفس الناس ، تكون النتيجة عراكًا دائمًا معهم ، وهو غالبًا ما يفشل في الاحتفاظ بوظيفته طويلًا .

ومن ناحية أخرى ، إذا كانت طبيعة عمله لا تقتضى احتكاكًا متواصلًا بنفس الناس ، كأن يعمل في تنشيط بيع سلعة ، أو مندوب تأمين ، بحيث تكون تعاملاته مع الرؤساء والزبائن سطحية ، فمن الممكن أن ينجح في عمله ، بالرغم من ممارسته للعبة .

توفر ممارسى نفس اللعبة :

ممارس اللعبة ، الذى يدمن ممارستها ، ويمارسها بإصرار ، يصل عن

طريق التجريب ، وبشكل لاشعورى ، إلى الناس الذين يستريحون إلى إقامة علاقات دائمة معه ، من بين ممارسى اللعبة ، أو ممارسى أحد أدوارها هذه العلاقة تعتبر علاقة مرضية ، غير صحية ، لكن من الممكن أن تستمر . مثال ذلك ، أن ممارس اللعبة قد ينشئ علاقات متعددة قصيرة الأمد مع الجنس الآخر ، قبل أن يتزوج ، إلى أن يعترض على طرف آخر يتوفر فيه الإحساس بانعدام الأمان ، والشخصية السلبية ، مما يتيح له السيطرة الكاملة . وهكذا تتواصل سيطرته ، وتتواصل خضوع الطرف الآخر . رغم تناقض هذا مع الأوضاع الصحية للعلاقات البشرية ونفس الشيء يفعله ممارس اللعبة في مجال العمل . يظل يجرب السكرتيرات ، واحدة بعد الأخرى ، حتى يستقر على السكرتيرة التي يشعر منها بالخضوع وقبول السيطرة عليها .

مستوى الذكاء :

إذا كان ممارس اللعبة على درجة عالية من الذكاء والموهبة ، فقد يقبل الناس التعامل الدائم معه في العمل ، على اعتبار أن كفاءته وموهبته تعوضان عن المشاكل التي يثيرها في العمل أما إذا كان ممارس اللعبة عادياً في ذكائه وموهبته ، فالأغلب أن يتوقف الناس عن التعامل معه بعد اكتشاف نقيضته .

العابس والمهزوز

كثير من الألعاب تجرى ممارستها بشكل شديد الكثافة ، بين المصابين باضطرابات نفسية وبشكل عام ، كلما زاد اضطراب الشخص ، كلما زادت ممارسته للعبة عنفاً . لكن الغريب في الموضوع ، أن بعض المصابين بانفصام الشخصية ، يبدوون رفضهم للدخول في ألعاب ، ويميلون إلى إعلان ذلك

في الحياة اليومية ، يمارس الألعاب باقتناع كامل ، نوعان من الناس :
العابسون المتجهمون ، المهزوزون المغلقون على أنفسهم .

العابسون :

من وجهة النظر السيكولوجية ، يعتبر العابس هو الشخص الغاضب على أمه وعند تقصى حالته ، يظهر أن غضبه هذا يرجع إلى أيام طفولته . ويكون لديه أسباباً مقنعة لهذا الغضب ، من موقف (الطفل) فيه

أسباب هذا الموقف متنوعة . من الممكن أن تكون قد (هجرته) في فترة حرجة من طفولته ، بأن مرضت فتم نقلها إلى المستشفى ، أو بأن أنجبت بعده العديد من الأبناء أو أن تكون قد انفصلت عن أبيه ، وأرسلته ليعيش عند بعض الأقارب ، حتى يتاح لها أن تتزوج من جديد .. إلى آخر هذه الاحتمالات

في جميع الأحوال ، يبدأ العبوس في أعقاب، مثل ذلك الحدت والشخص العابس يكره الناس ، رغم أنه من الممكن أن يكون (دون جوان) ، متعدد العلاقات العاطفية

وحيث أن العبوس يكون متعمداً في بدايته ، فمن الممكن العدول عن قرار العبوس في أي مرحلة تالية تماماً كما يحدث في حالة الطفل العابس نتيجة لسبب من الأسباب ، ما أن تستعد الطفل للخروج لشراء المتلجات ، حتى يرى في هذه المناسبة ما يستحق التوقف مؤقتاً عن عبوسه ونجهمه .

اشتراطات العدول عن العبوس ، تكوّن في (العباس) الكبير كما في الطفل . يجب أن يتوفر له ما يحفظ ماء وجهه ، وأن يتلقى مقابلًا ثمينًا يستحق عدوله عن عبوسه .

نفس الشيء يمكن تطبيقه على النساء العاسات فغضبهن يكون على الأب .

المهززون :

المعروف أن في كل منا ، اهتزاز نفسى طفيف وهدف تحليل الألعاب هو الوصول بذلك الاهتزاز إلى حده الأدنى .

(المهزوز) ، هو الذى يعكس حساسية فائقة لتأثير (الوالد) فيه . عند التعامل مع حقائق (البالغ) ، أو تلقائية (الطفل) ، يميل (الوالد) إلى التدخل في اللحظات الحرجة ، مما يتمخض عن سلوك غير مناسب أو غير لائق ، ويصنغ تصرفاته بالانغلاق .

(المهزوز) ، يتحول في الحالات الشديدة ، إلى مناق أو استعراضى ولا يجب أن نخلط بين المهزوز وبين الذى يعانى من انفصام الشخصية . ففي حالة

انفصام الشخصية ، لا يكون (الوالد) داخل المريض نشيطاً ، كما أن
(البالغ) يكون شبه خامل ، مما يجعله مضطراً إلى التعامل مع العالم من الحالة
الشعورية (كطفل) مرتبك

الاستقلال الذاتي كبديل لممارسة الألعاب

عندما يتوصل الشخص إلى الاستقلال الذاتي ، يصبح في موقع متفوق يغنيه عن ممارسة الألعاب . والاستقلال الذاتي للشخص يمكن أن يتحقق عن طريق اطلاق قدرات ثلاث ، أو استعادتها لو كانت قد ضعفت . هذه القدرات هي : الإدراك الذاتي المباشر ، والتلقائية ، والتآلف

الإدراك الذاتي المباشر :

يعنى القدرة على رؤية الأشياء ، وسماع الأصوات ، بالطريقة الخاصة للشخص ، وليس بالطريقة التي لقنها له شخص آخر أو أشخاص آخريين أن يرى الشجرة فعلاً ، وبطريقته هو . وأن يسمع تغريد العصفور حقيقة ، وليس بطريقة اصطلاح عليها من هم حوله .

من المعروف أن الرؤية والسمع تختلف قيمتها عند الطفل عن قيمتها عند الكبير . فهما عند الطفل أكثر جالية وأقل عقلانية . والمثال التالي يوضح ما نقول .

يجلس الطفل وحيداً في الحديقة ، يستمع إلى أصوات الطيور مستمتعاً مسروراً يأتي (الأب الطيب) الذي يشعر أن واجبه يفرض عليه «مشاركة» ابنه في هذه الحبرة ، ومحاولة تنمية هذه الحبرة ، فيبدأ الأب بإشاراته قائلاً «هذا بلبل وهذا كروان ..» بمجرد أن يدخل الصغير في جهد التعرف ، أيها

البلبل وأيها الكروان ، يتوقف عن رؤية الطيور وسماعها لقد أصبح عليه أن يراها ويسمعها بالطريقة التي حددها له أبوه .

وعادة ما تكون للأب أسبابه القوية ، فمن الذى يمكن أن يمضى حياته يرى الطيور ويسمع أصواتها؟ ويرى الأب أنه كلما أسرع « بتعليم » ابنه فى الصغر ، كلما كان هذا مفيداً له ، ومن يدرى ، ربما أصبح عالمًا فى الطيور عندما يكبر؟.

الثابت ، أن القليل جداً من البشر ، هم الذين يستطيعون أن يروا ويسمعوا ، بالطريقة التي مارسوها فى طفولتهم وهذه القلة من البشر هي التي تضم الفنانين والشعراء والموسيقيين أما باقى البشر ، فيفقدون هذه القدرة مع الزمن ، وهم يقنعون بأن يحصلوا عليها مستعملة (نصف عمر) عن طريق الغدير

الإدراك الذاتى المباشر ، هو فى جوهره استعادة هذه القدرة ويجرى تعريفه سيكولوجياً بأنه : إدراك حسى بكر متحالف مع خيال بكر .
الإدراك الذاتى المباشر يقتضى العيش (هنا) و (الآن) أن نعيش هنا ، وهنا فقط وليس أى مكان آخر . وأن نعيش الآن ، وليس فى الماضى أو المستقبل . وقد نتساءل : أين يكون العقل ، عندما يكون الجسد هنا ؟. هناك أربع حالات عامة :

١ - الرجل الذى يكون انشغاله الرئيسى هو القيام بالأعمال والوصول إلى الأماكن فى الوقت المحدد ، هو أبعد الناس عن ممارسة الإدراك الذاتى المباشر . وهو نجسمه خلف عجلة قيادة سيارته ، يكون عقله على باب مكتبه ومن ثم ، يكون غائباً عما يحيط به مباشرة ، إلا فى حدود كونه عقبة فى سبيل الوصول إلى اللحظة التي يتوحد فيها كيانه . هذا الرجل هو (المهزوز) ، الذى يتركز اهتمامه فى نوع نظرة رئيسه إليه . إذا تأخر عن

مرعد تحركه للذهاب إلى عمله ، بذل قصارى جهده للوصول إلى مكتبه مقطوع الأنفاس في هذه الحالة . تكون القيادة لموقف (الطفل) المدعن وتكون اللعة هي «انظر كم حاولت بجد»
أثناء قيادته لسيارة ، يكاد هذا الرجل أن يكون فاقداً لاستقلاله الذاتي تماماً . إنه ككائن حي يكون أقرب إلى الموت منه إلى الحياة مثل هذه المواقف هي التي غالباً ما تتسبب في الإصابة بأمراض الضغط المرتفع والأمراض القلبية

٢- أما (العابس) ، من ناحية أخرى ، فلا ينصب اهتمامه على الوصول في الوقت المناسب ، بل يكون همه جمع الأعذار لتبرير تأخره ، حوادث الطريق ، وخلل إشارات المرور ، وعناء السائقين الآخرين وهو موقف يناسب جداً خطته ، ويرضى (الطفل) المتمرد فيه ، أو (الوالد) العادل ، ممارساً لعبة «انظر ماذا جعلوني أفعل» ، وهذا يبعده أيضاً عن الإدراك الذاتي المباشر الكامل ، ويجعله أشبه بنصف الحى ، جسمه داخل السيارة ، وعقله خارجها يبحث عن الوصيات والمظالم .

٣- وهناك «السائق الطبيعي» ، وهو أقل الأنواع شيوعاً ، والذي يأخذ قيادة السيارة كعلم وخبرة وهو إذ يشق طريقه وسط الزحام ، يكون بأكمله داخل السيارة . إنه يكون متيناً الظروف المحيطة به ، ويستثمرها في تحقيق مزيد من المهارة في القيادة وبهذا المعنى يعتبر حياً وقائد السيارة من هذا النوع ، يمارس القيادة كنوع من التسلية التي يتحكم فيها (البالغ) ، ويستمد منها (الطفل) و (الوالد) بعض البهاج

٤- في الحالة الرابعة ، تصادف الشخص الذى يدرك ذاتياً ، وبشكل مباشر.. الذى لا يتعجل لأنه يعيش اللحظة الراهنة ، في المكان الذى يتواجد فيه ، السماء ، والأشجار ، وفي نفس الوقت حركة سيارته

الإسراع عنده يعنى فقدان المجال المحيط به ، ويعنى الانشغال بما يمكن أن يصادفه من عقبات .

الشخص الذى يتوفر له الإدراك الذاتى المباشر يكون حياً فهو يعرف مشاعره بدقة ، ويعرف مكانه فى كل أوان

التلقائية .

التلقائية تعنى حق الاختيار ، وحرية الفرد فى اختيار مشاعره من بين التنوع المتاح ، وحرية فى الإحساس بهذه المشاعر ، حرته فى الاختيار بين مشاعر (الوالد) ومشاعر (البالغ) ومشاعر (الطفل) وهى تعنى التحرر من حتمية ممارسة الألعاب ، ومن المشاعر التى يفرضها عليه الآخرون .

التألف :

التألف يعنى الصراحة التلقائية ، الخالية من الألعاب ، فى الشخص صاحب الإدراك الذاتى المباشر ، وتحرر القدرة على إدراك الصور الذهنية ، و (الطفل) بكل فطرته يعيش فى هنا والآن وهذا يتيح نمو المشاعر ، ويشير الأحاسيس الايجابية ، إلى حد أن البعض يقول بإمكان وجود ما نطلق عليه «التألف مع الذات» .

ولأن التألف يكون فى جوهره من وظائف (الطفل) الطبيعى الصحى ، فهو يتواصل بشكل طيب ما لم يتهدهه تدخل (الألعاب) . وغالباً ما يفسد التألف ، تبنى تأثيرات ونفوذ (الوالد) ، وللأسف يحدث هذا بشكل عام ، فى كل وقت ومكان . ولكن قبل أن يحدث هذا الإفساد ، وإلى أن يحدث ، وإذا لم يحدث ، يبقى الصغير محبباً ، وهذا هو الجوهر الأساسى للتألف .

المراجع

- (1) GAMES PEOPLE PLAY.
ERIC BERNE GROVE PRESS.
- (2) TRANSACTIONAL ANALYSIS.
ERIC BERNE BALLANTINE BOOKS.
- (3) I'M OK - YOU'RE OK.
THOMAS HARRIS PAN BOOKS.
- (4) STAYING OK.
AMY & THOMAS HARRIS PAN BOOKS
- (5) THE GAMES CHILDREN PLAY.
A.H. CHAPMAN BERKLEY PUB. CORP.
- (6) REALITY GAMES.
S SAX & S. HOLLANDER POPULAR LIBRARY.
- (7) GAMES ALCOHOLICS PLAY.
CLAUDE STEINER, BALLANTINTINE BOOKS.
- (8) THE THIRD WAY.
ALVIN TOFFLER BANTAM BOOKS.

المحتويات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|-------------------------------------------------|
| ٥ | هذا الكتاب |
| ٩ | المقدمة |
| ١٣ | الفصل الأول : الحالات الشعورية للإنسان |
| ٣٥ | الفصل الثاني : تحليل التعاملات |
| ٥٧ | الفصل الثالث : الألعاب الخفية |
| ٧٩ | الفصل الرابع : ألعاب الحياة اليومية |
| ١٠٥ | الفصل الخامس : ألعاب الحياة الزوجية |
| ١٢٩ | الفصل السادس : ألعاب الحفلات |
| ١٤٩ | الفصل السابع : الألعاب الجنسية |
| ١٦٥ | الفصل الثامن : ألعاب عالم الجريمة |
| ١٧٧ | الفصل التاسع : ألعاب حجرة الاستشارة |
| ٢١١ | الفصل العاشر : الألعاب الطيبة |
| ٢٢١ | الفصل الحادى عشر : ألعاب ممارستها الأطفال |
| ٢٦١ | الفصل الثانى عشر : موقفنا من الألعاب |
| ٢٧٥ | المراجع |

من إصدارات دار الشروق
للكاتب راجي عنايت

- سر الأطباق الطائرة
- النبات يجب ويتألم .
- الهرم وسرقواه الحفوية .
- رجل يعرف كل الأسرار .
- ٣٠ ظاهرة خارقة ، حيرت العلماء .
- لعنة الفراغة ، وهم أم حقيقة ؟ .
- عجائب بلا تفسير .
- تفسير الأحلام والتنجم .
- التخاطر والسحر واليوجا .
- الخروج من الجسد .
- أحلام اليوم حقائق الغد .
- عجائب العقل البشري .
- أسرار حيرت العلماء .
- هذا الغد العجيب .
- معجزات العلاج .
- العالم سنة ٢٠٠٠ .
- المستقبل بين الشرق والغرب .
- تحت الطبع :
- حوار مع الصديق الذكي (مستقبلات) .

رقم الإيداع ٨٩/٤٦٧٤
التعليم الدولي - x - ٣٧٩ - ١٤٨ - ٩٧٧